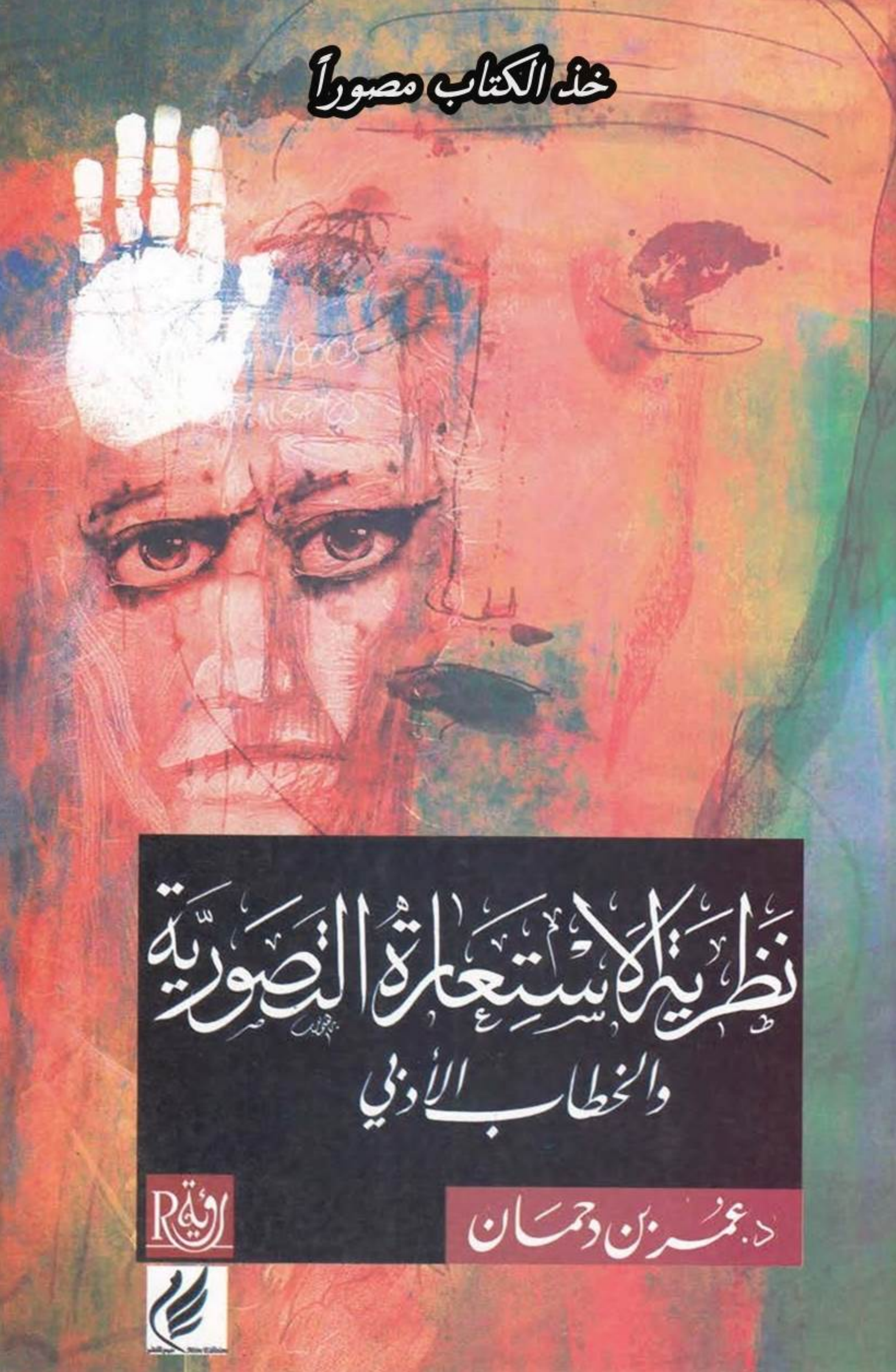

خذ الكتاب مصوراً
نظرية الاستعارة التصورية
والخطاب الأدبي
د. عمر بن دحمان

نظرية الاستعارة التصورية

والخطاب الأدبي

د. عمر بن دحمان

نظرية الاستعارة التصورية
والخطاب الأدبي



للنشر والتوزيع

2015

الكتاب : **نظرية الاستعارة التصورية والخطاب الأدبي**

تأليف : **د. عمر بن دحمان**

المدير المسؤول : **رضا عوض**

رؤية للنشر والتوزيع

القاهرة : 0122/3529628

8 ش البطل أحمد عبد العزيز -- عابدين

تقاطع ش شريف مع رشدي

Email: Roueya@hotmail.com

فاكس : 25754123 (202) +

هاتف : 23953150 (202) +

الإخراج الداخلي : **حسين جبيل**

جمع وتنفيذ : **القسم الفني بالدار**

الطبعة الأولى : 2015

رقم الإيداع : 2014/14719

الترقيم الدولي : 978-977-499-148-6

إهـــداء

أهدي هذا العمل إلى عائلة قسم اللغة العربية وآدابها

بجامعة تيزي وزو... دون استثناء

مقدمة

يحاول هـذا الكتاب أن يعـرّف بإحـدى النظريـات المعرفية المعاصرة التي أخذت على عاتقها إعادة النظر في طبيعة الاستعارة ودورها المعرفي، وبالتالي إعادة دراستها ومقاربتها في ضوء الأفكار الجديدة التي انبثقت مؤخرا ضمن ما يسمى بالعلم المعرفي، والدائرة حول القضايا المتصلة بالانشغال العام لهذا العلم، وبالأخص البحث في كل ما يتصل بالآليات التي يعتمد عليها الذهن البشري في سبيل ممارسة وظيفته المعرفية. ضمن هذا الإطار الواسع نُظر إلى الاستعارة بوصفها ظاهرة ذهنية تلعب دورا مركزيا في المعرفة عند الكائن البشري، وأعيد اكتشافها من جديد لتشغل مجالا هاما من مجالات البحث بإيلائها عناية خاصة. فكان هناك اهتمام خاص بطبيعتها في علاقتها بالذهن والمعرفة البشريين، من جهة، وفي علاقتها بالإنتاجات اللغوية وغير اللغوية بوصفها تحققات تتمظهر عنها، من جهة أخرى.

ولأن النظريات تبنى على أنقاض أخرى، فإن العمل يحاول أن يسلط الضوء على التأسيس النظري لهذه الأفكار المستجدة وتطبيقاتها على دراسة الاستعارة بوصفها ظاهرة ذهنية يمكن أن تتمظهر لغويا في خطابات متنوعة. يدفع هذا التمظهر اللغوي إلى التساؤل عن الكيفية التي تعاملت بها إحدى أهم النظريات المعرفية حول الاستعارة مع هذا النمط من الاستخدام اللغوي، ومع تلك الخصوصية التي ما فتئت تعزى إلى اللغة المجازية التي يعثر عليها في الخطاب الأدبي بشكل لافت، بوصفه خطابا ارتبط تقليديا بتلك الرؤية التي تراه خطابا متميزا عن غيره من الخطابات، من سماته الأساسية امتلاك الصور والمجازات والانزياحات بشكل واضح، مقارنة بما يمكن أن يعثر عليه في لغة خطابات أخرى غير أدبية.

وعليه، نحاول في ثنايا الكتاب أن نتقصى المسار الذي سارت

عليه نظرية الاستعارة التصورية (التي تنسب للساني المعرفي جورج لايكوف وآخرين) في مقاربة مجازية لغة الخطاب الأدبي ودراستها بالتركيز على الاستعارة بشكل خاص؛ بسبب العناية الخاصة التي أولتها لها وانتقالها بها إلى مكانة أرفع لم تحظ بها في التنظيرات الكلاسيكية التي نظرت إليها بوصفها أداة لغوية تزيد في المعنى، ولا تدخل في بنائه إلا من هذا الجانب، فوظيفتها ثانوية مقارنة بما هو غير مجازي، في حين نظرت إليها التنظيرات المعرفية بوصفها آلية مركزية من آليات التفكير البشري ككل، وأوكلت إليها دورا رئيسيا في التجربة وبناء المعنى وفهمه وتأويله بوصفه نشاطا ذهنيا بين المتخاطبين.

في هذا الإطار اقترح منظرو الاستعارة التصورية نمذجة معرفية لمقاربة الاستعارة كما تتجلى في الخطاب الأدبي من منظور مغاير تماما، يمكن اعتباره مدخلا لمقاربة معرفية للاستعارة الأدبية بشكل خاص (واللغة المجازية من ورائها)، واقتراحها كبديل عن المقاربات الكلاسيكية التي ما تزال مهيمنة، برغم قصورها الملاحظ في كثير من الأحيان عن الإحاطة بالتعقيدات المتّصلة بمقاربة الإبداع الاستعاري في الأدب خاصة.

إنّ التركيز على الإنتاجات اللغوية (اليومية والأدبية على السواء) جاء هنا تحقيقا لأهم الأفكار المؤسسة للنموذج الذي اخترنا عرضه عبر فصلي هذا الكتاب، وهي اعتبار التعابير الاستعارية مجرّد انعكاس وتجلّ لاستعارات ذهنية ثاوية في الذهن

بوصفها إحدى الآليات المركزية لاشتغال الذهن وأدائه المعرفي عند الكائن البشري. هذه الفكرة التي دافعت عنها التأسيسات النظرية المعرفية الأولى حول الاستعارة واعتبرتها جوهرية، جاءت كردة فعل ضد الفكرة القديمة الشائعة التي ما تزال سائرة إلى يومنا هذا، والقائلة بأن الاستعارة هي ظاهرة لغوية في المقام الأول وأداة تجميلية بالأساس، ودورها ثانوي في بناء المعنى وتأويله، وينبغي النظر إليها ضمن هذا المستوى بصفة أولية.

خصّصنا فصلين للتعريف بالنظرية المعرفية للاستعارة وتطبيقاتها على الخطاب الأدبي، وسمنا أولهما:الاستعارة التصورية: استهلال وتحديدات، وقفنا فيه عند الخلفية النظرية لهذا النموذج المعرفي، ومقترحاته وأطروحاته بخصوص مقاربة ظاهرة الاستعارة عامة. وخصّصنا الفصل الثاني الموسوم: نظرية الاستعارة التصورية والخطاب الأدبي، لتطبيق النظرية على الخطابات الأدبية بشكل عام.

وارتأينا أن نمهّد للفصلين بمدخل عام لأجل التفصيل في منطلقات تلك الأفكار الجديدة والثورية حول ظاهرة الاستعارة، وتحديد الإطار العام والخاص لانبثاقها، فكان حديثنا عن العلم المعرفي بوصفه إطارا عاما، وعن الدلالة المعرفية واللسانيات المعرفية من ورائها كإطارين خاصّين، تطورت في رحابها عدة نظريات معرفية قاربت الاستعارة بشكل مختلف تماما عن المقاربات الكلاسيكية. حاولنا في هذا المدخل تحديد مفهوم أو مصطلح "معرفة" ارتباطا بمشروع العلم المعرفي بوصفه مجالا بحثيا متعدّد

التخصصات. ثم عرّجنا على التفصيل في هذا العلم المستجد، وإيراد بعض التحديدات الخاصة به وبالتخصصات العلمية التي ينطوي عليها. وكان تركيزنا على الفرع المعرفي المتّصل أكثر بمبحث الاستعارة، أي "اللسانيات المعرفية" واعتبرنا ما سمي بالجيل الثاني منها الذي برز في منتصف سبعينيات القرن الماضي، وازدهر في سنوات الثمانينيات، قد شكّل محضنا لانبثاق الأفكار الجديدة حول الاستعارة، وبخاصة الأفكار القائلة بتصوريتها، وبدور الجسد في المعرفة وفي تأسيس النسق التصوري للكائن البشري، هذا النسق الذي اعتبر ذا طبيعة استعارية في جزء كبير منه، ولما كان هو الموجّه للسلوك اللغوي وغير اللغوي؛ فإن الطبيعة الاستعارية له تنعكس بدورها على هذه السلوكات البشرية بشكل طبيعي.

وبخصوص المعنى اللغوي مثّلت الدلالة المعرفية ضمن الإطار اللساني المعرفي إطارا مناسبا لمقاربة المعنى الاستعاري (أو المجازي بصفة عامة)، فبعدما استبعدته المقاربات اللسانية الكلاسيكية عن الدراسة الدلالية، باعتباره معنى ثانويا غير مباشر ينحصر دوره في المبالغة والتزيين لا غير، وهو كاذب إذا ما قورن بالمعنى الحرفي الموضوعي، أعادته الدلالة المعرفية إلى صميم دراسة المعنى، واعتبرت الاستعارة إحدى الوسائل المعرفية المركزية التي لا يستغنى عنها لفهم العالم وفهم أنفسنا، وإعطاء معنى لما يدور حولنا وداخلنا، بل إنها تسهم في إبداع معانٍ وحقائق جديدة بصفة طبيعية.

لقد اعتبرنا نظرية الاستعارة التصورية التي تنسب إلى اللساني المعرفي جورج لايكوف (وآخرين) نظرية تأسيسية للتنظير المعرفي للاستعارة، نظرا لبزوغها المبكر مع إصدار كتاب "الاستعارات التي نحيا بها" لجورج لايكوف ومارك جونسون (1980)، وهي من النظريات المبكرة التي استتبعتها نظريات معرفية عديدة مكمّلة لها أو منافسة، وكلّها تنهل من الأفكار الجديدة حول الاستعارة بوصفها ظاهرة ذهنية قبل أن تكون ظاهرة لغوية.

وسوف نقف في الفصل الأول على أهم الأفكار التي اقترحها منظروها، وبخاصة ما أورده لايكوف وجونسون في كتابهما التأسيسي المشار إليه. وهو الكتاب الذي حاولنا عرضه في حيز هام من هذا الفصل، وحاولنا أن نقدّم قراءة عامة لأهم أفكاره ما دام يمثل عملا نواتيا ومصدرا رئيسيا للتنظير المعرفي للاستعارة، وملهما لباحثين آخرين فيما تلا من دراسات.

بعد هذه النظرة العامة حول أفكار الكتاب، خاصة تلك المتصلة بطبيعة النسق التصوري البشري وهيمنة الاستعارة على جانب كبير منه، حاولنا تحديد المصطلحات الأساسية المرتبطة بنظرية الاستعارة التصورية، وتحديدا مفهوم الاستعارة التصورية نفسها، والبراهين التي اعتمدها أصحاب النظرية على وجودها، من خلال تحقّقها في اللغة وفي السلوك البشري غير اللغوي. لنعرّج بعد ذلك على المفاهيم الجديدة التي برزت مع التطويرات التي لحقت

بهذه النظرية، والتي أسهمت كلها في تدعيم أطروحاتها بطريقة نسقية ومنسجمة.

اعتبرنا الفصل الأول المعنون كتوطئة لما يليه من مبحث تطبيقي خصصناه للكيفية التي قاربت بها نظرية الاستعارة التصورية في الأدب، وبعد عرض مقترحات لايكوف ومارك تورنر حول الاستعارة الشعرية بشكل خاص، أوردنا الانتقادات التي وجّهت لمقاربتهما، والنقائص التي لوحظت عليها، وبخاصة ما ارتبط بالاستعارة الجديدة المبدعة، التي لم يولها نموذج لايكوف والآخرون العناية الخاصة بها، أو أنّ ما تم اقتراحه لم يكن كافيا أو مقنعا أمام تعقيد الاستعارات المبدعة، وهي التي تعد إحدى المظاهر الجلية في الأدب عموما وفي الشعر بشكل خاص.

هذه باختصار المحطات الرئيسية التي سنقف عندها على مدار صفحات هذا الكتاب الذي اقتصر فيه جهدنا بشكل أساسي على التعريف بالأفكار الجديدة المتصلة بدراسة الاستعارة من منظور معرفي من خلال نموذج جورج لايكوف وشركائه. وكان اعتمادنا الكلي في الوقوف على هذه الأفكار المستجدة على المراجع الأصلية لأصحابها، وقد واجهتنا في سبيل ذلك صعوبة الوصول إلى المطبوع منها لعدم توفرها في المكتبات، ولولا ما عثرنا عليه من كتب ومقالات إلكترونية معروضة للتحميل على شبكة الانترنت، لاستحال إنجاز هذا العمل في وقته المحدّد على الأقل، بسبب كونها مراجع أساسية لا غنى عنها.

وما زاد من عبء التعامل مع هذه المراجع الأساسية أنّ أغلبها مؤلف باللغة الأصلية لأصحابها (اللغة الانجليزية تحديدا)، ما مثّل لنا عبئا إضافيا في نقل محتواها إلى اللغة العربية، ويبقى كتاب لايكوف وجونسون "الاستعارات التي نحيا بها"، وغيره قليل، الاستثناء الوحيد في اعتقادنا، الذي حظي بترجمة إلى اللغة العربية، ما يعني عدم وجود اهتمام جدي بهذا النوع من الدراسات المعرفية -رغم أهميتها- في منطقتنا العربية.

لقد اضطررنا أمام هذا النقص في التعريف بمثل هذه الدراسات المعرفية المؤسّسة، ناهيك عن ترجمتها، أن اعتمدنا على جهدنا الخاص في اختيار المقابلات العربية الملائمة لكثير من المصطلحات المرتبطة بمجال البحث، بعد استنفاد البحث فيما تمت ترجمته إلى اللغة العربية من كتب ومنشورات قليلة جدا. وعلى العموم فقد كنا حذرين في التعامل مع المصطلحات، وكنّا نراعي دائما اختيار المقابل الشائع، عوض اقتراح مقابلات مستجدة غير متداولة من شأنها أن تعقّد المفهوم أو المصطلح أكثر (مثل اختيارنا "معرفة" بدل "عرفنة" كما اقترحها بعض الباحثين). ورغم ذلك فقد جابهتنا صعوبات جمّة في ترجمة كثير من المصطلحات التي وجدناها ترد للمرة الأولى، وبخاصة في الأعمال المعرفية المتأخرة، فلم يكن من سبيل إلا الاعتماد على معناها الحرفي أو ما يكون قريبا منه، بمراعاة السياق المعرفي العام الواردة فيه. لذلك فإن ما اقترحناه من مقابلات لبعض المصطلحات يبقى مجرد اجتهاد شخصي لا مناص منه، قد يحتمل الصواب كما قد يحتمل الخطأ.

إضافة إلى صعوبة ترجمة المصطلحات واجهتنا أيضا صعوبة ترجمة النصوص الأدبية وخاصة النصوص الشعرية منها، وكنا نضطر في كثير من الأحيان حينما كانت تعوزنا ترجمات منشورة إلى الاكتفاء بترجمتها دون مراعاة لوزن أو قافية أو موسيقى، على اعتبار أنّ الأمثلة الشعرية الواردة كانت مجرّد شواهد توضيحية لا علاقة لما توضّحه بالوزن أو القافية، ولكنّنا كنا نراعي اختيار الألفاظ والعبارات التي نرى أنها الأنسب جماليا وفنيّا بقدر المستطاع.

وفي الختام، ختمنا ما تم عرضه في ثنايا الكتاب بخاتمة عامة أفردنا فيها ما أمكننا التوصل إليه من نتائج عامة، والهدف الأساسي الذي سعينا إليه من وراء تجشم عناء تأليفه.

عمر بن دحمان

الجزائر 2013

مدخل

حول الاستعارة والعلوم المعرفية

حول الاستعارة والعلوم المعرفية

نخصّص هذا المدخل لتأطير المجال الذي يندرج فيه موضوع هذا العمل، ذلك أنّ الحديث عن الاستعارة في السياق المعرفي يتطلب أن نتعرّف على ماهية هذا السياق وطبيعته، لأجل الوقوف على الخلفيات النظرية والتأسيسات الفكرية والتجريبية له. يتعلّق هذا المجال الذي نودّ تحديد إطاره بما يسمى بـ"العلم المعرفي"، محاولين الإجابة عن الأسئلة الأساسية التالية: ما المقصود بالعلم المعرفي وما موقع الاستعارة ضمنه؟ وما هي الصفة التي نظر إليها في هذا الإطار؟ وهل ثمّة أسباب أو دواع لاهتمام خاص حظيت به ضمن هذا المنظور؟ ومتى وكيف تم ذلك تحديدا؟ وباختصار: ما علاقة الاستعارة بمشروع العلم المعرفي في عمومه وخصوصياته؟.

نستهل الإجابة عن هكذا أسئلة، وأخرى محتملة، بالوقوف بداية عند هذين المصطلحين المتداخلين لنقدّم تحديدا موجزا عنهما، إنّهما: "المعرفة"، و"العلم المعرفي". ثم نعرّج على مقتضيات هذه التحديدات على مبحث الاستعارة بشكل أكثر تفصيل.

1 . ماهي المعرفة؟

يمكن القول إنّ مفهوم "المعرفة" (cognition) من المفاهيم القديمة جدا في التفكير الإنساني، نلمس هذا في اهتمام البشرية بها و"بطبيعتها والعمليات العقلية والنشاط الذهني المستخدم في عمليات الانتباه، والإدراك، والتذكر، والاستيعاب، وغيرها من أنشطة التفكير منذ أكثر من ألفي عام. وقد ترك لنا الفلاسفة اليونان والمسلمون إسهامات قيّمة في هذه المجالات. ثم تواصل الاهتمام

بها من قبل الفلاسفة والمفكرين خلال القرون المتعاقبة"[1]. هذا الاهتمام المتواصل والمتنوّع لم يقتصر على مجال واحد بل اشتركت فيه مجالات عديدة وصولا إلى الزمن الحاضر، كالفلسفة، وعلم النفس، والطبّ، والبيولوجيا، وعلم الحاسوب، والاتصال، وغيرها. فالمعرفة تعدّ بسبب ذلك من مجالات البحث ذات الأهمية الكبيرة باعتبار أنّ "المعرفة ومعالجتها واكتسابها وتخزينها وتنظيمها وتطويرها وتوظيفها والاستفادة منها تشكل الأساس الذي يحكم النشاط الإنساني ويوجّهه"[2].

يحيل مصطلح "المعرفة"[3] إلى كل الأنشطة الذهنية والفكرية

---

(1) رافع النصير الزغول، وعماد عبد الرحيم الزغول: علم النفس المعرفي، ط. دار الشروق للنشر والتوزيع، ص 17.

(2) المرجع نفسه، ص نفسها.

(3) اخترنا هذا المصطلح كمقابل للفظ "cognition" نظرا لشيوعه في الأبحاث المهتمة بدراسة هذه الظاهرة البشرية، بدلا من مصطلح "إدراك" الذي قد يتخصّص بحسيته (إدراك حسي) ولذلك جعلناه مقابلا للفظ "perception"، وهو يقابل الإدراك الذهني "conception" أو التصور (بمعنى الحدث) وهناك التصور "concept" (بمعنى الشيء) الذي قد يترجم بالمفهوم أيضا. والتصور (أو التمثيل representation) من منظور معرفي معاصر (حسب ما ورد في مسرد اللسانيات المعرفية لفيفيان إيفنس) هو الوحدة الرئيسية لمعارفنا وهو مركزي لعملية المقولة (categorization) وبناء التصور/ أو المفهمة (conceptualization)، والتصورات تلازم النسق التصوري، ويتم تشكيلها منذ الطفولة المبكرة انطلاقا من التجربة الإدراكية الحسية من خلال عملية اصطلح عليها بتحليل المعنى الإدراكي الحسي (perceptual maning analysis)، =

التي ننهمك فيها من أجل اكتساب المعارف من خلال عملية التفكير، والتجارب والإحساسات. هذه الأنشطة التي يحال إليها باسم "الإدراك" أيضا مثلما نعثر عليه في المعجم الفلسفي الصادر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة الذي جعل هذا المصطلح (الإدراك) مقابلا للفظ «cognition» ويحدّده بأنه "المعرفة في أوسع معانيها، ويشمل الإدراك الحسي وإدراك المجرّد والكليّات"[1]؛ أما مصطلح "المعرفة" فيجعله مقابلا للّفظ الانجليزي «knowledge» والفرنسي «connaissance» ويحدّدها بأنّها " ثمرة التقابل والاتصال بين ذات مدركة وموضوع مدرك،

=تعطي هذه العملية قياما للتصورات الأكثر بدائية المعروفة باسم خطاطة الصورة (image schema). ويمكن للتصورات أن تشفر في شكل لغوي مخصص يعرف كتصور معجمي (lexical concept). وبينما تكون التصورات عبارة عن كيانات معرفية مستقرة نسبيا إلا أنّها تعدّل عن طريق استمرارية تجارب عرضية وانعكاسية. ينظر:

- Vyvyan Evans: **A Glossary of Cognitive Linguistics**, Edinburgh University Press, Edinburgh 2007, p31.

من جهة أخرى ارتأينا أن نجعل لفظة "معارف" (بالجمع تمييزا لها عن معرفة بالإفراد) كمقابل للفظ الانجليزي "knowledge" أو اللفظ الفرنسي "connaissance" باعتبارها تمثل ثمرة المعرفة أي ما يمكن أن يحصل عليه العارف من معلومات وخبرات متنوعة انطلاقا من الوظيفة المعرفية التي يؤديها الدماغ أساسا، ثم إعادة استخدام هذه المعارف المخزنة بشكل من الأشكال. وعلى هذا الأساس يتخصّص استخدامنا الذي اخترناه لهذه المصطلحات على مدار عملنا هذا.

(1) المعجم الفلسفي، ط مجمع اللغة العربية بالقاهرة، 1983م، ص 6.

وتتميز من باقي معطيات الشعور، من حيث إنّها تقوم في آن واحد على التقابل والاتحاد الوثيق بين هذين الطرفين"[1].

أما عن علاقة المعرفة بالتفكير (thinking) فترى لورا تايلور[2] أنهما مصطلحين يقبلان المبادلة فيما بينهما، ولكن التفكير نفسه ليس بالعملية البسيطة، أو أنه مجرد عملية أحادية، بل هو إجراء معقد يستنهض العديد من العمليات الأخرى. وترى الباحثة أيضا أنّ التفكير ينطوي على معالجة المعلومات التي نحتاجها قبل أية معالجة ممكنة الحدوث. لذلك هناك من اقترح أننا نولد ببعض المعارف الفطرية الغريزية (innat knowledge)، ورغم ذلك فإن الكثير من معارفنا يأتينا كمحصّلة للاكتساب، والتفاعل مع محيطنا وإيداع أو تخزين ما تمّت تجربته في الذاكرة.

ويحدّد فيفيان إيفنس[3] مصطلح "المعرفة" بربطها بكل المظاهر الوظيفية للذهن، الواعية منها وغير الواعية. وهي تشكّل بوجه خاص الوقائع الذهنية (أي الآليات والعمليات) والمعارف التي ينطوي عليها حشد كامل من المهام الممتدة من إدراك الشيء (المحسوس) "ذي المستوى الأدنى" إلى مهام اتخاذ القرار "ذي المنتوى الأعلى".

---

(1) المرجع نفسه، صص 186-187.

(2) Cf. Lora Taylor: **introducing cognitive development**, psychology press, Taylor & Francis group, 2005, p2.

(3) Vyvyan Evans: **A Glossary of Cognitive Linguistics**, p17.

تشمل هذه الجوانب المرتبطة بالوظيفة الذهنية ما يؤديه الذهن من أنشطة ووظائف متعدّدة لكنّها محصورة في سلسلة من الأنشطة البشرية مثل التذكر، اتخاذ القرار، التعقل، التخطيط، وما إليه، وكلّها عمليات ذهنية تندرج بصفة عامة تحت تسمية "معرفة"، وهي المهام التي يؤديها نشاطنا المعرفي.

إنّ دراسة هذا النشاط المعرفي قديم قدم التفكير البشري، وقد حظيت الفلسفة وعلم النفس بالقسط الوافر في مقاربة هذا الموضوع، ومن الأسئلة التي تم طرحها تلك التي تعلقت بطبيعة المعرفة كما يقول روبرت ستارنبرغ[1]، ويضيف بأن دراسة المعرفة أصبحت أمرا أساسيا ليس فقط بالنسبة لهؤلاء المنشغلين بالعلم المعرفي، بصفة عامة، وعلم النفس المعرفي، بصفة خاصة، ولكن بالنسبة لأغلب هؤلاء المهتمين بدراسة الذهن. ففي علم النفس، صار معلوما أن المعرفة تلعب الآن دورا مركزيا في علم النفس الاجتماعي (دراسة المعرفة الاجتماعية)، وفي علم النفس التطوري (دراسة النمو المعرفي)، وفي علم النفس العلاجي (أو علم النفس المرضي)، وفي علم النفس التربوي (دراسة المعرفة داخل الصف)، وفي علم النفس العصبي (دراسة العمليات المعرفية المرتبطة بعمل الدماغ)، وفي كل مجالات علم النفس بصفة عملية. أما في الفلسفة، فقد تجلّت المعرفة كونها الموضوع المركزي الأكثر تأملا من قبل

(1) Cf. Robert j Sternberg: **The nature of cognition**; massachusetts Institute of Technology, 1999, preface: p vii.

فلاسفة الذهن منذ أفلاطون إلى الفلاسفة المعاصرين. وحتى الكثير من علماء الاقتصاد صار من المعلوم الآن أنهم لن يفهموا أبدا وبحق سلوك المستهلك حتى يتخذوا نماذج "الرجل والمرأة الاقتصاديَين" العقليَين، والأخذ بعين الاعتبار كيفية تفكير الناس حقيقة. وفي الأنثروبولوجيا، أصبحت الأنثروبولوجيا المعرفية فرعا أساسيا. وفي اللسانيات، تعرّف الكثير من اللسانيين على العلاقة المتبادلة القريبة بين الفكر واللغة.

هذا الاكتساح الملاحظ للمعرفة في مجالات وتخصصات عديدة حتّم على المهتمين التفكير في تخصيص علم خاص بها يحمل الصبغة المؤسساتية والأكاديمية، ويكون بمثابة المظلة الجامعة لشتى هذه التخصصات وغيرها، والاستفادة من تضافرها من أجل تيسير البحث في المعرفة والذهن البشريين، والوصول إلى نتائج علمية أكثر رصانة ما أمكن.

2. ما هو العلم المعرفي؟

يحدّد جورج لايكوف العلم المعرفي بأنه "ميدان جديد ترافق مع ما عرف عن الذهن في تخصصات أكاديمية متعدّدة: في علم النفس، واللسانيات، والأنثروبولوجيا، والفلسفة، وعلم الحاسوب. وهو ينشد إجابات مفصلة عن هذه الأسئلة: ما هو التعقل؟ كيف نعطي معنى لتجربتنا؟ ما هو النسق التصوري وكيف يتم تنظيمه؟ هل يستعمل الناس كلهم النسق التصوري نفسه؟ إن كان الأمر كذلك، فما هو هذا النسق؟ وإن لم يكن كذلك، فما هو

المشترك تحديدا في طريقة تفكير الكائن البشري؟ [هذه] الأسئلة ليست بجديدة، ولكن [نوع] الإجابات الراهنة عنها هي كذلك"[1].

ويرى رادو ج. بوغدان[2] في تأريخه للعلم المعرفي أنه برغم إطلاق هذه التسمية عليه، إلا أن العلم المعرفي مع ذلك ليس علما منسجما وموحدا بصفة تامة، ولكنه ائتلاف فضفاض بصفة متعادلة لتخصصات منفصلة إلى حد كبير، بعضها وصفي وتجريبي (كعلم النفس المعرفي، واللسانيات، وعلم الأعصاب، والأنثروبولوجيا المعرفية)، والبعض الآخر تأملي وتأسيسي (كالفلسفة)، والبعض الآخر تأملي وتطبيقي معا (كالذكاء الاصطناعي).

إنّ الأسئلة التي يطرحها العلم المعرفي بخصوص المعرفة البشرية ليست جديدة كما يقول لايكوف لأن محاولة فهم الذهن وعملياته تضرب بجذورها بعيدا في التاريخ الفكري، كما أن المتتبع لتطور هذا الاهتمام عبر المراحل التاريخية يمكنه أن يستنتج أن التفكير حول هذه المسألة لم يتوقف، وقد تنازعه (في التقليد الغربي

---

(1) George Lakoff: **Women, Fire, and Dangerous Things,** What Categories Reveal about the Mind. The University of Chicago Press, Chicago and London, 1987. p Xi (preface)

(2) Cf. Radu J. Bogdan: **history of cognitive science,** (صفحات ويب دون ترقيم
from the site: http://plato.stanford.edu/entries/cognitive-science/

بشكل خاص) مجالان اثنان على الأقل هما: الفلسفة، وعلم النفس[1].

---

(1) يختصر رادو ج. بوغدان هذه السيرورة الطويلة وهذا الانتقال في الاهتمام بالمعرفة بين الفلسفة وعلم النفس بقوله أن محاولة فهم الذهن وعملياته تعود على الأقل إلى الإغريق القدماء، حيث حاول فلاسفة مثل أفلاطون وأرسطو شرح طبيعة المعارف البشرية. أما أفلاطون فاعتقد أن المعارف الأهم تأتي من كون الناس يعرفون بالفطرة وبصفة مستقلة عن التجربة الحسية. فلاسفة آخرون مثل ديكارت وليبنيز (Leibniz) اعتقدوا أيضا بأنه يمكن اكتساب المعارف فقط بواسطة التفكير والتعقل، وهو الموقف المعروف بالنزعة العقلية. وعلى النقيض، يجادل أرسطو بأن المعارف من خلال قواعد مثل "كل البشر هم ميتون" تكتسب من التجربة. هذا الموقف الفلسفي، دافع عنه لوك، هيوم، وآخرون، وهو المسمى بالنزعة التجريبية. في القرن الثامن عشر، حاول كانط أن يجمع بين النزعتين العقلية والتجريبية بمحاولة إثبات أن المعارف البشرية تعتمد على كل من التجربة الحسية والقدرات الفطرية للذهن. وقد سايرت دراسة الذهن التخصص الفلسفي إلى غاية القرن التاسع عشر، حيث تطور علم النفس التجريبي. وكان ويلهالم ووندت وتلامذته أول من استهل طرقا مخبرية لدراسة العمليات الذهنية بنسقية أكبر. ومع ذلك وخلال بضعة عقود، أصبح ذوو النزعة السلوكية مهيمنين على علم النفس التجريبي، برؤيتهم التي أنكرت بالفعل وجود الذهن. وفي منظور السلوكيين مثل واطسون (1913) ينبغي على علم النفس أن يقيد نفسه بدراسة العلاقة بين المثير القابل للملاحظة والاستجابة السلوكية القابلة للملاحظة. واستبعد الحديث عن الوعي والتمثيلات الذهنية عن المناقشة العلمية الجديرة بالاهتمام. وتواصلت هيمنة النزعة السلوكية (في أمريكا الشمالية خاصة) إلى غاية سنوات الخمسينيات، أين تراجع تأثيرها لصالح النزعة الذهنية.

- Cf. Radu J. Bogdan: **history of cognitive science**. Ibid

2 . 1 . انبثاق العلم المعرفي وتطوره:

يعود انبثاق العلم المعرفي كمجال علمي مختص بالظواهر المعرفية، وكونه مسعى تعاوني لعلوم مختلفة (كعلم النفس، والحاسوب، وعلم الأعصاب، واللسانيات، وغيرها) إلى النصف الثاني من القرن العشرين (سنوات الخمسينيات تحديدا)، وقد لحقت به عدة تطويرات على طول السنوات التي تلت هذه الفترة.

يرتبط ظهور بوادر العلم المعرفي بجماعة من الباحثين من أوساط علمية مختلفة، أسهموا مجتمعين في انبثاقه، منهم بحسب ما يذكر ج. غراهام وأ. أبراهمسن و و. بشتال في مقال مشترك[1]: عالم النفس جورج ميلر (George Miller) الذي أسهم بشكل رئيسي في انبثاقه وأرخ لميلاده بيوم 11 سبتمبر من سنة 1956، اليوم الثاني لعقد ندوة نظرية المعلومات في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا (MIT). حيث قدّم عالمي الحاسوب ألان نوال (Allen Newell) وهربرت سيمون (Herbert Simon)، واللساني نوام شومسكي (Noam Chomsky)، وميلر نفسه عملا أعاد به كل واحد منهم مجاله إلى وجهة أكثر معرفية.

(1) Cf. W.Bechtel, A. Abrahamsen, and G.Graham : **Science cognitive: history**, International Encyclopedia of the Social & Behavioral Science; p2154.
(From:
http://mechanism.ucsd.edu/teaching/w07/philpsych/bechtel.cogscihistory.pdf)

لقد وضّح هذا الملتقى المبكر إحدى سمات العلم المعرفي اللصيقة به، وهي كونه ليس تخصصا يقوم على اتجاه خاص به، ولكنه مسعى متعدّد التخصصات. وبرغم إنشاء أقسام قليلة للعلم المعرفي في الجامعات في العشريات اللاحقة، إلا أن أغلب المزاولين له تلقوا دراساتهم وكرّسوا عملهم ضمن أقسام هذه التخصصات المساهمة بصفة منفصلة. ومع مرور السنوات تفاوت البروز النسبي لها من تخصص إلى آخر. فعلم الحاسوب وعلم النفس مثلا لعبا دورا كبيرا أينما حلوا. وعلم الأعصاب كانت بدايته قوية، ولكن دوره انحدر في السنوات التي تلت ملتقى سنة 1956 مباشرة، في حين ارتقت اللسانيات بصفة مثيرة. وفي سنوات السبعينيات، صار لفروع أخرى كالفلسفة، وعلم الاجتماع، والأنثروبولوجيا، إسهامات مميّزة. وفي الوقت الراهن، عاود علم الأعصاب بروزه المميّز مرة أخرى مع انبثاق علم الأعصاب المعرفي.

أول بروز لمصطلح "علم معرفي" كان منتصف السبعينيات، وتحديدا سنة 1975، ويذكر ويليام بشتال و ميتشل هارشباش[1] اسمي كتابين وظفا هذا المصطلح أول مرة، أحدهما بعنوان *استكشافات في المعرفة* (Explorations in Cognition)، عبارة

(1) William Bechtel and Mitcheil Herschbach: **Philosophy of the Cognitive Sciences**, Penultimate version of chapter published in Fritz Allhoff (Ed.), Philosophies the Sciences (pp. 239—261). Oxford: Wiley-Blackwell,
(from:
http://mechanism.ucsd.edu/~mitch/research/philcogsci.pdf)

عن بحث جماعي صدر في جامعة كاليفورنيا بسانديغو (UCSD)، جاء في خاتمته هذا الاقتراح حيث نقرأ العبارة الاصطلاحية: "إنّ الجهود الموحدة لعدد من الأفراد (...) من اللسانيات، والذكاء الاصطناعي، وعلم النفس تكون قد أبدعت حقلا جديدا: إنه العلم المعرفي". أما الكتاب الثاني فمن تأليف عالم الحاسوب دانيال بوبراو (Daniel Bobrow) وعالم النفس المعرفي ألان كولينز (Allan Collins) اللذين وظفا المصطلح في العنوان الفرعي لعملهما: *التمثيل والفهم*: دراسات في العلم المعرفي (Representation and Understanding: Studies in Cognitive Science).

وحسب الباحثين أيضا يكتسب العلم المعرفي في هذه الفترة الصبغة المؤسساتية والتنظيمية بعد رحلة قصيرة من التأسيس والتصادم مع أفكار أخرى مسيطرة أهمّها أفكار النزعة السلوكية في علم النفس واللسانيات (التوزيعية) التي ما تزال مهيمنة منذ جون واطسون (1913)، الذي ألحّ على أن يتم التركيز على السلوك، وليس على الأنشطة الذهنية الافتراضية؛ رغم وجود بعض الاستثناءات في تبنّي هذه الأطروحات الراديكالية النافية لذلك. كان ذلك في أمريكا الشمالية تحديدا، أما في أوربا فبرزت منظورات بديلة متنوعة أكثر إيجابية لإعطاء خصيصات ذهنية للكائن البشري، ازدهرت هذه المنظورات وصار لها تأثير على تطوير العلم المعرفي[1].

---

(1) من هؤلاء يذكر الباحثان: جان بياجي (Jean Piaget) الذي اقترح عمليات معرفية في ابستمولوجيته التطورية، وفريديريك بارتلت=

قبل سنة 1956 (11 سبتمبر) تاريخ أول ندوة للعلم المعرفي، يذكر ويليام بشتال وميتشل هارشباش بعض الإسهامات التي وطأت الطريق للانتقال إلى تعليل السلوك اعتمادا على فهم النشاط المعرفي للذهن، عندما برزت الحاجة إلى إيجاد طريقة لبناء تصور للأحداث (الوقائع) الداخلية الذهنية التي تترجمها بوصفها سيرورات سببية تسهم في توليد السلوكات.

بزغت هذه الإسهامات معا في 11 سبتمبر 1956، في اليوم الثاني للندوة الثانية حول نظرية المعلومات، حيث تم تقديم ثلاثة أعمال[1] لكل من نوال وسيمون (علم النفس)، وجورج ميلر (الذكاء الاصطناعي)، ونوام شومسكي (اللسانيات)، التي عدت بمثابة البداية لتأسيس علم جديد يكون قابلا للتعرف عليه، ومتداخل التخصصات. وبدأ الباحثون من مجالات متعددة في تطوير نظريات للذهن تتأسس على تمثيلات معقّدة، وإجراءات حوسبية. ومن هذه البدايات، بدأ البحث في العلم المعرفي يتبرعم ويتطور أكثر فأكثر إلى الفترة الراهنة.

= (Frederick Bartlett) الذي قدّم خطاطات (بنيات منظمة) لتعليل تشوهات الذاكرة، وعلم النفس الجشطلتي الذي أعاد صياغة الإدراك الحسي (perception) من خلال صور ذاتية التنظيم، وليف فيجوتسكي (Lev Vygotsky) وألكسندر لوريا (Alexander Luria) اللذان قدّما دراسات توضح التأثيرات الثقافية على اللغة والفكر. وإيفن (Even) في علم طبيعة النفس (psychophysics) .

(1) ينظر تفصيلها في المقال المذكور.

2 . 2 . تعريف مختصر بالتخصّصات المساهمة فيه :

المقصود بالتخصصات المساهمة في العلم المعرفي تلك التخصصات العلمية المنتمية إلى مجالات مختلفة[1] كعلم النفس، والذكاء الاصطناعي، وعلم الأعصاب، واللسانيات، والأنثروبولوجيا، والفلسفة، التي عمد الباحثون فيها إلى تطوير نظريات للذهن بتبنّي طرقا جد مختلفة لدراسته. هؤلاء الباحثون حسب بول ثاغارد[2] يمكن برغم اختلاف مشاربهم، التقريب فيما بينهم بصفة مثلى؛ لإعطاء تفسير مشترك لكيفية عمل الذهن. تأتي هذه الرؤية الموحدة للعلم المعرفي من النظر في هذه المقاربات النظرية المتعددة باعتبارها جميعا تهتمّ بالتمثيلات الذهنية والإجراءات التي تماثل التمثيلات والإجراءات المألوفة في برامج الحاسوب.

---

(1) يقول بول ثاغارد أنه بسبب هذا التداخل يعد تدريس مقرر العلم المعرفي المتداخل التخصصات صعبا لأن الطلبة يقصدونه بخلفيات جد مختلفة... فهو من جهة مقصد طلبة من علم الحاسوب و الهندسة رفيعي المستوى فيما يتعلق بالحوسبة ولكن لديهم علم قليل عن علم النفس أو الفلسفة؛ ومن جهة أخرى، هو مقصد طلبة لديهم خلفيات جيدة في علم النفس والفلسفة ولكنهم يعلمون القليل بخصوص الحوسبة. ينظر:

- Paul Thagard: **Mind, Introduction to Cognitive Science** , second edition, A Bradford Book, The MIT Press Cambridge, Massachusetts, London, England, 2005, p ix (Preface)

(2) Cf. Paul Thagard ,ibid , p 19

إنّ دراسة الذهن، حسب بول ثاغارد أيضا، هي دراسة متداخلة التخصصات تكون بحاجة إلى تلك التبصّرات التي يحرزها الفلاسفة، وعلماء النفس، وعلماء الحاسوب، واللسانيون، وعلماء الأعصاب، والأنثروبولوجيون، والمفكّرون الآخرون. وإنّها تتطلب علاوة عن ذلك، تنوّعا في منهجيات البحث التي تعمل هذه المجالات على تطويرها.[1]

وفيما يلي شرح موجز لأهم هذه التخصصات[2]:

---

(1) Paul Thagard, ibid, p 19

(2) اختصرت هذه الشروح من المراجع التالية:

- الأزهر الزناد: **نظريات لسانية عرفنية**، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، دار محمد علي للنشر تونس، منشورات الاختلاف الجزائر، 2010 م، ص ص 13-37.
- W.Bechtel,A.Abrahamsen,andG.Graham : **Science cognitive: history**,ibid.
- **Univeristy of Alberta Cognitive Science Dictionary**; from:http://web.psych.ualberta.ca/%7emike/Pearl_Street/Dictionary/entries.html

كما نعثر في مقدمة موسوعة العلوم المعرفية التي أصدرها معهد MIT على تعريف مستفيض بهذه التخصصات، ينظر:

- **The MIT Encyclopedia of the Cognitive Sciences**; Edited by Robert A. Wilson and Frank C. Keil, The MIT Press Cambridge, Massachusetts London, England, 1999, pp xxxix, cix

- **الذكاء الاصطناعي:**

يهتم الذكاء الاصطناعي بمحاولة تطوير برامج حاسوبية معقدة لتكون قادرة على أداء مهام معرفية صعبة. مع وجود اختلاف بين العاملين في الذكاء الاصطناعي بين من يولي أهمية كون البرامج المخترعة تحاكي العمل المعرفي البشري، ومن يهدف بوضوح إلى محاكاة المعرفة البشرية على الحاسوب.

ولمقاربة الذكاء الاصطناعي للمعرفة عدة مزايا. فبرمجة الحاسوب تتطلب أن تخصص كل عملية بصفة مفصلة، بخلاف علم النفس المعرفي الذي غالبا ما يعتمد على أوصاف مبهمة. كما يميل الذكاء الاصطناعي أيضا إلى عمل تنظيري عالي، ما يقود إلى اتخاذ توجهات نظرية عامة لها إمكانية تطبيق واسعة.

كان تطوير النماذج الحوسبية (computational models) للكفاءة المعرفية أحد الإلهامات المركزية للعلم المعرفي، هذه النماذج تمخضت عن أفكار قديمة في المنطق الحديث حول تصور التفكير، وتصور الحواسيب كأدوات للحوسبة. واكتسبت هذه الأفكار حياة جديدة في سنوات الثلاثينيات والأربعينيات ثم تسارع الوضع مع قيام الحرب العالمية الثانية إلى غاية منتصف الخمسينيات، أين تم إنتاج أول برنامج يوظف عملية تعقل (reasoning).

يعرف الذكاء الاصطناعي بكونه العلم الذي يسعى إلى جعل الآلة تؤدي ما يؤديه البشر من أعمال بتمكينها من مهارة ذهنية ذكية لها قدرات الذكاء التي للذهن البشري. ويقوم هذا العلم على

ركيزتين هما: البرمجيات الحوسبية والآلة، فالبرنامج (software) يمثل الذهن البشري، والآلة (hardware) بأدواتها تمثّل الجسم البشري بأعضائه.

ولعلم الذكاء الاصطناعي صلة بالفلسفة وعلم النفس في عنايته بطبيعة المعرفة وبغاياتها وبعلاقة الذهن (العقل) بالجسد. هذا وقد تم تطبيق مقاربة الذكاء الاصطناعي في حقول عديدة متنوعة كعلم النفس المعرفي فيما يتصل بالذاكرة، والتخييل (imagery)، والتفكير، وحل المشكلات.

- **علم النفس:**

يعدّ علم النفس المعرفي علما مركزيا بالنسبة للعلوم المعرفية، ومجال دراسته هي العمليات المعرفية من قبيل الإدراك والانتباه والذاكرة واللغة والقصد والنشاط الفكري واللغوي وما إلى ذلك من مباحث تهمّ الانفعال والشخصية وغيرها مما له تفاعل مع سائر الملكات المعرفية.

بدأ علم النفس (المعرفي) في أول الأمر كردة فعل ضد النزعة السلوكية التي بدأ في الانعتاق من هيمنتها في فترة الخمسينيات، وبخاصة في أمريكا الشمالية. وقد سبقت الإشارة إلى تأثير النزعة السلوكية الثابت على علم النفس التجريبي في تركيزه على شرح السلوك والاعتماد عليه بوصفه مصدرا أوّليا لها للبرهنة.

لقد عارض السلوكيون الراديكاليون، مثل ب ف سكينر، الانشغال بالعمليات الداخلية وركزوا على ما يكون قابلا للملاحظة. ورغم وجود بعض السلوكيين الذين شذوا عن القاعدة؛ فإن معظم علماء النفس، مع ذلك، قالوا بالاكتساب بدلا عن المعرفة بوصفها مجالا للاهتمام. وخير من عبّر عن ذلك جورج ماندلار(George Mandler) بقوله إن "المعرفة كانت كلمة مضجرة بالنسبة إلينا (...) بسبب ما كان ينظر به إلى علماء النفس المعرفيين بوصفهم غامضين، يلوّحون باليد، أناس مبهمين لم يكونوا أبدا يؤدون عملا يكون قابلا للفحص".

وبالرغم من هيمنة السلوكيين الواسعة في الولايات المتحدة، إلا أن البدائل التي وضّحت العلم المعرفي من بعد ازدهرت في مكان آخر، في أوربا القارية، (وبخاصة النمو المعرفي لجان بياجي)، وفي أماكن أخرى مثل بريطانيا (مثلا لجوء السيد فريديريك بارتلات إلى الخطاطات لشرح تشوهات الذاكرة وتحليل دونالد براودبانت للذاكرة والانتباه)، وفي ألمانيا وأستراليا (علم النفس الجشطلتي).

اشتغل علماء النفس في الولايات المتحدة بشكل واسع خارج تأثير النزعة السلوكية. ومن علماء النفس العديدين الذين كانوا فيما بعد رواد المقاربة الأكثر معرفية، نجد ميلر، ألريك نايسر (Ulric Neisser)، ودونالد نورمان (Donald Norman) .

من الناحية التاريخية كان ثمّة اعتقاد قديم للبحوث على الدماغ البشري بصلته الوثيقة بفهم العمليات الذهنية. ركز أحد مناحي البحث على العجز الناجم عن الآفات التي تصيب الدماغ، ذلك العمل الكلاسيكي لبروكا (Broca) في القرن التاسع عشر مكتشف ما يسمى الآن منطقة بروكا.

في الوقت الراهن وفي الإطار العام للعلوم المعرفية يعدّ علم الأعصاب (Neuroscience) (أو مبحث الجهاز العصبي) دراسة للنظام العصبي، وله فروع عدة، من قبيل: علم النفس البيولوجي (Biopsychology)، والبيولوجيا العصبية التطورية (Developmental Neurobiology)، وعلم النفس العصبي (Neurophysiology)، وغيرها.

ضمن هذا الإطار، يكون من الأهمية بمكان التعرف على أهمية علم الأعصاب في المساهمة في تشكيل المعارف البشرية. ويجب على العلماء المعرفيين أن يكون لديهم على القليل الأقل فهم قاعدي وإدراك للمبادئ العلمية العصبية. من أجل تطوير نماذج مضبوطة، مع ضرورة أخذ الخصائص الفيزيولوجية العصبية والتشريحية العصبية بعين الاعتبار.

• اللسانيات المعرفية:

اللسانيات المعرفية مدرسة للسانيات جديدة نسبيا، وواحدة من المقاربات الأكثر إبتكارية وإثارة لدراسة اللغة والفكر، كان انبثاقها ضمن الميدان المعاصر للدراسة المتداخلة التخصصات المعروف باسم العلم المعرفي. وقد بدأت بالتحرك نحو دور مركزي في انبثاق هذا النوع من البحث للذهن والدماغ بعيد انعقاد ملتقى معهد MIT سنة 1956. ومثلما قام علم النفس المعرفي على نقض النزعة السلوكية، نهضت اللسانيات المعرفية أيضا على نقض تيارات سابقة نقضا منهجيا بالأساس، فكان الخروج عن المنهج الإجرائي القائم على الوصف البنيوي والتوزيعي وعلى المنهج الشكلي/ الصوري.

تجري اللسانيات المعرفية - كتسمية عامة- على تيار أو حركة تجمع عددا من النظريات التي تشترك في الأسس والمنطلقات ولكنها مختلفة متنوعة متداخلة في بنائها ومشاغلها وتوجهاتها ومجالات العناية فيها. ولذلك فمن الضروري هنا التمييز بين اتجاهين لسانيين معرفيين يشتركان في هذه التسمية، يمكن التمييز بينهما من خلال هذين التحديدين اللذين يبدوان مختلفين للمصطلح نفسه، يتعلق الأول بالتحديد الذي وضعه هادمود بوسمان (Hadumod Bussmann) في قاموسه، قائلا بأن اللسانيات المعرفية "اتجاه في البحث متداخل التخصصات، تطور في نهاية الخمسينيات في الولايات المتحدة [الأمريكية] ويعنى بدراسة

العمليات الذهنية لاكتساب واستخدام المعارف واللغة. وهو على خلاف مع النزعة السلوكية المركزة على السلوك القابل للملاحظة والسيرورات استجابة- مثير (...). والدراسة فيه هي بحث في البنية الذهنية أو المعرفية وتنظيمها بتحليل الاستراتيجيات المعرفية التي يستخدمها الإنسان في عملية التفكير، وتخزين المعلومات، وعملية الاستيعاب، وإنتاج اللغة"[1].

أما التحديد الثاني فاخترناه من "معجم اللسانيات والتداولية" لواضعه ألان كروز (Alan Cruse) الذي قدّم التحديد التالي بتفصيل أكبر من الأول، حيث قال:

"هي مقاربة لدراسة بنية اللغة والسلوك اللغوي والتي تطورت فعليا منذ الثمانينات. يندرج خلف هذه المقاربة عدد من الأطروحات الأساسية. تقول الأولى إن اللغة موضوعة لغرض تبليغ المعنى، ومهما كانت بنياتها، بما فيها الدلالية، والنحوية، أو الصوتية، فينبغي أن تكون مرتبطة بهذه الوظيفة. وتقول الثانية بتجسد المقدرات اللغوية، وأنها غير منفصلة عن المقدرات المعرفية الكلية، إذ لا وجود لقسم من الدماغ مستقل بذاته مخصوص باللغة. نتيجة لهذا بالنسبة لعلم الدلالة لا يمكن تكلّف وضع تمييز مبدئي بين المعنى اللغوي والمعارف الكلية. أما الأطروحة الثالثة فتقول إن

(1) Hadumod Bussmann: **Routledge Dictionary of Language and Linguistic**, translated and edited by Gregory Trauth and Kerstin Kazzazi ; edition published in the Taylor & Francis e-Library, London and New York, 2006. P 197

المعنى تصوري بصفة طبيعية ويتضمن صورة مشتركة أو متأثرة بالمادة الخام المدركة حسيا والمتصورة بطرق مخصوصة. تتمسك اللسانيات المعرفية بأن مقاربة شروط الصدق لا تستطيع إعطاء تعليل كاف للمعنى. وللسانيات المعرفية اتصال وثيق بعلم النفس المعرفي، وإنّها تتكفل على الخصوص بالاشتغال على بنية وطبيعة التصورات... "[1].

نلاحظ بداية اختلاف التعريفين في تحديد البداية التاريخية لهذا الفرع من الدراسة اللغوية، ففيما يرجعه الأول إلى نهاية الخمسينيات يصعد به الثاني إلى بدايات الثمانينيات، فالتحديدان يرتبطان باتجاهين مختلفين وإن كانا يندرجان ضمن نفس الإطار المعرفي العام.

أما مكمن الاختلاف فهو جوهري، بل إنّ الاتجاه الثاني لم يقم إلا كردة فعل على الاتجاه الأول الذي يمثله نوام تشومسكي بنظريته التوليدية التي تعد معرفية أيضًا، إضافة إلى نظرية دلالة شروط الصدق (المنطقية)[2] (truth-conditional (logical) semantics)،

---

(1) Cf. Alan Cruse: **A Glossary of Semantics and Pragmatics**, Edinburgh University Press, 2006, p.26

(2) المقصود بدلالة شروط الصدق تلك الأفكار التي ارتبطت بها يسمى "فلسفة اللغة"، تتعلق هذه الأفكار بالمعنى، والصدق/ أو الحقيقة والواقع، وكيف يمكن للمعنى أن يمثل وفقا للغة واصفة صورية مستمدة من المنطق. هذه الأفكار كان لها تأثير كبير على اللسانيات الصورية في سنوات الستينات والسبعينات. يراجع لأكثر تفصيل: =

للأسباب التي يذكرها ويليام كروفت وألان كروز[1] عند تعيينهما للمبادئ والأطروحات الأساسية التي توجه اللسانيات المعرفية (التي تختلف عن لسانيات تشومسكي) والتي يختصرانها في ثلاثة افتراضات رئيسية توجه الاتجاه اللساني المعرفي الآخر للغة، وهي:

- اللغة ليست ملكة معرفية مكتفية بذاتها.
- النحو هو البناء التصوري.
- تنبثق المعارف اللغوية في الاستخدام اللغوي.

تمثل هذه الافتراضات الثلاثة ردّة فعل على الأشكال الأولى من اللسانيات المعرفية للمقاربات النحوية والدلالية التي ما تزال مهيمنة إلى الوقت الحالي، أي النحو التوليدي (generative grammar) ودلالة شروط الصدق (المنطقية). يعارض المبدأ الأول الفرضية الشهيرة للنحو التوليدي بكون اللغة ملكة معرفية مكتفية بذاتها (أو فطرية على الأصح) أو مكونا منفصلا عن القدرات المعرفية غير اللغوية. ويعارض المبدأ الثاني دلالة شروط الصدق، حيث تقيّم اللغة الواصفة الدلالية (semantic metalanguage) من خلال الصدق والكذب المرتبطين بالعالم (أو بدقة أكبر، بنموذج العالم model of the world). أما المبدأ الثالث فيعارض توجهات ذوي النزعة الاختزالية (reductionist tendencies) في كل من

= - Cf. William Croft & D. Alan Cruse: **Cognitive Linguistics,** Cambridge University Press, 2004, p 446

(1) Cf. William Croft & D. Alan Cruse, ibid. pp 1-2

النحو التوليدي ودلالة شروط الصدق، حيث تُنشد التمثيلات المجرّدة في حدّها الأعلى والتمثيلات العامة للشكل النحوي والمعنى، والكثير من الظواهر النحوية والدلالية تعزى إلى "الحد الخارجي" (periphery).

ويرى الباحثان أنّ النحو التوليدي ودلالة شروط الصدق ما يزالان بطبيعة الحال نموذجين للبحث (paradigme) نشيطين إلى اليوم، وكذلك اللسانيات المعرفية تستمر في تقديم الحجج عن افتراضاتها الأساسية، فضلا عن الكشف عن مسائل تجريبية أكثر تخصيصا للتركيب والدلالة داخل النموذج المعرفي.

يهمّنا في هذا الحيّز أن نفصّل قليلا في هذه الافتراضات أو الأطروحات الثلاث لصلتها الوثيقة بدراسة الاستعارة كما سنرى لاحقا، يقول الباحثان بهذا الخصوص إنّ الافتراض الأول بكون اللغة ليست ملكة معرفية مكتفية بذاتها، له مستتبعات أساسية تتمثل في كون تمثيل المعارف اللغوية هو بالأساس نفس تمثيل البنيات التصورية الأخرى، وأن العمليات حيث يتم استخدام المعارف لا تختلف بصفة جذرية عن القدرات المعرفية المستخدمة خارج المجال اللغوي.

تقول اللازمة الأولى بأن المعرفة اللغوية -معرفة المعنى والشكل- هي بنية تصورية بالأساس. ولن يكون صعبا على الأرجح قبول الافتراض القائل بأن التمثيل الدلالي هو تصوري

بالأساس. ولكن اللسانيات المعرفية تحاول أن تثبت أن التمثيل التركيبي والصرفي والصوتي هو تصوري بالأساس أيضا.

وتقول اللازمة الثانية بأن العمليات المعرفية التي توجه استعمال اللغة، أي بناء المعنى و تبليغه بواسطة اللغة بوجه خاص، هي في أساسها كشأن القدرات المعرفية الأخرى. أي أن تنظيم المعارف اللغوية واستعادتها لا يختلف بذات أهمية عن تنظيم واستعادة المعارف الأخرى في الذهن، والقدرات المعرفية التي نطبقها للتكلم باللغة واستيعابها لا تختلف بذات أهمية عن تلك المطبقة في المهام المعرفية الأخرى، مثل الإدراك الحسي البصري، والتفكير أو النشاط الحركي.

ويرى الباحثان أن هذا الموقف قد يؤخذ أحيانا كرفض للقدرة اللغوية البشرية الفطرية. لكن المسألة ليست كذلك، فالرفض هنا موجه للقدرة البشرية الفطرية مخصّصة الغرض (special-purpose)، والمكتفية بذاتها للغة. إنه من المعقول طبعا اعتبار وجود مكون فطري مهمّ للقدرات المعرفية البشرية العامة، وأن هناك بعضا من هذه الخاصيات الفطرية تعطي نهوضا للقدرات اللغوية البشرية التي لا يمتلكها أيّ نوع إحيائي آخر بشكل واضح. ومع ذلك، لا تثير فطرية القدرات المعرفية انشغالا كبيرا للساني المعرفي المهتم بإثبات دور القدرات المعرفية العامة في اللغة.

إنّ افتراض كون اللغة ليست ملكة عقلية معرفية مكتفية بذاتها كان له اقتضاءين رئيسيين للبحث اللساني المعرفي، فقد تمّ تكريس

الكثير من البحوث اللسانية المعرفية لشرح البنية التصورية والقدرات المعرفية كما تبدو مطبقة على اللغة، في مسعى إثبات إمكانية نمذجة اللغة على نحو واف باستخدام هذه البنيات التصورية العامة والمقدرات المعرفية فقط. وثانيا، يلجأ اللسانيون المعرفيون على الأقل وفي الأساس إلى نماذج من علم النفس المعرفي، من خلال نماذج خاصة للذاكرة، والإدراك الحسي، والانتباه والمقولة.

الفرضية الثانية الرئيسية للمقاربة اللسانية المعرفية تتجسد في شعار لانغاكر "النحو بناء تصوري". يشير هذا الشعار إلى الفرضية الأكثر خصوصية حول البنية التصورية، يعني أن البنية التصورية لا يمكن أن تختزل إلى شروط صدق بسيطة متوافقة مع العالم. فالمظهر الرئيسي للمقدرة المعرفية البشرية هو بناء تصور للتجربة ليتم تبليغها (وكذلك بناء تصور المعرفة اللغوية التي نملك).

أما الفرضية الثالثة الرئيسية فتقول بانبثاق المعارف اللغوية من الاستعمال اللغوي. أي أن المقولات والبنيات في الدلالة، والتركيب، والصرف، والفونولوجيا، تبنى انطلاقا من إدراكنا لملفوظاتنا المخصصة وفق مناسبات مخصوصة الاستخدام.

هذه بصفة عامة افتراضات اللسانيات المعرفية وأطروحاتها الرئيسية كما أوردها كروفت وكروز، على أن تكون لنا عودة للتفصيل أكثر في هذا الفرع أو التخصص في العنصر الموالي من هذا المدخل للصلة الوثيقة التي تربط اللسانيات المعرفية بدراسة

الاستعارة في هذا الإطار اللساني، وسوف نرى أن موضعة دراسة الاستعارة قد ترسخت بشكل واضح في هذا الإطار أي إطار اللسانيات المعرفية القائلة بهذه الأطروحات، دون أن يعني ذلك استبعاد الفروع الأخرى من المساهمة في مقاربة الاستعارة مقاربة معرفية. وهذا ما يبدو لنا مسوّغا لتحديد الإطار الأنسب لمدارسة الاستعارة، أي ضمن إطار الدراسة اللغوية، بوصفها تتحقق في نسق لغوي بشكل واضح انطلاقا من نسق تصوري ذهني يندرج خلف هذا التحقق، كما تقول بذلك النظريات المعرفية المختلفة وكما تحاول العودة بالنشاط اللغوي إلى خلفيته الذهنية العصبية بأن جعلت منه مهارة من جملة مهارات معرفية عديدة يمتلكها البشر، وهي مهارة محكومة بالمبادئ المعرفية العامة لا بمبادئ لسانية خاصة باللغة دون سائر الملكات المعرفية. فاللغة بتناولها في حركتها واشتغالها تمثل مدخلا لفهم الكثير من مظاهر المعرفة البشرية من حيث طبيعتها وتغيّرها خلال الزمن ونشوئها أو اكتسابها وهو ما تقصر عنه المداخل الشكلية (الصورية) المعهودة.[1]

إنّ اللسانيات المعرفية التي يهمّنا أمرها هنا هي هذه التي قصدها ميلاني غرين وفيفيان إيفنس بالتحديد التالي:

"اللسانيات المعرفية مدرسة حديثة للتفكير اللساني، كان انبثاقها في الأصل مع بدايات السبعينيات نتيجة عدم رضاها عن المقاربات الصورية للّغة. وهي تضرب بجذورها إلى انبثاق العلم

(1) ينظر: الأزهر الزناد: **نظريات لسانية عرفنية**، مرجع مذكور، ص 34

المعرفي الحديث في الستينيات والسبعينيات، وبصفة خاصة في العمل المتعلق بالمقولة البشرية، وفي الأدبيات الأولى على غرار علم النفس الجشطلتي. لقد هيمن على البحث المبكر في فترة السبعينات والثمانينيات عدد قليل نسبيا من الدارسين. وفي بدايات التسعينيات كان هناك نمو وتكاثر للبحوث في هذا المجال، (...). توصف اللسانيات المعرفية بأنها "حركة" أو "مشروع" لأنها ليست نظرية مخصوصة. ولكنّها مقاربة تبنّت مجموعة مشتركة من المبادئ الموجهة، والافتراضات والمنظورات التي أفضت إلى مجال متنوّع من النظريات المتكاملة، والمتداخلة (والمتنافسة أحيانا)."[1]

3. الاستعارة وتطور العلم المعرفي:

لقد اخترنا هذه الصياغة لهذا العنوان لنبيّن أنّ الاهتمام بالاستعارة (أو اللغة المجازية عامة) لم يستثر عناية خاصة إلا مع التطور الذي مسّ العلم المعرفي منذ نشأته سنوات الخمسينيات من القرن العشرين إلى غاية منتصف السبعينيات وبداية الثمانينيات، الفترة التي عرفت تحولا جذريا وانطلاقة أفكار جديدة أو ما عرف بالثورة المعرفية، موازاة مع انبثاق ما بات يعرف باللسانيات المعرفية القائلة بتجسد الذهن، والمضادة للاتجاه التوليدي والمنطقي.

يمكننا الحديث هنا عن طورين أساسيين مرّ بهما العلم المعرفي يسميهما جورج لايكوف بـ"الجيل الأول" و"الجيل الثاني" للعلم

(1) Vyvyan Evans and Melanie Green: **Cognitive linguistics, an introduction**. p 3

المعرفي، في حوار أجراه معه جون بروكمان (John Brockman)، أين طرح عليه من بين ما طرح سؤالا بصيغة: "أتميّز العلم المعرفي عن الفلسفة؟"[1] ليفصل لايكوف أكثر في أسس هذا المشروع الجديد وأطروحاته من خلال ردّه الذي ننقله بتمامه تقريبا لأهمّيته حين قال:

"هذا سؤال مهمّ وعميق (...) والسبب في أن ليس للسؤال جواب بسيط أن هناك شكلين من العلم المعرفي، أحدهما صيغ بناء على افتراضات الفلسفة الأنجلو-أمريكية، والآخر(...) مستقل عن الافتراضات الفلسفية المخصوصة التي تقيّد نتائج البحث. العلم المعرفي المبكر، وهو ما أسمّيه العلم المعرفي من "الجيل الأول" (أو "العلم المعرفي غير المتجسّد")، الذي صمّم ليناسب الإصدارة الصورانية[2] للفلسفة الأنجلو- أمريكية، أي أنها أخذت الافتراضات الفلسفية التي تقيّد الأجزاء الهامة لمحتوى "النتائج" العلمية. بالعودة إلى أواخر الخمسينيات، صاغ هيلاري بوتنام (الفيلسوف الشهير والموهوب) موقفا فلسفيا سمي "النزعة الوظيفية"[3] (...) كان ذلك موقفا فلسفيا على أساس قبلي، وليس على أساس أي إثبات مهما كان. والمقترح كان هكذا: يمكن دراسة الذهن من خلال وظائفه المعرفية - أي من خلال العمليات التي

(1) Cf. John Brockman ,"**Philosophy In The Flesh" A Talk With George Lakoff.** pp.3-4
From :http://serbal.pntic.mec.es/AParteRei/,

(2) a formalist version

(3) "functionalism"

يؤديها- بشكل مستقل عن الدماغ والجسد. والعمليات التي يؤديها الذهن يمكن أن تتمذج على نحو كاف عن طريق معالجة رموز صورية عديمة المعنى، كما هو الحال في برنامج الحاسوب. هذا البرنامج الفلسفي يناسب النماذج التي كانت سائدة في ذلك الوقت في عدد من التخصصات. في الفلسفة الصورية: فكرة إمكانية تخصيص الذهن على نحو كاف باستخدام المنطق الرمزي، الذي يستخدم معالجة الرموز الصورية عديمة المعنى. وفي اللسانيات التوليدية: فكرة إمكانية تخصيص نحو اللغة على نحو كاف من خلال القواعد التي تعالج الرموز الصورية عديمة المعنى. وفي مجال الذكاء الاصطناعي: فكرة أن الذكاء يتركب بصفة عامة في برامج الحاسوب التي تعالج الرموز الصورية عديمة المعنى. وفي معالجة المعلومات السيكولوجية: فكرة أن الذهن هو جهاز لمعالجة المعلومات، حيث تؤخذ المعلومات المعالجة كمعالجة لرموز صورية عديمة المعنى، كما هو الحال في برنامج الحاسوب. كل هذه المجالات قد تطورت من الفلسفة الصورية. هذه المجالات الأربعة تقاربت في العام 1970 إلى شكل العلم المعرفي من الجيل الأول. وكانت رؤية الذهن بوصفه معالجة مجسدة للرموز الصورية عديمة المعنى.

يواصل لايكوف نقده لهذا الوضع وتقديم البديل من خلال رده عن سؤال آخر عن كيفية تناسب وجهة النظر هاته مع العلم التجريبي الذي تبنته اللسانيات المعرفية، يجيب لايكوف بقوله:

"وجهة النظر هذه لم تكن مؤسسة تجريبيا، لقد نشأت من الفلسفة القبلية[1]. ومع ذلك فإنها هيأت البداية لمجالنا. ما كان جيدا عنها هو أنها كانت مضبوطة. وما كان كارثيا بخصوصها هو ما كان لديها من رؤية فلسفية خفية تنكرت كنتيجة علمية. وإذا ما قبلتَ هذا الموقف الفلسفي، فكل النتائج التي لا تتفق مع هذه الفلسفة يمكن اعتبارها هراء. بالنسبة للباحثين الذين تكَونوا ضمن هذا التقليد، كان العلم المعرفي في دراسته للذهن ضمن هذا الموقف الفلسفي القبلي. تم تكوين الجيل الأول من العلماء المعرفيين للتفكير بهذه الطريقة، والعديد من الكتب المدرسية لا تزال تصوز العلم المعرفي بهذه الطريقة. وهكذا لم يتميز الجيل الأول من العلم المعرفي عن الفلسفة، بل إنه يتوافق مع وجهة النظر الفلسفية القبلية التي تضع القيود الدائمة على ما يمكن أن يكون عليه "الذهن". وهنا بعض من هذه القيود: يجب على التصورات أن تكون حرفية. إذا ما تم تخصيص التفكير العقلي من خلال المنطق الصوري التقليدي، فإنه لا يمكن أن يكون هناك شيء يعتبر تصورا استعاريا، وليس ثمة شيء يعتبر فكرا استعاريا. التصورات والتفكير العقلي بالتصورات يجب أن يكونا متمايزين عن التخيل العقلي[2]، بما أن التخيل يستخدم آليات الرؤية ولا يمكن تخصيصه كجريان لمعالجة رموز صورية عديمة المعنى. يجب أن تكون التصورات والتفكير العقلي

(1) أو الأولية (Apriori)، وهي معرفة يفترضها الذهن وتسبق التجربة كما حددها المعجم الفلسفي، مرجع مذكور، ص 28

(2) mental imagery

مستقلين عن النسق الحسي الحركي، بما أنه لا يمكن للنسق الحسي الحركي، المتجسد، أن يكون شكلا من المعالجة-الرمزية المجردة غير المتجسدة. اللغة أيضا - إذا كانت تناسب نموذج المعالجة الرمزية- فإنه ينبغي أن تكون حرفية، ومستقلة عن التخيل، ومستقلة عن النسق الحسي الحركي. من هذا المنظور، يمكن للدماغ أن يكون مجرد أداة لتنفيذ "العقل" المجرد. وفق وجهة النظر هذه لا ينشأ الذهن ولا يتشكل من قبل الدماغ.(...) لم تكن هذه نتائج تجريبية، ولكنها تتبع بدلا من ذلك الافتراضات الفلسفية. وكانت منتصف السبعينيات، الفترة التي أعطي أخيرا للعلم المعرفي اسما ورغب فيه المجتمع والصحافة.."[1] .

يمكن استيضاح معالم الجيل الثاني للعلم المعرفي وظروف انبثاقه من خلال رد لايكوف أيضا على سؤال يتصل بالظروف التي نشأت فيه اللسانيات المعرفية (كما دعا إليها) وكيف تطورت انطلاقا من تجربته الشخصية المبكرة، باعتباره أحد المؤسسين والمنظرين لهذا الفرع الجديد، يقول لايكوف:

"كان عملي المبكر بالفعل بين عامي 1963 و 1975، عندما كنت من أتباع النظرية الدلالية التوليدية[2]. خلال تلك الفترة حاولت توحيد النحو التحويلي لتشومسكي مع المنطق الصوري[3].

---

(1) Cf. John Brockman ,"**Philosophy In The Flesh" A Talk With George Lakoff**. P 4

(2) Generative Semantics

(3) formal logic

وكنت قد ساعدت في العمل في وقت مبكر على الكثير من التفاصيل في النظرية النحوية لتشومسكي. ثم ادعى نوام ولا يزال، حتى هذه اللحظة أستطيع القول، أنّ التركيب[1] مستقل عن كل من المعنى، والسياق، والمعرفة الخلفية، والذاكرة، والمعالجة المعرفية، والقصد التواصلي، وكل مظاهر الجسد. ومن خلال العمل على تفاصيل نظريته المبكرة، وجدت حالات قليلة جدا حيث الدلالات، والسياق، وعوامل أخرى من هذا القبيل قد دخلت القواعد التي توجه الظواهر التركيبية للعبارات والمورفيمات. وانطلقت مع بدايات نظرية بديلة سنة 1963، جنبا إلى جنب مع متعاونين رائعين (...) خلال الستينيات. بالعودة إلى سنة 1963، اقترن علم الدلالة بالمنطق - المنطق الاستنباطي ونظرية النموذج[2]- ومجموعتنا طورت النظرية الدلالية التوليدية التي وحدت المنطق الصوري بالنحو التحويلي. في هذه النظرية، أُخذ علم الدلالة (في صيغته المنطقية) كأولوية لعلم التركيب استنادا إلى الإثبات الذي يرى الاعتبارات الدلالية والتداولية المقحمة في التعميمات التي توجه البنية التركيبية. وقد تبنى تشومسكي أيضا العديد من ابتكاراتنا، مع أنه كان يحاربها بشراسة في سنوات الستينيات والسبعينيات. في عام 1975، أصبحت ملمّا ببعض النتائج الأساسية من العلوم المعرفية المختلفة المتجهة نحو نظرية

(1) Syntax

(2) deductive logic and model theory

تجسد الذهن[1]- مثل الفزيولوجية العصبية لرؤية الألوان، ومقولات النماذج الأساسية والمستوى الأساسي، وعمل تالمي (Talmy) على تصورات العلاقات الفضائية، ودلالة الإطار[2] لفيلمور (Fillmore). هذه النتائج أقنعتني بأن التوجه الكامل للبحث في اللسانيات التوليدية والمنطق الصوري التوليدي كان ميئوسا منه. وقصدت، برفقة لان تالمي، ورون لانغاكر، وجيل فوكونيي، لتشكيل لسانيات جديدة- متوافقة مع البحث في العلوم المعرفية وعلم الخلايا العصبية. سميّت اللسانيات المعرفية، وإنها لمشروع علمي مزدهر. وفي سنة 1978، اكتشفت أن الاستعارة ليست نوعا مقصورا على الاستخدام المجازي في الشعر، وإنما هي آلية أساسية من آليات الذهن. وفي سنة 1979، زار مارك جونسون قسم الفلسفة في بيركلي وبدأنا العمل على التفاصيل وتضمناتها الفلسفية.."[3]

نستنتج من هذه الردود التي أوردنا للايكوف على طولها أهم الأفكار الجديدة التي ستلعب دورا بارزا في التنظير للاستعارة من وجهة نظر معرفية معاصرة، هذه الأفكار يمكن حوصلتها في النقاط الأساسية التالية:

- التأسيس التجريبي (من التجربة).

---

(1) embodied theory of mind

(2) frame semantics

(3) Cf. John Brockman: **"Philosophy In The Flesh" A Talk With George Lakoff**. Ibid. pp 2-3

- أطروحة الذهن المتجسد، والمعرفة المتجسدة كبديل عن المعرفة الصورية والمحوسبة.
- مركزية الاستعارة كآلية أساسية من آليات اشتغال الذهن البشري.

فما المقصود بكل هذه الأفكار التي تبدو أفكارا جديدة؟ وكيف تكون الاستعارة آلية أساسية للذهن والمعرفة؟.

بالعودة إلى بداية مشروع العلم المعرفي يرى تيم روهرر[1] أن هذا المشروع لم يكن مهتما بمسألة اللغة المجازية بسبب انصباب اهتمامه على اللغة الحرفية، ومن العوامل التى جعلته يتجاهل اللغة المجازية وأسهمت في ندرة البحث في مسألة استيعابها عامل النظرية التحيينية[2] (instantiation hypothesis) التي حاولت أن تثبت

(1) Tim Rohrer: **The cognitive science of metaphor from philosophy to neuropsychology**, p2.
(from:
http://citeseerx.ist.psu.edu/viewdoc/download?doi=10.1.1.55.1326&rep=rep1&type=pdf)

(2) ترتبط هذه الفرضية بالجيل الأول للعلم المعرفي كما يسميه لايكوف وتحديدا بنظرية الحوسبة أو النظرية الحوسبية للذهن Computational theory of mind ، حيث نظر إلى الذهن بوصفه حاسوبا (استعارة الذهن حاسوب)، ويرى Diane Pecher و Rolf A. Zwaan أن أحد الأفكار الرئيسية التي دفعت إلى الثورة المعرفية كانت استعارة الكمبيوتر، حيث تم تشبيه السيرورات المعرفية بحوسبات برامج العقل الالكتروني (تورينغ 1950). مفاد هذه الاستعارة أنه تماما كما يمكن للبرامج أن تشتغل وفق=

أنّ التعقل، والذكاء، والأذهان هي حيادية الخضوع، بمعنى أنها مستقلة عن أي تجسد مخصوص (...) ولكن من سوء حظ مناصري هذه الفرضية، أن الكثير من نتائج البحث الراهنة في العلم المعرفي قد تم تفعيلها من قبل ما يعارضها: أي فرضية التجسّد. التي تحاول أن تثبت أن الأذهان ليست بصفة جوهرية عمليات خوارزمية غير متجسدة مثل برنامج الحاسوب، ولكنها تنشأ بدلا من ذلك وتقيّد بأنواع من التنظيم المنعكس في الخصيصات البيولوجية، والتشريحية، والكيميائية الحيوية، والفيزيولوجية العصبية للجسد والدماغ....، وترفض فرضية التجسد بشكل قاطع ادعاء الخضوع الحيادي الذي يقول به مناصرو الفرضية التجيينية.

= أنظمة آلية مختلفة، يمكن للسيرورات المعرفية إذن أن تشتغل بصفة مستقلة عن الآلة حيث يتم مساعدتها لتنفذ (تتحقق)، أي عن الدماغ والجسد البشريين. علاوة على ذلك، تماما مثل برامج الكمبيوتر، يفكر الذهن البشري من أجل معالجة رموز مجردة في حالة تستند على قواعد. هذه الرموز التي عدت مجردة لأنها لا تشتق من تفاعلات بين المحيط والأعضاء والمثيرات الحسية. ويضيف الباحثان بأن النظريات المعرفية التقليدية افترضت أن معنى التصور يؤلف روابط بين الرمز المجرد لهذا التصور والرموز المجردة لتصورات أو سمات دلالية أخرى. ومع ذلك، واجهت هذه الرؤية مشاكل جوهرية. يراجع لأكثر تفصيل:

Diane Pecher and Rolf A. Zwaan: **Introduction to Grounding Cognition**, The Role of Perception and Action in Memory, Language, and Thinking, in: **Grounding Cognition**, Edited by: DIANE PECHER, ROLF A. ZWAAN; Cambridge University Press 2005; pp 1-2

ويرى الباحث أن استيعاب اللغة المجازية له ارتباطات قوية مع فرضية التجسّد، وبخاصة في مجال الاستعارة. وكما بيّن جورج لايكوف ومارك جونسون، فإن استخدامنا العادي للغة مبنين في معظمه بواسطة مبادئ استعارية وكنائية تكشف عن الاتجاهية[1]. فالكائنات البشرية مثلا تخصّص بصفة نسقية الأفكار المجردة- مثل الأفكار، المعتقدات الدينية، المواقف الأخلاقية والسياسية- من خلال حركات وأنشطة جسدية.

ترتبط النظرية الحوسبية للذهن بانبثاق الجيل الأول للعلم المعرفي، ونجد الباحث روبرت كلير[2] يرجع بتاريخها إلى ما بعيد الحرب العالمية الثانية مع انعقاد مؤتمر هيكسون (Hixon Symposium)، يقول في هذا الصدد أنه عندما التقى دارسون (يشار إليهم بصفتهم الجيل الأول للعلم المعرفي) من تخصّصات

---

(1) هذا النوع من الاستعارات تتأسس على ما تم تسميته بـ"الذهن المتجسد". إنها تتأسس على افتراض أن الكائنات البشرية تنظم وتبنين فكرها من خلال تجربتها الجسدية. ما أشار إليه لايكوف وجونسون (1980) بواسطة هذه الاستعارات الاتجاهية هو حقيقة كون الكائنات البشرية لها تنظيم فضائي وتتقاسم عالما تعكس اتجاهاته (مثل فوق-تحت، داخل-خارج-أمام- خلف...الخ). ينظر لأكثر تفصيل الفصل الأول-المبحث الأول من هذا العمل.

(2) Robert N. St. Clair: **Metaphor and the Foundations of the Second Generatin of Cognitive Cognitive Linguistic,**
صفحات ويب دون ترقيم ودون معلومات نشر، ينظر الرابط:
- http://structural-communication.com/Articles/second-generation-cogsci-stcliar.html

مختلفة في معهد كاليفورنيا للتكنولوجيا لمناقشة مقتضيات نظرية جديدة تفيد بأن الذهن البشري يشتغل مثل الحاسوب. وقد ناقش بعض العلماء الذائعي الصيت من علم النفس، وعلم الأعصاب، واللسانيات، والرياضيات، وجهات نظرهم حول نموذج البحث الجديد هذا. ما تم تسجيله عن كل هؤلاء العلماء كمجموعة هو اعتقادهم بأن الدماغ يكون قابلا لمقارنته بالحاسوب. وقد هيمن نموذج البحث هذا على العلم المعرفي لعقود. وقاد نحو تخصصات جديدة متعددة من قبيل اللسانيات الحوسبية، نماذج رياضية للغة، نماذج رياضية للذهن، واللسانيات الصورية.. وقد تأسست النظريات الفلسفية لهؤلاء الباحثين على اعتقاد مفاده أن الذهن والجسد يشتغلان بصفة مستقلة عن بعضهما البعض، وأن اللغة هي بالأساس تشفير رمزي تحيل إلى حالة قضايا في العالم..

ويواصل الباحث قوله أنه بعد ثلاثين سنة من إنشاء العلم المعرفي، بدأ نموذج لغوي جديد في الانبثاق. أتى هذا النموذج الجديد من التحقق بأن اللغة هي استعارية على نطاق واسع وأن الاستعارة تلعب دورا رئيسيا في كيفية تفكير الكائن البشري (لايكوف وجونسون 1980).. سميّت هذه المقاربة الجديدة باللسانيات المعرفية، ولكنها لم تكن من نفس نوع المقاربة اللغوية التي استخدمها نوام تشومسكي وتلامذته في معهد MIT. وتأسّس هذا النوع الجديد من اللسانيات المعرفية على الجيل الثاني من العلم المعرفي. وكان اهتمام روادها الأوائل منصبّا على الكيفية التي يفكر

بها الكائن البشري والدور الذي تلعبه اللغة في المعرفة... والأعمال التي ضمّها هذا الإطار الجديد انبنت على نموذج بحث الجيل الثاني للسانيات المعرفية، وعلى مفهوم الذهن المتجسد. ويمكننا أن نعثر في الوقت الحالي على اتجاهين مختلفين ضمن هذه المقاربة الجديدة للعلوم المعرفية. يهتم أحدهما أكثر بكيفية كون الفكر متجسدا، بينما يهتم الآخر بالترابطات المعرفية والاندماجات الحاصلة على الساحة الذهنية.

السؤال الذي يمكن طرحه بعد هذه الإشارات المقتضبة لهذه التحولات المتسارعة والأفكار المستجدة، هو عن سبب هذه الأهمية التي حظيت بها الاستعارة في التأسيس للسانيات المعرفية في جيلها الثاني، وما المقصود بالذهن المتجسد، وما علاقته بمبحث الاستعارة، وكيف خدمت هذه الأفكار التأسيسية بدورها إعادة النظر في مفهوم الاستعارة بحد ذاتها؟

قبل الإجابة عن هذه الأسئلة أرى أنه من الضروري أولا إعطاء فكرة عن ماهية النموذج المعرفي اللساني كما يدعو إليه أصحاب نظرية الذهن المتجسد، بهدف توضيح الإطار المعرفي الذي نظر فيه إلى الاستعارة (واللغة المجازية عامة) نظرة مختلفة اختلافا جذريا، لتكون المنطلق لأبحاث معرفية من منظورات أخرى، استلهم أغلبها هذه الأطروحات الأساسية لهذا التوجه اللساني الجديد.

4. اللسانيات المعرفية وانبثاق النظرية المعرفية للاستعارة:

يمكن القول إذن إن التنظير المعرفي للاستعارة (وما يسمى لغة مجازية بصفة عامة) قد نشأ أول ما نشأ في أحضان اللسانيات المعرفية القائلة بفكرة الذهن المتجسد[1]، وأن عملا تأسيسيا قد قام به جماعة

---

(1) يقول فيفيان إيفنس إن فكرة التجسد تلعب دورا هاما في عديد النظريات اللسانية المعرفية، وهي تختص بالجسد، وبخاصة فيسيولوجيته وتشريحه المخصصين حسب النوع أو الجنس. تربط فسيولوجيا الجسد بهيكله البيولوجي، وهي ما يسمى أجزاء الجسم وطريقة تنظيمها، مثل امتلاك يدين، ذراعين، وجذع، وجلد أو بشرة، (...) ويرتبط التشريح بالتنظيم الداخلي للجسم. يتضمن هذا التصميم أو البناء العصبي للكائن الحي، وهي ما يسمى بالدماغ والنظام العصبي. ينظر:

- Vyvyan Evans: A Glossary of Cognitive Linguistics, p 68.

ويرى ديان بيشر ورولف زوان أنه يمكن القول إن فكرة الذهن المتجسد هذه ارتبطت أكثر بعلم النفس المعرفي الذي يطرح من بين ما يطرح من أسئلة رئيسية الكيفية التي يمثل بها الناس معارفهم حول التصورات. هناك نظريات ترى بأن التصورات يتم تمثيلها في الذاكرة البشرية بواسطة أنساق حية حركية تثوي خلف التفاعل مع العالم الخارجي. هذه النظريات مثلت التطور الراهن للعلم المعرفي نحو رؤية المعرفة ليس من خلال سيرورة معلومات مجردة، وإنما من خلال الإدراك الحسي والفعل؛ بعبارة أخرى، ترتكز المعرفة على التجربة المتجسدة. كما أظهرت دراسات أخرى أن الإدراك الحسي والأفعال الحركية تدعم الفهم البشري وتصورات الكلمات والأشياء. علاوة على ذلك، حتى فهم التصورات المجردة والعاطفة يمكن أن تبدو معتمدة على التجارب الأكثر حسية وتجسدا. أخيرا، اللغة بحد ذاتها يمكن أن تبدو مرتكزة على السيرورة الحسية الحركية. ينظر: =

من اللسانيين المعرفيين، على رأسهم جورج لايكوف، الذين اعتمدوا على براهين لغوية للتدليل على تصورية الاستعارة[1] ومركزيتها في التفكير والمعرفة.

يعد التجسّد أو الجسدنة (embodiment) أحد المبادئ المركزية الموجهة للدلالة المعرفية، فالبنية التصورية وفق هذا المنظور تشتق منه، فالمعرفة متجسدة على هذا الأساس، أي أنها خاضعة لطبيعة الأجساد التي نملك، فمعنى أن تكون البنية التصورية متجسدة هو أن تحدّد طبيعة أجسادنا وتقيّد نوعَ التصورات المشفرة وطبيعتها، والمتحققة عبر اللغة، بالنظر في الكيفية التي يوفر بها النسق اللغوي المعنى استنادا إلى تصورات مشتقة من التجسد.[2]

أما عن الداعي لهذا الاعتماد الواضح على اللغة فيقول جفيير فالنزويلا وكرستينا سوريانو[3] بأنه جاء ليؤخذ بعين الاعتبار ذلك

= - Diane Pecher and Rolf A. Zwaan: Introduction to Grounding Cognition, The Role of Perception and Action in Memory, Language, and Thinking, Cambridge University Press 2005, p1.

(1) ينظر الفصل الأول/ المبحث الأول الذي خصصناه لنظرية الاستعارة التصورية.

(2) Cf. Vyvyan Evans and Melanie Green, **Cognitive linguistics an introduction**, p 176

(3) Javier Valenzuela & Cristina Soriano :**Cognitive Metaphor and Empirical Methods**,
From :
http://www.raco.cat/index.php/bells/article/viewFile/82948/139975

التشديد على العلاقات المتبادلة بين اللغة وباقي المعرفة... وثمة اعتقاد للسانيات المعرفية مفاده بأن اللغة يمكن أن توفر "نافذة" على الفكر، وبأنه يمكن عن طريق الدراسة اللغوية[1]، إماطة اللثام عن بعض الآليات الموظفة في المعالجة المعرفية عالية المستوى.

وعليه نعثر عند ميلاني غرين وفيفيان إيفنس على تحديد لمهام اللساني المعرفي بجعله معنيا مثل غيره من اللسانيين، بدراسة اللغة لذاتها. ومحاولة وصف وتمثيل نسقيتها، وبنيتها، والوظائف التي تؤديها وكيف يحقق النسق اللغوي هذه الوظائف. ومع ذلك، فإن سببا مهما يقف وراء غاية اللسانيين المعرفيين من دراسة اللغة ينبع من افتراض عكس اللغة لقوالب الفكر (patterns of thought). وعليه، فدراسة اللغة من هذا المنظور هو دراسة أنماط عملية بناء التصورات (conceptualization). فاللغة تفتح نافذة على الوظيفة المعرفية، مزوّدة بتبصرات بخصوص طبيعة الفكر والأفكار وبنيتها وتنظيمها. وعليه تكون الوجهة الأكثر أهمية حيث تختلف اللسانيات المعرفية عن مقاربات دراسة اللغة الأخرى، هي ادعاؤها بأن اللغة تعكس خصائص أساسية معينة وتصمم مظاهر الذهن البشري.[2]

---

(1) يجدر التنبيه هنا أنه لا ينبغي إغفال أن النظرية المعرفية للاستعارة ليست نظرية لغوية لكيفية اشتغال اللغة المجازية وحسب، ولكنها نظرية للغة، والمعرفة، والاستدلال العقلي.

(2) Vyvyan Evans and Melanie Green, **Cognitive linguistics an introduction**, P 5

ولما كانت الاستعارة أحد هذه المظاهر الذهنية التي تعكسها اللغة؛ فإنّ اللساني المعرفي يأخذ على عاتقه دراسة هذه الآلية الذهنية بالاعتماد على معطيات لغوية بشكل جلي بوصفها مرآة عاكسة لما يدور في الفكر، ذلك أن "اللغة، من منظور معرفي، هي نتاج للذهن البشري، فهي إذن تعكس سيرورات الفكر البشري وبنياته"[1].

من بين المفاهيم المعرفية للاستعارة كرؤية جديدة تحدّت وجهة النظر التقليدية تلك التي دعا إليها وأسّس لها وطورها جورج لايكوف ومارك جونسون بشكل خاص، وهي النظرية التي قال عنها كوفيتش[2] إنها رؤية جديدة للاستعارة تحدّت كل مظاهر النظرية التقليدية القوية بطريقة منسجمة ومتماسكة، كان ذلك مع صدور كتابهما "الاستعارات التي نحيا بها" (1980). وقد أصبح مفهومهما هذا معروفا باسم "الرؤية اللسانية المعرفية للاستعارة". وقد تحدّى لايكوف وجونسون الرؤية المترسخة للاستعارة بالأطروحات التالية:

1) الاستعارة خاصية للتصورات، وليس للكلمات.

2) وظيفة الاستعارة هى فهم أفضل لبعض التصورات، وليس فقط لأغراض فنية وجمالية معينة.

3) لا تتأسس الاستعارة في الغالب على المشابهة.

(1) Ana margarida abrantes: **meaning and mind**, Peter Lang Internationaler Verlag der Wissenschaften, Franfurt, 2010, p11

(2) Zoltán kövecses: Metaphor, **A Practical Introduction**, Second Edition. Oxford University Press,2010, pp ix-x

4) يستخدم الناس العاديون الاستعارة دون جهد في حياتهم اليومية، فالأمر لا يتعلق بالموهوبين موهبة خاصة وفقط.

5) الاستعارة بعيدا عن كونها شيئا زائدا برغم الزخرفة اللغوية التي تمنحها، هي عملية حتمية للتفكير والتعقل البشريين.

وإذا عدنا إلى جورج لايكوف[1] فإننا نجده يحدّد طبيعة الاستعارة من هذا المنظور الجديد في النقاط التالية:

- الاستعارة هي الآلية الرئيسية التي من خلالها نستوعب التصورات المجردة، ونؤدي التفكير المجرد.
- إن الكثير من الموضوعات، من أكثر الأمور المعاشة إلى النظريات العلمية الأكثر صعوبة، لا يمكن فهمها إلا عن طريق الاستعارة.
- الاستعارة بطبيعتها تصورية في جوهرها، وليست لغوية.
- اللغة الاستعارية هي تجل سطحي للاستعارة التصورية.
- على الرغم من أن جزءا كبيرا من نسقنا التصوري هو استعاري، إلا أن جزءا مهما منه هو غير استعاري. والفهم الاستعاري يكون متجذرا في الفهم غير الاستعاري.

(1) Cf. George Lakoff: **The Contemporary Theory of Metaphor**. in Metaphor and Thought (2nd edition),edited by andrew Ortony, Cambridge University Press, 1993 .pp244-24ذ

- تسمح لنا الاستعارة بأن نفهم الموضوع المجرد نسبيا وغير المبنين بصفة ملازمة من خلال موضوع ملموس أكثر، أو أعلى أو أقل بنية .

إن مثل هذه الأفكار وأخرى سنفصل فيها أكثر في الفصل الأول المخصص لنظرية الاستعارة التصورية، تبدو أفكارا ثورية مقارنة بما ظل سائدا في الأوساط العلمية والأكاديمية بشكل عام حول النظرة التي بدت قاصرة تجاه الاستعارة. هنا لا يفتأ لايكوف[1] في أغلب أعماله يوجه انتقادات لاذعة لوجهة النظر الكلاسيكية حول الاستعارة، تلك التي تضرب بجذورها في عمق التاريخ، وتحديدا أو على أقل تقدير إلى أرسطو[2] الذي أحال إليها بوصفها شاهدا جديدا للغة الشعرية. وعلى مدى ألفي سنة لم تتغير هذه النظرة إلى الاستعارة بكونها مسألة لغوية، وليست فكرية. وأن اللغة اليومية ليس بها لغة استعارية، بل هي لغة تنتمي إلى مجال اللغة الحرفية.

(1) ينظر الفصل الأول- المبحث الأول من هذا العمل.

(2) للتفصيل أكثر في التصور الأرسطي للاستعارة ونقد هذا التصور بشكل مفصل نحيل إلى:

- سعيد الحنصالي: **الاستعارات والشعر العربي الحديث**، ط 1 دار توبقال للنشر، المغرب، 2005، ص ص 21-23 و ص 34 وما بعدها

يختصر عبد الله الحراصي الأسس الثابتة التي حكمت رؤية الاستعارة تقليديا فيما يلي[1]:

- الاستعارة هي أمر من أمور اللغة: بمعنى أن الاستعارة هي ظاهرة لغوية يتم فيها استخدام لفظ (أو معناه) عوضا عن لفظ آخر (أو معناه) على أساس التشابه بين طرفيها.
- يمكن تقسيم الاستعارة بشكل عمومي إلى قسمين أولهما الاستعارة المبدعة وهي التي نجدها في الأدب شعرا ونثرا... إضافة إلى هذا النوع ثمة نوعا آخر من الاستعارة وهو ما اصطلح عليه باسم الاستعارة الميتة (dead metaphor)، وهنا ينعدم شعور الإنسان بوجود الاستعارة...
- كل استعارة تحتوي على تناقض منطقي بوجه من الوجوه، وذلك بسبب عدم مباشرتها وهو عكس الكلام العادي غير الاستعاري الذي يمكن قبوله منطقيا،... ولحل هذا التناقض المنطقي لابد من رد الأمور إلى أصولها المنطقية، ومحاولة رؤية التشبيه المتخفي تحت الاستعارة، وهنا فإن السبيل الوحيد لقبول المنطق للاستعارة هو عن طريق ردها إلى ضرب من التشبيه...

---

(1) ينظر: عبد الله الحراصي: دراسات في الاستعارة المفهومية، ط3، كتاب نزوى، مؤسسة عمان للصحافة والأنباء والنشر والإعلان، 2002م، صص 18-19.

بدت هذه الرؤية التقليدية خاطئة بحسب النظرية المعرفية للاستعارة، وصار من الضروري تجاوزها. فالاستعارة من المنظور المعرفي المعاصر لا تتعلق باللغة، بل تتعلق بالفكر قبل كل شيء. إنها تتعلق بكيفية تصور الكائنات البشرية لعوالمهم واشتغالهم فيها. وتأتي أهمية التصورات بسبب أنها تبنين ما يدركه الكائن البشري، والكيفية التي يمسكون بها العالم من حولهم، والكيفية التي يرتبطون بها بالناس الآخرين. إن التعميمات المتوصل إليها بواسطة الاستعارة لا نجدها في اللغة، ولكنها توجد في الفكر.

أما عن طريقة عمل الاستعارة فتكون في المستوى الذهني ببناء تصور لمجال ذهني من خلال مجال ذهني آخر. يتم ذلك عن طريق إقامة ترابطات ما بين المجالين (ينظر الأمثلة الكثيرة الواردة في الفصل الأول- المبحث الأول). والأمر يتعلق بشكل خاص بالتصورات اليومية المجردة من قبيل الزمن، الحالات، التغير، السببية، والغرض، التي هي تصورات استعارية. هذا ما جعل لايكوف وجونسون يحاولان البرهنة على أن النسق التصوري البشري هو استعاري في جزئه الأكبر، بسبب أن الطريقة التي يفكر بها الكائن البشري والطريقة التي يتصرف بها هي استعارية في جزئها الأكبر.

هذا المنظور الجديد للاستعارة يجد صداه في أبحاث تلت صدور كتاب لايكوف وجونسون المشار إليه، وتنوعت النظريات التي حاولت مقاربة الاستعارة من وجهة نظر معرفية، بالاعتماد

دائما على المعطى اللغوي، هذا الاختلاف والتنوع ظل مؤطرا وموجها ببعض الالتزامات والتقييدات التي يلتزم بها المشتغل ضمن هذا الإطار، أهمها تلك التي يعرضها لايكوف في هذا المقطع:

"تتميّز اللسانيات المعرفية عن الاتجاهات الأخرى في اللسانيات، سواء عن ذوي النزعة الصورية أو النزعة الوظيفية، من خلال هذين الوجهين: أولا، إنها تأخذ بصفة جدية الدعامة المعرفية للغة، [وهو] ما يسمى بالالتزام المعرفي (...). فاللسانيون المعرفيون يحاولون وصف ونمذجة اللغة في ضوء براهين متجمعة من علوم الذهن والعلوم المعرفية الأخرى. ثانيا، يلتزم اللسانيون المعرفيون بالتعميم: [أي] التزام وصف المبادئ التي تشكل المعارف اللغوية وطبيعتها بوصفها محصلة لمقدرات معرفية عامة (...) – بدلا من رؤية اللغة، مثلا، كتشكيل لقالب منفصل كليا ومستبطن في الذهن"[1].

---

(1) Vyvyan Evans: **Language and Cognition**: The View from Cognitive Linguistics. p3
(From : http://www.vyvevans.net/TheViewFromCogLx.pdf)

كما يمكن الاطلاع أيضا على الالتزامات الأساسية للسانيات المعرفية في المقال التالي:

- Vyvyan Evans, Benjamin K. Bergen and Jörg Zinken: **The cognitive linguistics enterprise**: an overview, p3 (from http://www.vyvevans.net/CL/overview.pdf)

لا ينبغي بالتالي لأي عمل تنظيري للاستعارة ضمن هذا الإطار اللساني المعرفي أن يتجاهل هذين الالتزامين: أي الالتزام المعرفي، والتزام التعميم كما شرحهما لايكوف.

نتساءل الآن عن الإطار الأضيق الذي تمت ضمنه مقاربة الاستعارة داخل الإطار الواسع للسانيات المعرفية وداخل الإطار الأوسع للعلم المعرفي في جيله الثاني على أقل تقدير، فإذا عرفنا أن "الفرعين الثانويين الأكثر تطويرا في اللسانيات المعرفية هما الدلالة المعرفية والمقاربات المعرفية للنحو"[1] فإننا نتساءل عن أي فرع من هذين تناول فيه اللسانيون المعرفيون الاستعارة بالتنظير والدرس، والكيفية التي تم بها ذلك؟.

نرى بداية أن نحدّد مجال كلا الفرعين: أي الدلالة المعرفية، والنحو المعرفي.

يعرف إيفنس[2] الدلالة المعرفية في مسرده بكونها حقلا يهتم بالبحث في العلاقة بين التجربة، النسق التصوري، والبنية الدلالية التي تشفرها اللغة[3]. يعمل الدارسون في الدلالة المعرفية على وجه

(1) Vyvyan Evans: **A Glossary of Cognitive Linguistics**. p 19

(2) Vyvyan Evans . Ibid. pp 26-27

وينظر الفصل الثالث- المبحث الأول من عملنا هذا لأكثر تفاصيل عن الاستعارة والدلالة المعرفية.

(3) يحدد إيفنس الفرق بين البنية الدلالية (Semantic structure) والبنية التصورية (Conceptual structure) باعتبار الأولى هي: ذلك القسم من التمثيل الدلالي المشفر بواسطة النسق اللغوي. أما البنية التصورية فهي: =

الخصوص بالبحث في طريقة تمثيل[1] المعارف (البنية التصورية)، وبناء المعنى (بناء التصور). هذا وقد تم توظيف اللغة كعدسة يمكن من خلالها التحقيق في هذه الظواهر المعرفية. وهكذا ينزع البحث في الدلالة المعرفية إلى الاهتمام بنمذجة الذهن البشري أكثر

=ذلك القسم من التمثيل الدلالي المشفر بواسطة النسق التصوري. وهكذا تكون البنية الدلالية جزءا من البنية التصورية.

- Vyvyan Evans: **Figurative Language Understanding in LCCM Theory**; p10
  (From:
  http://www.vyvevans.net/Figurative/Language/in/LCCM/Theory.pdf

ويعد انعكاس البنية التصورية في البنية الدلالية أحد المبادئ الموجهة للسانيات المعرفية، والذي يؤكد على أن اللغة تحيل إلى تصورات في ذهن المتكلم، بدلا من إحالتها إلى كيانات تلازم العالم الخارجي الواقعي بصفة موضوعية. بعبارة أخرى، البنية الدلالية (المعاني المقترنة بصفة وضعية بالكلمات وبالوحدات اللسانية الأخرى) يمكنها أن تعادل البنية التصورية (أي التصورات). هذه الرؤية "التمثيلية" هي على خلاف مباشر مع المنظور "التعييني" (denotational) الذي يشير إليه علماء الدلالة المعرفيين أحيانا بوصفه دلالة موضوعانية، ينظر:

- Vyvyan Evans: **A Glossary of Cognitive Linguistics,** p 195

(1) من التحديدات التي أعطيت للأفكار أنها تمثيلات داخلية (inner represe ntations) للعالم الخارجي، وتعلق بيرجيت فلوهر على هذا التحديد بأنه أحد أهم أطروحات الدلالة المعرفية. ينظر:

- Birgitt Flohr: **The Relationship between Thought and Reality in Cognitive Semantics**; from: www.itp.uni-hannover.de/~flohr/papers/m-mod-engl-lang1.pdf ,p1

من اهتمامه بالتحقيق في الدلالة اللغوية. وكشأن المشروع الأكبر للسانيات المعرفية تمثل الدلالة المعرفية (التي تعد أحد فروعها) مقاربة متداخلة بدلا من كونها نظرية واحدة واضحة. وتعد نظريتا الاستعارة التصورية والمزج التصوري إحداها، إلى جانب نظريات معرفية أخرى.

وبالمقابل، تهتم المقاربة المعرفية للنحو[1]، بنمذجة النسق اللغوي (أي «النحو» الذهني)، بدلا من طبيعة الذهن بحد ذاته. رغم أن ذلك يتم بأخذ نتائج العمل المنجز في الدلالة المعرفية كمنطلق. يستتبع هذا أن المعنى مركزي للمقاربات المعرفية للنحو التي ترى امتلاك التنظيم اللغوي والبنية اللغوية لأساس مرتكز

---

(1) من ممثلي المقاربة المعرفية للنحو نجد رونالد لانغاكر الذي شدد على دراسة المبادئ المعرفية التي تعطي نهوضا للتنظيم اللغوي. حاول لانغاكر في نظريته للنحو المعرفي، رسم المبادئ التي تبنين النحو، وربطها بمظاهر المعرفة عامة. كما نجد هناك سبيلا ثانيا للبحث، اتبعه باحثون آخرون منهم فيلمور وكاي، لايكوف، غولدبارغ، وكروفت، الذين طمحوا إلى توفير تفاصيل أكثر وصفية ومنهجية لوصف الوحدات اللغوية التي تشمل لغة خاصة، وحاولوا توفير جرد للوحدات اللغوية، من المورفيمات إلى الكلمات، والعبارات المسكوكة، والقوالب الجُملية، والتمسوا وصفا لبنياتها، إمكانياتها التأليفية، والعلاقات فيما بينها. وقد طور هؤلاء الباحثون مجموعة من النظريات التي عرفت إجمالا بوصفها أنحاء التركيب/ البناء (construction grammars) . وقد أخذت هذه المقاربة العامة اسمها من رؤية في اللسانيات المعرفية ترى أن الوحدة الأساسية للغة هي الاقتران صورة-معنى المعروفة كبناء.

تصوريا. يستتبع هذا أن اللسانيين المعرفيين يرفضون أطروحة استقلالية التركيب[1]، على خلاف نظرة التقليد التوليدي في اللسانيات التي أيدت هذه الاستقلالية.

اللسانيات المعرفية
دراسة اللغة بطريقة تتوافق مع ما عرف عن الذهن البشري، وتعالج اللغة بوصفها انعكاس وكشف للذهن.

المقاربات المعرفية للنحو
دراسة الوحدات اللغوية الرمزية التي تشكل اللغة

علم الدلالة المعرفي
دراسة العلاقة بين التجربة، المعرفة المنجـدة واللغة

دراسة المعنى والنحو في اللسانيات المعرفية

تماشيا مع هذا يقول الأزهر الزناد[2] "أنه من المظاهر البيّنة –في حدود ما أمكننا الإطلاع عليه– غلبة المكون الدلالي التصوري على الدرس اللساني العرفني [المعرفي] وضمور العناية بالمكونات اللغوية المعهودة (الصوتمية والصرف والمعجم وما إليها) وكذلك

(1) حول ارتباط التركيب والنحو بالدلالة في اللغة، ودور الاستعارات في ذلك ينظر: جورج لايكوف ومارك جونسن: **الاستعارات التي نحيا بها**، تر. عبد المجيد جحفة، ط1 دار توبقال، المغرب، 1996، ص ص 196-198.

(2) الأزهر الزناد: **نظريات لسانية عرفنية**، ط1 نشر مشترك: الدار العربية للعلوم ناشرون-بيروت، دار محمد علي للنشر-تونس، منشورات الاختلاف-الجزائر، 2010م، صص 28-29.

قضايا الأدب والكتابة، ...فمن النظريات اللسانية العرفنية ما ينصب على النحو في مفهومه الشامل فيقدم وصفا متكاملا للمنظومة اللغوية من قبيل أعمال لانغاكر وجاكندوف وشومسكي، ومنها ما يمثل نظريات تنصب العناية فيها على المظهر الدلالي مطلقا أو مخصوصا بالاستعارة مثلا في أعمال لايكوف أو بالدلالة المعجمية في أعمال طالمي أو بمستوى الخطاب في أعمال فوكونياي...".

نفهم مما سبق ذكره أن مقاربة الاستعارة بوصفها آلية ذهنية تتحقق لغويا (ضمن تحققات أخرى غير لغوية) وأنه لا غنى عنها في فهم وإدراك العالم وتمثيله ذهنيا، جعلها تسترد مكانتها في الدراسة الدلالية ضمن المشروع المعرفي، بعدما تم استبعادها في التقليد ذي النزعة الموضوعية، وعدّت مسألة هامشية في أحسن الأحوال بعدما تم إقصاؤها تماما من الدراسة الدلالية كما يقول لايكوف وجونسون في كتابهما التأصيلي: الاستعارات التي نحيا بها"[1]. هذا الإقصاء الذي نجم عن إيلاء المعنى المباشر الحرفي والموضوعي الأولوية والأحقية بالدراسة على حساب المعاني التي عدّت غير مباشرة وتجميلية، ومنها المعاني الاستعارية، بما أنه نظر إلى الاستعارة على أنها لا يمكن أن تكون مسألة تخصّ المعنى، وإنما مسألة تخص اللغة (أو الألفاظ) لا غير.

(1) ينظر: جورج لايكوف ومارك جونسون: **الاستعارات التي نحيا بها**، ص 198-201.

لإعطاء صورة أوضح عن الكيفية التي تقارب بها الدلالة المعرفية المعنى، وموضعة الاستعارة ضمن هذه المقاربة يمكننا مقارنة أطروحاتها بأطروحات النظريات السابقة عنها لتمييز الاختلاف في مشروعها الذي تدعو إليه قياسا إلى هذه النماذج التي لم يكن لديها اهتمام واضح بالمعنى الاستعاري مقارنة بالاهتمام الذي أولته للمعنى الحرفي.

يمكننا الاعتماد في هذا الصدد على المقارنة التي اقترحها غرين وإيفنس[1] بين الدلالة المعرفية والدلالة الصورية (formal semantics)، هذه الأخيرة التي برغم وجود تشابهات[2] بين

---

(1) Vyvyan Evans and Melanie Green, **Cognitive linguistics an introduction**, pp 455-458

(2) تتمثل هذه التشابهات التي يوردها المؤلفان في: أولا، تنشغل كلتا المقاربتين بشرح معنى الجملة مع طبيعة العلاقة بين الكلمات في الجملة، فضلا عما بين الكلمات والبنية النحوية أين تظهر. ثانيا، تقبل الدلالة الصورية كما الدلالة المعرفية بوجود العالم الخارجي الواقعي الذي يؤثر في طبيعة المعنى اللغوي. مثلا، تفرق كلتا النظريتين بين الكيانات، الخصائص، السيرورات والعلاقات. ثالثا، تزعم كلتا المقاربتين أن البشر لهم معارف مستقرة عن العالم الخارجي الذي يعكس في اللغة، وتحاول نمذجة هذه المعارف. بينما نماذج شروط الصدق الأبكر فاعتمدت على ربط مباشر بين اللغة والعالم الخارجي (النماذج الإحالية أو التعيينية referential or denotational models) ، هذا وقد حاولت الدلالة الصورية الحديثة نمذجة نسق المعارف البشرية التي تتوسط بين الرموز اللغوية والواقع الخارجي. وعليه، تنشد الدلالة الصورية على غرار الدلالة المعرفية، بناء نموذج تمثيلي (Representational).

أطروحاتها، إلا أن أطروحاتها الأساسية تخالف بصفة مباشرة تلك التي تتبناها الدلالة المعرفية.

تتمثّل هذه الاختلافات التي يصفها المؤلفان بالهامة بداية مع الافتراضات الأساسية، فبينما يفترض أصحاب الدلالة الصورية نسقا غريزيا ومقولبا للمعارف اللغوية المخصصة، يرفض أصحاب الدلالة المعرفية هذه الرؤية بدافع اعتبار النسق الدلالي يوفر 'حاثات' للنسق التصوري الغني الذي يعكسه. ويرى دلاليو شروط الصدق بتبنيهم للمقاربة الموضوعانية للمعرفة، أن الفكر البشري "غير متجسد" لأن المعنى اللغوي يتصور من خلال نظرية توافقية (correspondence theory) تضم الرموز إلى الأشياء الخارجية. وعلى العكس، بتبني المقاربة التجريبانية للمعرفة، يتصور أصحاب الدلالة المعرفية المعنى بوصفه إسقاطا تخييليا للتجربة الجسدية على نماذج معرفية مجردة.

إنّ النظرية الدلالية التي اقترحها منظرو اللسانيات المعرفية تختلف عن النظريات المعيار بتركيزها على شيئين تم إغفالهما هما:

أ- دور الإنسان في تحديد التصورات الدالة.

ب- وقدرة الخيال البشري على خلق تصورات دالة.

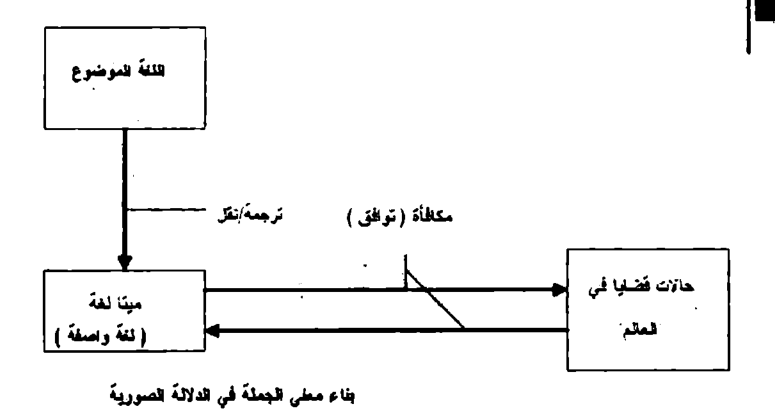
ويتبنى أصحاب الدلالة المعرفية لأجل ذلك منحى تجريبيا، "وما هو تجريبي يستعمل هنا بمعناه الواسع، بما في ذلك البعد الحسي-الحركي، والبعد العاطفي، والبعد الاجتماعي، وتجارب

أخرى من هذا القبيل متيسرة عند كل الكائنات البشرية العادية. ويضاف إلى كل هذا القدرات الفطرية التي توجه التجربة وتجعلها ممكنة. ومفهوم التجربة لا يحيل، بالأساس، على التجارب العرضية الفرادية التي قد تحصل لنوع من الناس بعينه. فالمقصود بالتجربة ذاك المظهر الذي نتوافر عليه جميعنا باعتبارنا، بكل بساطة، كائنات بشرية تعيش على هذه الأرض في إطار مجتمع بشري. والتجربة ليست عنصرا ساكنا أو سالبا ... وتكمن فاعلية التجربة البشرية المشتركة (التي تحوي خصائص البشر، بما في ذلك امتلاك أجساد وقدرات فطرية وطريقة في "الاشتغال" باعتبارها جزءًا من عالم واقعي وحقيقي) في العمل على تحفيز ما هو دال في الفكر البشري."[1]

بالعودة إلى كيفية رؤية هذا النموذج لطبيعة المعنى اللغوي، يحاول أصحاب الدلالة الصورية أن يثبتوا بأن أحد الأهداف الأولية لنظرية المعنى اللغوي هو الانكباب على التدليل الإخباري للغة (informational significance of language). من هذا المنظور، تستخدم اللغة بدءا من أجل وصف حالات قضايا في "العالم"، ما يعد من ثم مركزيا لاحتساب أو تقدير المعنى اللغوي. يمكن تمثيل هذه الفكرة بواسطة الشكل الموالي:

---

(1) عبد المجيد جحفة: **مدخل إلى الدلالة الحديثة**، ط 1 دار توبقال للنشر، المغرب، 2000م، صص 51-52



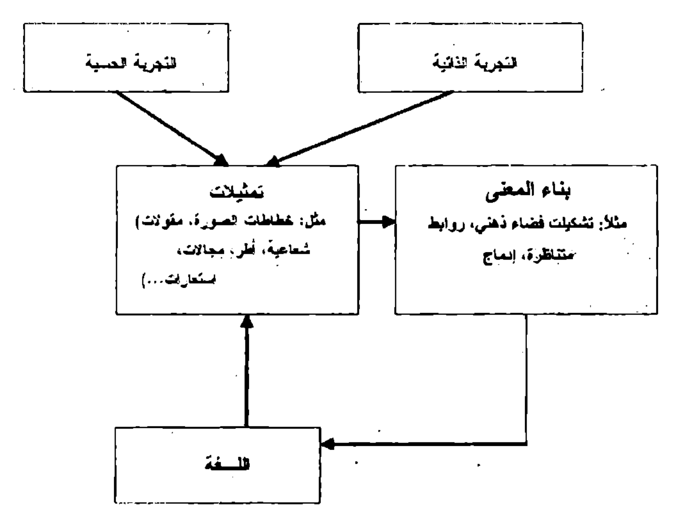
بناء معطى الجملة في الدلالة الصورية

يمثّل السهم الموجه من اللغة الموضوع إلى الميتالغة (اللغة الواصفة للغة الموضوع)[1] عملية نقل أو ترجمة، والتي تعطي قياما لتمثيل في لغة رياضية متنبأ بها واضحة وقابلة للتطبيق بصفة كلية. يشتق المعنى إذن من كيفية اقتران جيّد للقيم بلغة واصفة توافق حالة معطاة لقضايا في "العالم" الواقعي أو الافتراضي.

وعلى النقيض، يحاول أصحاب الدلالة المعرفية أن يثبتوا بأن دور اللغة هو الحثّ على تمثيلات تصورية (تتضمن محاكيات simulations)، وعليه يشتق المعنى ليس من "العالم" المحدّد موضوعيا ولكن من تمثيلات ذهنية مبنينة تعكس وتنمذج العالم الذي نجربّه بوصفنا كائنات بشرية متجسّدة. هذه التمثيلات الذهنية من وجهة نظر الدلالة المعرفية هي أنسقة من المعارف

(1) المراد بهذا التقابل بين الميتالغة أو اللغة الواصفة واللغة الموضوع استخدام اللغة الأولى لوصف اللغة الثانية: اللغة الموضوع هي اللغة الموصوفة والميتالغة هي اللغة الواصفة.

مستقرة جزئيا (مخزنة) وبناءات تصورية دينامية (آنية) جزئيا. يستتبع هذه الرؤية أنّ المعنى اللغوي لا يقيم في نسق مخصص من المعارف اللغوية وإنما في المستوى التصوري نفسه. يمكن تمثيل هذه الرؤية المعرفية لطبيعة المعنى اللغوي بواسطة الشكل الموالي:



طبيعة بناء المعنى في الدلالة المعرفية

يمثل الشكل التوضيحي حسب غرين وإيفنس فكرة أنّ النوعين الرئيسيين للتجربة (التجربة الحسية الإدراكية للعالم الخارجي والتجربة الذاتية النابعة من "العالم" الاستبطاني) تعطيان قياما لتمثيلات تصورية يمكنها أن تؤدي إلى محاكيات. تحثّ اللغة على هذه التمثيلات التصورية باشتغالها كـ 'نقاط وصول' للمعارف الموسوعية المستقرة نسبيا (يؤشر على هذا بالسهم المتجه من "اللغة" الى "التمثيل"). التمثيلات التصورية هي أيضا موضوع لعمليات

أخرى إضافية لبناء المعنى الدينامي. بناء-المعنى يمكن بدوره أن يكون له نتائج على اللغة، كإعطاء قيام لتغير لغوي مثلا (يؤشر على هذا بالسهم من 'بناء-المعنى الى 'اللغة').

الاختلاف الآخر المهم يتعلق بطبيعة العلاقة بين علم الدلالة (المعنى المستقل عن السياق) والتداولية (المعنى الخاضع للسياق). فأصحاب الدلالة المعرفية يتبنون رؤية موسوعية للمعنى بمعيتها رؤية دينامية موجهة سياقيا لبناء المعنى (dynamic context-driven view)، والتي تستلزم أن ليس هناك تمييزا مبدئيا بين المعارف الدلالية والتداولية. وعلى النقيض، يفترض علماء الدلالة الصورية وجود حد صارم بين نمطي المعارف (أنظر الفصل الثالث-المبحث الأول من هذا العمل). وفقا لهذه الرؤية، تتميز المعارف الدلالية بالاستقرار، وهي متواضع عليها (conventionalised) يعبر عنها بواسطة توافقات صورة-معنى قابلة للتنبؤ بها (predictable) ومضمنة في النسق اللغوي، على خلاف الاستنتاجات التداولية التي لا يمكن التنبؤ بها انطلاقا من الشكل اللغوي؛ والمعارف التداولية تنطوي على سيرورات استنتاج أكثر تعميما لا ترتبط باللغة بشكل خاص ولكن تعمل على نتاج أو خرج (output) النسق اللغوي بمعية عوامل سياقية غير لغوية.[1]

(1) من الأمثلة التي يمكن بها توضيح هذه المسألة المعاني المسكوكة، أي معاني العبارات التي لا يتنبأ بمعناها انطلاقا من معاني الكلمات المفردة في الجملة، مثل عبارات الأمثال والأقوال السائرة. فالمتكلم بلغة مغايرة للغة العبارة المسكوكة والسياق الاجتماعي والثقافي الواردة فيها يكون قادرا =

هـــذه إذن أهـــم الاختلافـــات التي تميّز الأطروحـــات والافتراضات الأساسية للدلالة المعرفية. ولكن ما تهمّنا الإشارة إليه هو اعتبار الاستعارة -كما يبدو من الشكل الأخير أعلاه- إحدى الوسائل الذهنية لتمثيل المعرفة وبناء المعنى، والتعامل مع العالم الخارجي والداخلي، من أجل بناء تصوري وإعطاء معنى له بطريقة ما وليس بأية طريقة، وانعكاس ذلك في اللغة، في مظاهرها المختلفة، وخاصة المظهر الدلالي منها. هذه النظرة هي التي ستوجه البحث الدلالي المعرفي حول اللغة الاستعارية والمجازية بصفة عامة، بوصفها انعكاسا لهذه الآلية المركزية ولآليات أخرى تتضافر معها خدمة للوظيفة المعرفية التي يمارسها الذهن البشري بصفة عادية أو إبداعية في كثير من الأحيان.

= على تأويلها حرفيا فقط، بينما بإمكان المتكلم الأصلي غالبا فهم المعنى المسكوك زيادة على تأويله الحرفي.

الفصل

الأول

1

الاستعارة التصورية :

استهلال وتحديدات

1. "الاستعارات التي نحيا بها": نظرة عامة

مثلت سنة 1980 من القرن الماضي نقطة تحول جذرية في التاريخ الطويل للتفكير حول الاستعارة، وظهر ما بات يسمى **بالاستعارة التصورية**[1]، التي توضح مفهومها أكثر مع صدور كتاب لايكوف وجونسون "الاستعارات التي نحيا بها"[2] في السنة

(1) تسمى "الاستعارة المفهومية" أيضا، كمقابل للمصطلح نفسه "conceptual metaphor"، والاختلاف كما يبدو في ترجمة اللفظ "concept" بين من اختار له المقابل "مفهوم"، ومن اختار المقابل "تصور".

(2) هو العنوان الذي اختاره عبد المجيد جحفة في ترجمته للكتاب (1996) كمقابل للعنوان الأصلي باللغة الانجليزية "Metaphors we live by". ونشير إلى صدور طبعة ثانية لترجمة الكتاب سنة 2009. وهي نسخة طبق الأصل للطبعة الأولى ما حدا بنا إلى اعتماد الطبعة الأولى فقط.

المذكورة. نشأ هذا الكتاب من اهتمام مشترك بين مؤلفَيه بالكيفية التي يفهم بها البشر لغتهم وتجربتهم. وحاولا فيه التدليل من خلال براهين لغوية مستمدة من الواقع اليومي المعاش على أن الاستعارة قبل أن تكون تحققا لغويا سلوكيا هي ظاهرة ذهنية في المقام الأول.

نظرا للأهمية البالغة التي حظي بها هذا الكتاب وتأثيره على الأبحاث التي أعقبت صدوره، نقترح تقديم نظرة عامة حول أهم الأفكار التي طرحها مؤلفاه من خلاله، وإن كانت جميع أفكاره تقريبا في الدرجة نفسها من الأهمية، إلا أننا نعترف بدءًا أننا وجدنا صعوبة بالغة في انتقاء بعض الأفكار، التي اعتقدنا فيها أهمية دون أفكار أخرى، فالكتاب من أوله إلى آخره هام، وجميع أفكاره كأنما هي فكرة واحدة يصعب تجزيئها، أو تقديم أفكار والاستغناء عن أخرى، وحتى محاولة تلخيصه ستصطدم بالحاجة الملحة إلى

التفصيل في كثير من النقاط التي تستدعي ذلك، والاستغناء عن كثير من التفاصيل من شأنه أن يؤثر سلبا على الخلفية المعرفية التي نود تشكيلها في ذهن القارئ حول الموضوع المطروق، ناهيك عن انتماء البحث إلى مجال معرفي نحسب أن كثيرين لم يطلعوا عليه بعد. إضافة إلى امتداداته إلى علوم أخرى مرتبطة به ارتباطا وثيقا، وهي العلوم التي باتت تعرف باسم "العلوم المعرفية" التي لما تحظ بعد بالاهتمام على نطاق واسع في الأوساط العلمية عندنا.

ما أرمي إليه هو أن تحديد نقطة للانطلاق تبدو بالغة الصعوبة في نظري، إلا أن تكون نقطة الانطلاق هاته، محددة المركز لتنطلق في اتجاهات مختلفة وتتفرع عن بعض المعارف دون بعض، ودون استقصاء ما دمنا مقيدين بمسار وحيز محددين مسبقا. هذه النقطة التي اخترنا الانطلاق منها هي هذه النظرة العامة حول أفكار الكتاب. وتبقى ضرورة توفير معرفة خلفية أكثر ثراء من مهمة القارئ نفسه، وإلا لن يكون لهذه الرموز اللغوية من الحروف والكلمات والجمل ما تستحثه من تصورات يقصدها هذا العمل.

1 . 1 . لماذا الاستعارة؟

نقرأ في تصدير المؤلفين للكتاب: "إن ما جمعنا هو الاهتمام المشترك بالاستعارة. فقد لاحظ مارك جونسون (...) أن جل التصورات الفلسفية التقليدية لا تسند إلى الاستعارة سوى دور صغير، أو لا تسند إليها أي دور، في فهم العالم وفهم أنفسنا. وقد كان جورج لايكوف (...) كشف براهين لغوية تبين أن الاستعارة

منتشرة في اللغة والفكر اليوميين، وهي براهين لا توافق أي نظرية أنجلوأمريكية حول المعنى، سواء في اللسانيات أو في الفلسفة. فقد اعتبرت الاستعارة، في كلا الحقلين، مسألة هامشية. وقد كنا نحدسان أن الأمر يرتبط، بعكس ذلك، بمسألة مركزية قد تكون مفتاحا لتفسير كاف للفهم"[1].

يمثل الانشغال بالمعنى والفهم إذن أحد الأسباب الرئيسية للاهتمام بالاستعارة، التي استغلت كأداة للثورة على التصورات التقليدية الفلسفية منها واللسانية، ومحاولة بناء مشروع جديد يقوم على فهم جديد لطبيعة المعرفة الإنسانية بشكل عام. إن إعادة الاستعارة إلى الذهن وجعلها مهيمنة على التفكير من خلال هيمنتها على النسق التصوري البشري يعني أن جل أفكارنا وسلوكاتنا وأقوالنا هي استعارية بالأساس، ما دامت الاستعارة في تصور لايكوف وجونسون "آلية جوهرية في [حصول] الفهم البشري، كما تشكل آلية لخلق دلالات جديدة وحقائق جديدة في حياتنا"[2].

حاول المؤلفان أولا اعتمادا على هذه الوسيلة خلخلة ثوابت النزعة الموضوعية ذات الجذور الأرسطية، فهي تعيق مشروعهما المعرفي التجريبي. وتحت تسمية "النزعة التجريبية" بدأ لايكوف وجونسون التشهير بمشروعهما واقتراحه كمشروع بديل ومتمم في

(1) جورج لايكوف ومارك جونسن: **الاستعارات التي نحيا بها**، ص 15.
(2) المرجع السابق، ص189.

الآن نفسه لقصور النزعتين، أو الأسطورتين كما سمياها: النزعة الموضوعية من جهة والنزعة الذاتية، بأهمية أقل، من جهة أخرى[1].

نود أن نقف قليلا عند هذا التحدي وهذا المشروع التجريبي المستحدث، لجديته وأهميته من جهة، وللوقوف عند الكيفية التي ساهمت بها الاستعارة في محاولة بناء لايكوف وجونسون له وتبشيرهما به، وكيف أسهم ذلك بالمقابل في خدمة مبحث الاستعارة بطريقة لم تكن متوقعة،ذلك أن "الاستعارة بالنسبة إليهما فكرية ترتبط بنسقنا التصوري، إذ لولاها لما استطعنا تنظيم العالم واحتواءه (...) ومادام نسقنا التصوري استعاري بطبيعته، فإن الاستعارة ليست شعرية بلاغية تجميلية. إنها بالدرجة الأولى ملازمة لحياتنا اليومية لا نكاد ندركها في كثير من الأحيان، وبالتالي لا يمكن الحديث عن انزياح اللغة الاستعارية عن اللغة العادية. فالعادة هي الاستعارة لا غيرها"[2].

كان من الضروري إذن إرجاع الاستعارة إلى مكانتها الحقيقية، وإلى موقعها الطبيعي، إلى الذهن، حيث المعرفة والأفكار والمعاني، والفهم. وذلك بالبرهنة على أنها ليست بظاهرة لغوية بدءا وإنما هي ذهنية في المقام الأول ترتبط ارتباطا وثيقا بالمقدرات المعرفية البشرية

(1) ينظر المرجع نفسه، الفصول الأخيرة (من 25 إلى 30).

(2) جورج لايكوف: حرب الخليج، أو الاستعارات التي تقتل، تر. عبد المجيد جحفة وعبد الإله سليم، ط1 دار توبقال، المغرب، 2005.صص 11-12 (تقديم الترجمة).

الكلية باعتبارها إحدى الآليات الأساسية التي يشتغل بها الذهن. بمعنى التدليل على الفكر الاستعاري في مقابل الفكر الموضوعي والفكر الذاتي الصرف المقصيان لهذه الآلية الجوهرية في حصول الفهم والمعرفة.

ركز الباحثان على الكيفية التي ندلل بها، كيف نفهم أنفسنا والعالم من حولنا، وكيف نعين ما هو صادق (أو حقيقي) في منظورنا، على اعتبار "أن هناك تبريرا واحدا لقيام النزعة الموضوعية والنزعة الذاتية: إنه الانشغال بالفهم. تعكس أسطورة النزعة الموضوعية حاجة البشر إلى فهم العالم الخارجي كي يتمكنوا من أن يفعلوا فيه بنجاح. أما أسطورة النزعة الذاتية فتركز على المظاهر الداخلية للفهم، أي ما يجده الفرد دالا، وما يجعل حياته تستحق أن تعاش. أما أسطورة النزعة التجريبية فتقترح عدم تعارض هذين الانشغالين، إنها تقدم منظورا يلتقي فيه الانشغالان دون تعارض"[1].

لأجل ذلك يقترح الباحثان عناصر من أجل رصد تجريبي للصدق يرتكز على الفهم، ما هو مركزي في هذه العناصر هو تحليل **ما يعنيه فهم وضع ما.** لأن الفهم البشري بحسبهما ظل مقصيا من محاولات رصد الصدق عند النظريات السابقة. وبما أنهما يعتبران الصدق مرتكزا على الفهم أو تابعا له، ويعتبران الاستعارة أداة رئيسية في حصول الفهم، فإنهما يعتقدان أن تفسير الكيفية التي

---

(1) جورج لايكوف ومارك جونسن: **الاستعارات التي نحيا بها**، ص 215.

تكون بها الاستعارة صادقة سيبين الطريقة التي يرتبط بها الصدق بالفهم، وحسبهما فإن "ملازمة الاستعارة لنسقنا التصوري ولفهمنا للعالم ... من خلال الاستعارة، وكون الاستعارة لا تفهم فحسب بل تنتج معنى وتكون صادقة أيضا، كل هذه الأمور تبين أن نظرية كافية للصدق وللمعنى لا يمكن أن تتأسس إلا على الفهم"(1) الذي يعني الطريقة التي يفهم بها الناس تجاربهم المتنوعة خاصة تلك التجارب المباشرة مع ما يحيط بهم في العالم من أشياء، لأنها تعد الأساس لقيام فهم للتجارب الأخرى الأقل مباشرة ووضوحا.

إن النظرية التي يطمح لايكوف وجونسون إلى تأسيسها على الفهم ليست نظرية "للصدق الموضوعي الصرف" لأنهما يعتقدان أنه لا وجود لمثل هذا الصدق المطلق، بل من العبث محاولة إقامة نظرية له. إلا أنه من الأشياء التقليدية، في الفلسفة الغربية، افتراض إمكان الصدق المطلق، وأنه بالإمكان الانكباب على وصفه(2).

---

(1) المرجع السابق، ص180.

(2) من أمثلة نظريات "الصدق الموضوعي" التي يناقشها الباحثان نجد "مقاربة النماذج النظرية" التي تبنى انطلاقا من كون (universe) الخطاب الذي يعتبر مجموعة من الكيانات. ومن خلال هذه المجموعة من الكيانات يمكن أن نحدد حالات العالم التي تخصص فيها كل خصائص الكيانات وكل العلاقات التي تربطها ببعضها. و'نظرية شروط الصدق' [أو ما يسمى الشروط الكافية والضرورية للصدق]، والتي تلتقي بالتحديد الكلاسيكي لشروط الصدق كما وردت عند تارسكي: "س" صادقة إذا وفقط إذا د (د هو إثبات ينتمي إلى لغة منطقية كلية). ينظر المرجع السابق، صص 179-180.

وبحسبهما فإن النظرية لن تكون كافية إلا إذا توفر هذا الشرط المركب:

- إدخال عنصر الفهم البشري كي يكون تحديد الصدق كافيا.
- وجوب تأسيس نظرية المعنى ونظرية الصدق كلتيهما على نظرية للفهم.

نحاول إذن أن نتتبع أهم الأفكار التي اقترحها لايكوف وجونسون في سبيل التدليل على إمكانية توفير هذا الشرط المركب من خلال برنامجهما الذي يناقض أولا برنامج النظريات المعيار (الموضوعية) التي تسلم بإمكانية رصد الصدق في ذاته باستقلال عن الفهم البشري، وأن نظرية المعنى تتأسس على نظرية الصدق هاته، ويناقض من جهة أخرى طرح النزعة الذاتية[1]، التي لم يولياها اهتماما كبيرا بقدر إلحاحهما على توجيه نقدهما إلى النزعة الموضوعية لسبب وجيه، هو هيمنتها وسيطرتها على مجالات عديدة وبخاصة تلك الموصوفة بالعلمية، وقولها بوجود الصدق المطلق.

إلا أننا نعتقد من جهتنا أن المجال لا يتسع حتما لنقل مناقشات المؤلفين كلها وإعطاء تفسير مقنع لانحراف طرحهما الجذري عن

---

(1) نرى بدافع الإيجاز أن نتجاوز إيراد مناقشة الباحثين لهذه النزعة، ونركز على مناقشتهما للنزعة الموضوعية لأهميتها وهيمنتها على مجالات علمية عديدة بما فيها العلوم الإنسانية، كما أن هدفنا ينحصر في التوضيح والتمثيل وليس الاستقصاء.

النظريات السائدة بصدد هذه المسائل الأساسية، إلا أن الذي يهمنا هو التركيز على الطريقة التي ساهمت بها دراسة الاستعارة في التشكيك في هذه الأطروحات وتمييز آراء جديدة.

كما أننا نعتقد أن اختيار الباحثين للاستعارة لتبيان قصور النزعتين الموضوعية والذاتية، كان له ما يبرره وما يمنح جدوى لتصديهما لأفكار عمرت طويلا، ومحاولة استبدالها بأفكار جديدة كالتي يدعوان إليها، أفكار يتمحور أغلبها حول مركزية **الاستعارة** التي عدت سابقا مسألة هامشية في أحسن الأحوال.

فاختيار الاستعارة، بحسب الباحثين[1]، أملته أربعة أسباب هي:

- إهمال التقليد ذي النزعة الموضوعية لها، وإقصاؤها من الدراسة الدلالية (دراسة المعنى الموضوعي) وتهميشها في رصد الصدق؛
- عثورهما على أن الاستعارة لا تكتسح اللغة فحسب، بل النسق التصوري بأكمله وبالتالي لا يعقل ألا تكون مركزية في أي رصد للصدق والمعنى؛
- ملاحظتهما أن الاستعارة تمثل آلية جوهرية في فهمنا لتجربتنا، ودورها في الفهم ليس هامشيا؛

---

(1) ينظر: **الاستعارات التي نحيا بها**، صص 201- 202.

- إمكانية الاستعارة أن تبدع معنى جديدا، ومشابهات جديدة، وبالتالي رسم حقيقة جديدة.

ورغم ذلك فللتقليد الموضوعي تفسيره الخاص للاستعارة (الوضعية خاصة) يخالف التفسير الذي يدعو إليه الطرح التجريبي ويدافع عنه، ولتوضيح هذا التفسير يقترح المؤلفان النظر في المثال التالي: " لم أستطع هضم أفكاره"[1].

تعد العبارة بحسب الطرح التجريبي استعارة (لغوية) "حية" متحققة عن الاستعارة التصورية "**الأفكار أغذية**". وعليه يتم تحليل لفظ "هضم" في الجملة على هذا الأساس التصوري، أما ذو النزعة الموضوعية فينكر ذلك وسيقدم تفسيرا آخر مفاده أن لفظ "هضم" كان يحيل أولا على تصور الغذاء، ثم تحول بواسطة استعارة حية إلى معنى موضوعي موجود من قبل في عالم الأفكار، وذلك على أساس التشابهات الموضوعية بين الغذاء والأفكار. بعد ذلك "ماتت" الاستعارة وأصبح الاستعمال الاستعاري لعبارة "هضم الفكرة" وضعيا. وبهذا حصل لفظ "هضم" على معنى حرفي موضوعي ثان، وكل حالة مثل هذه ستعتبر من "المشترك اللفظي" الذي هدفه توفير ألفاظ لمعان قبلية لا ألفاظ لها.

على هذا الرصد لكي يسري، بحسب الطرح التجريبي، أن يصدق ما يلي:

---

(1) ينظر المرجع السابق، صص 202-203.

أولا، بمقتضى الخصائص التي تلازم الأفكار والذهن: أن تكون الأفكار نوعا من الأشياء قابلا للتشكل والتحويل وامتصاص الذهن لها، وأن يكون الذهن نوعا من الأشياء التي تنجز أنشطة ذهنية وتحول أفكارا وتمتصها فتدخلها.

وثانيا، ينبغي أن تكون الاستعارة قد تأسست أصلا على مشابهات موجودة من قبل بين المعنى الحرفي الموضوعي (لا أستطيع تحويل أفكاره عن طريق نشاط [فيزيائي] إلى شكل ليتمكن الجسم من امتصاصه) ومعنى المتكلم (لا أستطيع تحويل أفكاره عن طريق نشاط ذهني إلى شكل يتمكن ذهني من امتصاصه). بمعنى أنه يجب توفر خصائص ملازمة مشتركة بين الذهن والقناة الغذائية.

إن الرصد الذي تقدمه النزعة الموضوعية يقوم إما على التجريد أو على الاشتراك اللفظي، علاوة على تأسسه في تفسير الاستعارات الوضعية وغير الوضعية على مشابهات ملازمة موجودة قبلا. هذه الادعاءات خاطئة بحسب التصور التجريبي، الذي ينفي أن تتأسس المشابهات على خصائص ملازمة. فالمشابهات توجد بالفعل ولكن ينبغي أن تعتبر مشابهات بين خصائص تفاعلية لأنها تأتي نتيجة للاستعارات التصورية.

سنحاول إذن توضيح أهم الخطوات التي اتبعها المؤلفان في سبيل تحقيق مبتغى التعريف ببرنامجها، كل ذلك من خلال تفكيك وإعادة تركيب وتلخيص أهم الأفكار المتناثرة عبر صفحات الكتاب هنا وهناك.

1 . 2 . من أجل نظرية تجريبية للنسق التصوري:

رغم اعتراف المؤلفين أن "نسقنا التصوري ليس من الأشياء التي نعيها بشكل عادي"[1] إلا أنهما حاولا بناء نظرية كافية له انطلاقا من حالات نموذجية واعتمادا على معطيات اللغة اليومية التي تعد حسبهما مصدرا مهما للبرهنة على الكيفية التي يشتغل بها هذا النسق. وعلى هذه النظرية لكي تكون كافية أن ترصد الكيفية التي: تتأسس بها التصورات، وتُبنَين بها، وتتعالق في ما بينها، وتحد بها (أي يكون لها حد، أو تعريف).[2]

سنحاول بدورنا أن نتتبع رصد المؤلفين لهذه الكيفيات الأربع لأجل التفصيل أكثر في وجهة نظرهما القائمة على إعطاء محل للاستعارة في كل كيفية منها وبالتالي بناء نظرية للنسق التصوري تتطابق والدور المركزي لها.

1 . 2 . 1 . **تأسس التصورات**: يرى لايكوف وجونسون وجود نوعين من التصورات، تصورات منبثقة بشكل مباشر وتصورات منبثقة عن هذه التصورات، أي أنها تصورات غير مباشرة. تمثل الأولى أول ما نرشحه من التصورات[3] على غرار التصورات الفضائية البسيطة التي تنبثق من تجربتنا الفضائية المستمرة، أي من

---

(1) جورج لايكوف ومارك جونسن: **الاستعارات التي نحيا بها**، ص 21.

(2) ينظر المرجع نفسه، ص 119.

(3) تسمى أيضا النواة الطرازية، والعلاج المباشر الطرازي قاعدي وبدائي في تجربتنا. ينظر المرجع نفسه، ص93.

تفاعلنا مع محيطنا الفيزيائي، مثل: فوق-تحت، أمام-وراء، داخل-خارج، قريب- بعيد...الخ، وهي التي نستخدمها في اشتغالنا الجسدي اليومي المستمر. وهذه الاستمرارية هي التي تمنح لهذه التصورات أولوية مقابل بنينات فضائية أخرى ممكنة[1]. أما التصورات غير المباشرة فهي تلك التجارب غير المحددة بشكل واضح، منها الأشياء الفيزيائية التي ليس لها حدود واضحة، وكذلك تجاربنا العاطفية التي نعانيها دون أن نمسك بها بدقة.

يتأسس إذن جزء من بنيتنا التصورية من أنشطتنا الإدراكية الحركية المباشرة، ولما كانت هذه التصورات مرسومة بشكل دقيق باعتبار تماسها المباشر مع العالم الفيزيائي بما فيه جسدنا، فإنها ترسم بدقة أكبر مقارنة بتصورات أخرى أقل مباشرة أو وضوح، مثل التجارب العاطفية[2] التي، رغم كونها لا تقل أهمية عن التجارب الإدراكية الحسية والحركية إلا أنها لا تنبثق من فعلنا العاطفي وحده، وإنما تتعالق مع تجاربنا الحسية الحركية الأكثر دقة لبناء تصورات عواطفنا بشكل محدد بوضوح. وهذا ما يدفع إلى اللجوء إلى الاستعارة لفهم مثل هذه التصورات.

---

(1) ينظر المرجع نفسه، ص 77.

(2) مثل تصور "السعادة"، التي نفهمها استعاريا من خلال العلو، أي باستخدام استعارة "السعادة فوق" (مثل قولنا: إنني في قمة السعادة، وإن معنوياتي مرتفعة اليوم)، ونفهم نقيض السعادة بنقيض ذلك، أي من خلال الاستفال (هبطت معنوياتي، وأحس بالتدهور، ورسب في الامتحان...).

تشكل **التعالقات** أساس تصوراتنا الاتجاهية الاستعارية، وهي استعارات "يرتبط أغلبها بالاتجاه الفضائي: عال-مستفل، داخل-خارج، أمام- وراء، فوق- تحت، عميق- سطحي، مركزي-هامشي"[1]. لكن هذه التعالقات مع التجربة الفيزيائية غير كافية وحدها، بل ينبغي تدخل العامل الثقافي الذي يحدد نوع التعالق المختار على أساس أن "التجربة الثقافية والفيزيائية [تقدم] العديد من الأسس الممكنة لاستعارات التفضية، ولهذا السبب يمكن أن يختلف اختيارها وأهميتها نسبيا من ثقافة إلى أخرى"[2].

يمثل الجدول التالي بعض التصورات الاستعارية (الاتجاهية) المنبثقة عن التصور المنبثق المباشر (فوق- تحت)، مع ما يقابلها من أمثلة لغوية تعكسها، وهي مأخوذة عن لايكوف وجونسون، مع الإشارة إلى أنها واعدة وليست نهائية بحسب تعبيرهما[3]:

(1) جورج لايكوف ومارك جونسن: المرجع السابق، ص33.

(2) المرجع نفسه، ص 38.

(3) للاستزادة من الأمثلة اللغوية ينظر المرجع السابق، ص ص34-37.

استعارات اتجاهية	المرتكزات الفيزيائية للتصور	أمثلة لغوية
السعادة فوق والشقاء تحت	ترتبط وضعية السقوط بالشقاء والانهيار، وترتبط وضعية الانتصاب بحالة عاطفية إيجابية.	- إنني في قمة السعادة. - سقطت معنوياتي.
الوعي فوق واللاوعي تحت	ينام الإنسان وأغلب الثدييات الأخرى في وضعية تمدد، ويقوم حين يكون مستيقظا.	- انهض من نومك. - سقط في غيبوبة عميقة.
الصحة والحياة فوق والمرض والموت تحت.	يجبرنا المرض الخطير على التمدد الفيزيائي، وحين نموت نكون فيزيائيا في وضع تحتي.	- إنه في قمة العافية وأوجّها. - صحته في تدهور مستمر. - سقط ميتا.
الأكثر فوق والأقل تحت	إذا أضفنا أشياء معينة إلى مجموعة أشياء أخرى، أو صببنا سائلا إضافيا في إناء، فإن علو مجموعة الأشياء يزيد، ومستوى السائل يرتفع.	- ارتفعت عائداتي في السنة الفارطة. - لقد نزلت أرباحه هذه السنة.

ومن أمثلة استعارات الاتجاه الفضائي (فوق- تحت) نجد أيضا:

- الهيمنة والقوة فوق، والخضوع والضعف تحت.

- النخبة فوق، والأغلبية تحت.
- الجيد فوق، والرديء تحت.
- الفضيلة فوق، والرذيلة تحت.
- العقلاني فوق، والوجداني تحت
- ... الخ.

تتأسس كل هذه الاستعارات على تجربتنا الفيزيائية والثقافية-الاجتماعية، وما يمكن استنتاجه أن جل تصوراتنا الأساسية "منظمة تبعا لاستعارة أو لمجموعة من الاستعارات ذات التوجه الفضائي"[1] بطريقة نسقية داخليا وخارجيا، بمعنى "أن لكل استعارة نسقية داخلية. فاستعارة السعادة فوق تحدد نسقا منسجما من الاستعارات، وليس مجموعة من الحالات المعزولة والصدفوية. فالنسق سيفقد اتساقه لو كانت جملة مثل "إنني في القمة" تعني أنا سعيد، في حين تكون جملة من قبيل "ارتفعت معنوياتي" تعني "أنا حزين"، وهناك نسقية خارجية شاملة لمختلف استعارات التفضية، وهذه النسقية تحكم الانسجام الحاصل بين هذه الاستعارات. هكذا تعطينا استعارة الجيد فوق، توجها نحو الأعلى داخل فكرة الرفاه والسعادة، وهذا التوجه ينسجم مع حالات خاصة مثل السعادة فوق، والصحة فوق، والحياة فوق، والنفوذ فوق..."[2].

(1) المرجع السابق، ص 37.
(2) المرجع نفسه، ص 37.

بعبارة أخرى، نحن نفهم تجربتنا سواء المباشرة أو غير المباشرة بطريقة نسقية وليس بطريقة صدفوية أو معزولة، فمادامت هناك نسقية لهذه الاستعارات فهذا يعني أنها مبنينة بصفة نسقية.

1 . 2 . 2 . بنينة التصورات:

المقصود ببنينة التصورات إعطاءها بنية منسجمة. نقترح هنا أن نميز مدخلين في حديثنا عن بنينة التصورات، أولهما من خلال **الجشطلتات التجريبية**، والثاني من خلال عملية **المقوَلة**:

1 . 2 . 2 . 1 . الجشطلتات التجريبية:

يرى المؤلفان أن نسقية البنينة تنجم عبر ما أسمياه بـ"الجشطلتات المتعددة الأبعاد"، وهي كيفيات يتم بها تنظيم التجربة داخل كل مبنين والتي تجعل التجربة منسجمة، وأن "فهم هذه الجشطلتات المتعددة الأبعاد والتعالقات الموجودة بينها هو مفتاح فهم الانسجام في تجربتنا. وهذه الأبعاد تتحدد بدورها من خلال تصورات منبثقة بشكل مباشر"[1].

الجشطلت[2] التجريبي هو كل مبنين متعدد الأبعاد، وهذه

---

(1) المرجع نفسه، ص 98 وما بعدها.

(2) الجشطلت: هو كل منظم أو وحدة منظمة. وهي الفكرة المركزية عند الحركة المعروفة بعلم النفس الجشطلتي التي انبثقت في نهاية القرن التاسع عشر، ممثلة للانتقال الحاصل من وجهة النظر الذرية/ التجزيئية التي شاعت في علم النفس، وبالخصوص من خلال البحث في الإدراك الحسي. بدأ علم النفس الجشطلتي بفكرة الجشطلت، ومن ثم افترض بأنه من =

الأبعاد "تحدد بدورها من خلال تصورات منبثقة بشكل مباشر. ومعنى ذلك أن الأبعاد المتنوعة (مثل الأطراف، والمقاطع، والأطوار...) مقولات تنبثق بشكل مباشر من تجربتنا"[1] وهي تشكل "الأبعاد الأساسية في تجربتنا. فنحن نصنف تجاربنا بهذه الكيفية، ونرى الانسجام في تجارب متنوعة ما دمنا نمقولها من خلال جشطلتات لها هذه الأبعاد على الأقل"[2].

للتوضيح نقدم هذا المثال الذي يمثل تجربة خاصة وهي تحول حديث عادي إلى جدال، أي تحوله من تجربة إلى تجربة جديدة مختلفة، ونتساءل: ما الذي يحدث أثناء الانتقال بين التجربتين حتى نفهم أو ندرك بأننا انتقلنا من تجربة إلى تجربة جديدة مختلفة، وبالتالي تختلف طريقة حديثنا كما يختلف سلوكنا أثناءها. جواب هذا حسب لايكوف وجونسون هو أن الانتقال تم من بنية تصورية إلى بنية تصورية أخرى، وهذا الانتقال جزئي بطبيعته.

=خلال الإدراك الحسي يعتبر الكل أكثر من حاصل مجموع أجزائه. وقد صاغ علم النفس الجشطلتي آليات إدراكية حسية تسهل علينا تجربتنا. واهتم علماء نفس الجشطلت بالمبادئ التي تسمح للآليات الإدراكية اللاواعية ببناء كليات أو جشطلتات انطلاقا من إدخال إدراكي حسي غير كامل. مثلا، مبدأ الإستمرارية الذي يسمح بإدراك الشيء الغير متصل بسبب وقوع جزء منه خلف شيء آخر مثلا. ينظر:

- Vyvyan Evans: **A Glossary of Cognitive Linguistics**. pp 89-90

(1) جورج لايكوف ومارك جونسن: **الاستعارات التي نحيا بها**، ص 98

(2) المرجع نفسه، ص 99.

يمثل الجدول أسفله مثالا لاستعارة الجدال حرب (يسمى هذا النوع من الاستعارات بالاستعارات البنيوية وسيأتي التفصيل فيها لاحقا). نوضح من خلال هذه الاستعارة كيف يتم الانتقال من حديث عادي نموذجي متصور بطريقة طبيعية كجشطلت له ستة أبعاد تجريبية إلى جدال متصور عبر جشطلت آخر (جشطلت الحرب) مع المحافظة على أبعاد البنية نفسها[1]:

أبعاد البنية	حديث عادى نموذجي	تصور الجدال	تصور الحرب
الأطراف	المتحدثان	الخصمان المتجادلان	المتحاربان
المقاطع	مقاطع الكلام	موقفان / صراع حول الرأي التفكير الجيد لأجل الإقناع- تقديم أسئلة واعتراضات- تغيير المقدمات- الحفاظ على الموقف- مراجعة الرأي- تقديم أسئلة جديَّة- تعب وتوقيف الجدال-قد يستسلم أحد المتجادلين	الموقعان/ صراع حول الموقع التخطيط الاستراتيجي- الهجوم- الدفاع- التراجع- المناورة- الهجوم المضاد- التوريط- الهدنة- الهزيمة/ النصر

(1) لاحظ تفصيل ذلك في: المرجع السابق، ص ص95-98.

أبعاد البنية	حديث عادى نموذجي	تصور الجدال	تصور الحرب
الأطوار	شروط تمهيدية (التحية مثلا) بداية-جزء مركزي-نهاية	للطرفين موقفان متعارضان هجوم موقف الآخر/ الدفاع عن الموقف، مناورة، تراجع، هجوم مضاد- التخلي عن الموقف أو قبول الرأي الآخر	شروط تمهيدية: للطرفين موقفان مختلفان هجوم- دفاع، مناورة، تراجع، هجوم مضاد- هزيمة أو نصر
التعاب الخطي	تنتظم أدوار الطرفين في الكلام في تعاقب خطي..	تنتظم أدوار الطرفين في الجدال في تعاقب خطي..	التراجع بعد الهجوم، الدفاع بعد الهجوم، الهجوم المضاد
الترابط السببي	ينتظر أن تنتج نهاية الدور في الكلام عن بداية الدور الموالي	ينتظر أن تنتج نهاية الدور في الجدال عن بداية الدور لموالي	ينتج عن الهجوم الدفاع أو الهجوم المضاد أو التراجع أو التوقف
الغاية	الحفاظ على التفاعل الاجتماعي الرفيع عن طريق تعاون معقول	التخلي عن الموقف (هزم) قبول الرأي (نصر)	النصر

ما يلاحظ من خلال الجدول أن بنية الحديث تتخذ في الجدال مظاهر من بنية الحرب، وسلوك الطرفين المتجادلين يطابق ذلك. معنى ذلك أن إدراكات الطرفين المتحدثين ونشاطهما توافق، في جزء منها، إدراكات وأنشطة من يدخل حربا. وعليه "يقتضي فهم الحديث باعتباره جدالا أن نسحب البنية المتعددة الأبعاد من جزء من تصور الحرب فنلبسها بنية الحديث الموافقة لها"[1] وعليه يكون جزءا كبيرا من الشبكة التصورية التي تقابل فكرة المعركة ينطبق على فكرة الجدال، واللغة تتبع ذلك.

ما نخلص إليه أنه سواء كانت التصورات جشطلتات بسيطة نسبيا (مثل الحديث) أو معقدة (مثل الحرب) فإنها تتضمن أبعادا متنوعة تنبثق بشكل طبيعي[2] من التجربة. إضافة إلى الجشطلتات المبنينة استعاريا التي يبنين بعضها كليا بواسطة الاستعارة (كالتصورات العاطفية: الحب مثلا) لأنها ليست مرسومة بوضوح في تجربتنا المباشرة وعليه فنحن نفهمها عن طريق الاستعارة، أي من خلال تصورات أخرى أكثر قاعدية ووضوح. بعبارة أخرى،

---

(1) جورج لايكوف ومارك جونسن: المرجع السابق، ص 98.

(2) أنواع التجربة هذه طبيعية أي نتيجة الطبيعة البشرية، بعضها كلي universal وبعضها يختلف بين الثقافات، وتشمل: - أجسادنا (الجهاز الإدراكي، والقدرات الذهنية، والتركيب العاطفي...الخ)؛ تفاعلاتنا مع محيطنا الفيزيائي (التحرك، ومعالجة الأشياء، والأكل...الخ)؛ تفاعلاتنا مع بشر آخرين داخل ثقافتنا (انطلاقا من المؤسسات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدينية).

وبحسب الطرح التجريبي "فالتصورات التي يتم استعمالها بواسطة حدود استعارية هي تلك التي توافق أنواعا طبيعية في التجربة ... [مثل]: الحب، الزمن، والأفكار، والفهم، والجدالات، والعمل، والسعادة، والصحة، والسلطة، والمنزلة الاجتماعية، والعقل... فهذه تصورات تقتضي حدا استعاريا لأنها ليست محددة بوضوح (من خلال ذاتها) في تلبية حاجات "اشتغالنا" اليومي"[1].

أما التصورات التي تستخدم بواسطة حدود استعارية من أجل تحديد تصورات أخرى توافق بدورها أنواعا طبيعية في التجربة مثل: الاتجاهات الفيزيائية، والأشياء، والإبصار، والأسفار، والحرب، والجنون، والغذاء، والبنايات، ...الخ. فهذه التصورات التي تشير إلى أنواع طبيعية في التجربة وفي الأشياء مبنينة بشكل واضح، ولها بنية داخلية ملائمة تكفي في تحديد تصورات أخرى أقل بنينة أو أنها مجردة.

وينتج عن هذا أن بعض الأنواع الطبيعية من التجربة تعد جزئيا استعارية من حيث طبيعتها، إذ تلعب الاستعارة دورا أساسيا في تخصيص بنية التجربة. والجدال مثال واضح على ذلك، فالقيام ببعض التجارب، مثل التحدث والاستماع وغيرهما، باعتبارها تدخل في جدال ما، يقتضي جزئيا البنية المعطاة لتصور الجدال من خلال استعارة الجدال حرب.

(1) جورج لايكوف ومارك جونسن: السابق، ص 129.

وفي الحقيقة فإن الحديث عن الجشطلتات التجريبية هو حديث عن ظاهرة انسجام التصور أكثر منه بنية التصور، لذلك من الأفضل أن نتحدث عن المقولة التي تبرز فيها أكثر ظاهرة البنينة التصورية وعلاقة الاستعارة بذلك.

1 . 2 . 2 . 2 . **المقولة : (categorization)**

يرى عبد المجيد جحفة في تقديمه لترجمة كتاب لايكوف "حرب الخليج أو الاستعارات التي تقتل"(1) أن من مظاهر النقلة الفكرية النوعية للمقاربة التجريبية هو في ثورتها على المنظور الموضوعي لعملية المقولة (أي تنظيم العالم وتصنيف أشيائه ووضعياته وأحداثه). فهذا المنظور (الموضوعي أو الكلاسيكي الأرسطي) يقوم على ثوابت، منها:

- العالم الخارجي عبارة عن موضوعات ذات خصائص مميزة مستقلة عن الكائن البشري وذهنه وعن باقي الكائنات (فالصخرة مثلا، موضوع صلب بغض النظر عن وجود الإنسان).

- المعرفة التي نحصل عليها بخصوص الموضوعات ناتجة عن احتكاكنا بها (فالصخرة صلبة لأننا ندرك ذلك لحظة لمسها، وهي مستقلة لأننا ندرك ذلك خلال تحريكها).

- يدخل هذا الموضوع ضمن هذه المقولة أو تلك إذا اشترك مع باقي موضوعاتها في السمات المخصصة.

(1) ينظر: جورج لايكوف: حرب الخليج، أو الاستعارات التي تقتل. تقديم الترجمة، ص ص 7-10..

- دور الذهن البشري أن يعكس عناصر الطبيعة، فالذهن مرآة للطبيعة..

- هناك تطابق بين الرموز التي يستخدمها الإنسان وعناصر العالم الخارجي، وبالتالي فالرموز تكون ثابتة وواضحة ومطابقة للواقع.

- الحقيقة مطلقة وغير مشروطة، كما أن جميع الناس يستخدمون نسقا تصوريا واحدا.

لقد دحض الطرح التجريبي حسب نظرة لايكوف وجونسون، هذا التصور الذي يعزل ذهن الإنسان وجسده عن باقي عناصر العالم الخارجي، ويقصي من الاعتبار فاعلية الجسد والخيال والثقافة في تنظيم العالم وفهمه، وبالتالي إعطائه معنى.

يقتضي حديثنا عن المقولة في التصور التجريبي الحديث عن الخاصية التفاعلية، أي تفاعل التجربة الإنسانية مع عناصر العالم الخارجي. فالمقولة حسب نظرة لايكوف وجونسون ضرورية من أجل فهم العالم والاشتغال فيه، علينا أن نمقول الأشياء والتجارب التي نصادفها بطريقة تجعلها ذوات معنى لدينا. بعض هذه المقولات تنبثق بشكل مباشر من تجربتنا ومن هيئة أجسادنا ومن طبيعة تفاعلاتنا مع باقي البشر ومع محيطنا الفيزيائي والاجتماعي.[1]

---

(1) ينظر: جورج لايكوف ومارك جونسن: **الاستعارات التي نحيا بها**، ص 165.

وتظهر الخاصية التفاعلية في عملية المقولة باعتبارها "طريقة طبيعية لتحديد نوع من الأشياء أو التجارب، وذلك من خلال تسليط الضوء على بعض الخصائص والتقليل من أهمية خصائص أخرى أو إخفائها... والتركيز على مجموعة من الخصائص يصرف انتباهنا عن مجموعات أخرى. إننا حين نصف الأشياء خلال حياتنا اليومية، نستخدم مقولات تبئر بعض الخصائص الواردة التي توافق نوايانا... وعموما فالإثباتات الصادقة التي ننجزها ترتكز على ما يسلط عليه الضوء من خلال الأبعاد الطبيعية[1] لمقولاتنا... فكل إثبات صادق يلغي، إذن، ما قللت من أهميته المقولات المستخدمة أو أخفته."[2]

يرتبط الصدق بالمقولة من خلال أربعة طرق:

- لا يكون الإثبات صادقا إلا بالنظر إلى فهم معين له.

- يقتضي الفهم دائما المقولة البشرية التي ترتبط بخصائص تفاعلية.

- يرتبط صدق الإثبات دائما بالخصائص التي سلطت عليها الضوء المقولات المستخدمة في الإثبات.

(1) هذه الأبعاد هي البعد الإدراكي، والوظيفي، والغرضي. ينظر المرجع نفسه، ص 165.

(2) المرجع نفسه، صص 165 - 166.

- المقولات ليست ثابتة ولا متماثلة. إنها تحدد من خلال الطرازات والتشابهات الأسرية[1] المرتبطة بالطرازات. وقد يتم تعديل المقولات في السياق تبعا للأغراض المتنوعة. فصدق الإثبات يرتبط بكفاية المقولة المستخدمة، وهذه الأخيرة تتنوع بحسب أغراض الناس وبحسب المظاهر السياقية الأخرى.

وعلى العموم فإنه من أجل الوصول إلى ما هو صادق واستعماله فإننا نحتاج إلى إدراك كاف للعالم يلبي حاجاتنا وطموحنا. فالمقولات المنبثقة من التجربة المباشرة تبنين على أساسها التصورات المنبثقة مباشرة كالتصورات الاتجاهية وتصورات الشيء والمادة والغرض والسبب...، ولكن عندما نخرج من المقولات المنبثقة من التجربة الفيزيائية المباشرة -كالاتجاهية مثلا- فإننا نقوم بعملية إسقاط لهذه المقولات على مظاهر من التجارب لنا معها تجربة أقل مباشرة، لذلك فإنه عندما يقوم الإنسان "بإسقاط هذه الاتجاهات (مثل فوق وتحت، وأمام وخلف) على مجال مجرد مثل السعادة أو الشقاء أو الزمان، يكون قد أنتج مقولة بفعل تفاعل الجسد والمحيط. كما أن لغته تستطيع إنتاج بنيات تعكس كون السعادة فوق... وبناءً على هذا، فإن سمات الموضوعات ليست ملازمة وثابتة مثلما يزعم المنظور الموضوعي،

---

(1) يرى لايكوف وجونسون أن كل مقولة مبنينة من خلال طراز. ويعتبر الشيء عضوا في المقولة بمقتضى التشابهات الأسرية التي يشترك فيها مع الطراز. ينظر المرجع السابق: ص 176.

بل إنها ذات طبيعة تفاعلية. أضف إلى ذلك أن المقولة تنتج عن هذا التفاعل أيضا"[1].

يندرج في هذا الإطار ما يسمى بالاستعارات الأنطولوجية (الوجودية)، التي تعني أن "فهم تجاربنا عن طريق الأشياء والمواد يسمح لنا باختيار عناصر تجربتنا ومعالجتها باعتبارها كيانات معزولة أو باعتبارها موادَ من نوع واحد. وحين نتمكن من تعيين تجاربنا باعتبارها كيانات أو مواد فإنه يصبح بوسعنا الإحالة عليها ومقولتها وتجميعها وتكميمها، وبهذا نعتبرها أشياء تنتمي إلى منطقنا"[2].

وهكذا نلاحظ أنه حتى في مقولتنا للأشياء والأنشطة والأحداث فإننا نقوم بإسقاطات استعارية بخصوص جانب مهم من تجاربنا، تلك التجارب التي لا نفهمها بشكل واضح على وجه التحديد.

1 . 2 . 3 . **التعالق التصوري:**

رأينا أن الاستعارات الاتجاهية نوع من الاستعارات الذي ينظم نسقا كاملا من التصورات المتعالقة التي يرتبط أغلبها بالاتجاه الفضائي التي تنبع من كون أجسادنا لها هذا الشكل الذي هي عليه

---

(1) جورج لايكوف: حرب الخليج، أو الاستعارات التي تقتل. تقديم الترجمة، ص 9.

(2) سنعود لنفصل في هذا النوع عند حديثنا عن أنواع الاستعارات.

وتشتغل به في محيطها بالكيفية التي تشتغل بها. وكذلك الشأن بالنسبة للاستعارات البنيوية (مثل الجدال حرب) حيث يعالق تصور تصورا، أو يعالق جشطلت تصوري جشطلتا تصوريا آخر، وقد رأينا كيف تلعب الاستعارة دورا في عملية التعالق التصوري هاته.

ويبين لايكوف في نظريته المعاصرة للاستعارة[1] أن الكثير مما هو حقيقي في المجتمع أو في تجربة الفرد هو مبنين ويحمل معنى عن طريق الاستعارة الوضعية. والأسس التجريبية وتحققات الاستعارة وجهان لعملة واحدة: فكلاهما عبارة عن تعالقات لها في التجربة الواقعية البنية نفسها كشأن التعالقات في الاستعارات. ويكمن الفرق في أن هذه الأسس التجريبية تسبق الترابطات الاستعارية الوضعية، وتؤسسها، وتعطيها معنى، في حين يكون للتحققات الاستعارية معنى عن طريق الاستعاوات الوضعية. ويمكن لتحققات جيل واحد من الاستعارة أن يصبح بدوره جزءا من الأساس التجريبي للجيل القادم لهذه الاستعارة .

1 . 2 . 4 . حد التصورات:

إن الحديث عن حد (أو تعريف) التصور هو حديث عن الكيفية التي يمعجم بها في القواميس خاصة، هذا الحد حسب الطرح التجريبي يختلف كثيرا عن الموقف المعيار الذي يطمح إلى

(1) Cf. George Lakoff: **The Contemporary Theory of Metaphor** .p244

الموضوعية "ولذلك يفترض أن للتجارب والأشياء خصائص تلازمها، والكائنات البشرية تفهمها كليا انطلاقا من هذه الخصائص. إن [الحد]، عند ذوي النزعة الموضوعية، هو أن نبين ما هي هذه الخصائص الملازمة..، وذلك عن طريق إعطاء الشروط الضرورية الكافية لانطباق التصور..."[1].

مثال ذلك، يمكن التمييز بين الحدين الموضوعي والتجريبي لتصور "الحب" من خلال هذا الجدول:

التصور/ الكلمة	الحد الموضوعي	الحد التجريبي
الحب	مداخل قاموسية تشير إلى العاطفة، والحنان، والتفاني، والولع....الخ	يتم من خلال استعارات عدة: الحب سفر؛ الحب جنون؛ الحب حرب.. الخ

اعتراض الطرح التجريبي عن مثل هذا التحديد يرجع إلى كونه يهمل الطريقة التي يفهم بها الناس تصوراتهم من خلال الاستعارات، فالمنظور التجريبي يختلف عن المنظور الموضوعي في نظرته للغة باعتبارها "مصدرا للمعطيات التي يمكن أن تقود إلى مبادئ عامة بصدد الفهم. والمبادئ العامة تستلزم أنسقة كاملة من التصورات وليس كلمات أو تصورات فرعية"[2]، يزعم لايكوف وجونسون هنا أنهما وجدا أن لهذه المبادئ، في الغالب، طبيعة

(1) جورج لايكوف ومارك جونسن: **الاستعارات التي نحيا بها**، ص 130.
(2) المرجع السابق، ص 128.

استعارية، تقتضي **فهم نوع من التجربة من خلال نوع آخر**. وعلى هذا يكمن الفرق الجوهري بين عملهما وعمل واضعي القواميس وباقي المختصين في المعنى. ذلك أنه من الغريب أن نجد أنه من معاني "الحب" الجنون والسفر؛ أو غذاء كمعنى من معاني "الفكرة" (الأفكار أغذية). إن حدود تصور ما ينظر إليها باعتبارها تخصص الأشياء التي تكون ملازمة لهذا التصور في ذاته. أما بالنسبة للطرح التجريبي فيهتم بالكيفية التي يقبض بها البشر على التصور، كيف يفهمونه، وكيف يشتغلون ويتصرفون باعتباره. فالجنون والأسفار تجعلنا نقبض على [أو نفهم] تصور الحب، تماما مثلما يجعلنا الغذاء نقبض على تصور الفكرة.

فيما يلي نقدم هذه الخلاصة التي استنتجناها من معالجة المؤلفين لطبيعة النسق التصوري البشري الذي يتمظهر حسبهما[1] بالمظاهر التالية:

- إن النسق التصوري أساسه تجاربنا في العالم. فكل من التصورات المنبثقة بشكل مباشر (مثل: فوق-تحت، والشيء، والمعالجة المباشرة) والاستعارات (مثل: السعادة فوق، والجدال حرب) لها أسسها في تفاعلنا المستمر مع محيطينا الفيزيائي والثقافي. وكذلك الشيء بالنسبة للأبعاد التي تبنين تجربتنا (مثل المقاطع، والأطوار، والأغراض، ...الخ)، إذ تنبثق بشكل طبيعي من نشاطنا في العالم. وهذا النوع من النسق التصوري الذي نملكه ناتج عن

(1) المرجع نفسه، ص 179.

نوعنا باعتبارنا كائنات، وعن الكيفية التي نتفاعل بها مع محيطينا الفيزيائي والثقافي.

- للنسق التصوري مظاهره الثمانية المنتمية إليه وهي بنية الكيان، بنية الاتجاه، أبعاد التجربة، الجشطلتات التجريبية، الخلفية، تسليط الضوء، الخصائص التفاعلية، والطرازات، ومظاهر نسقنا التصوري العادي هاته تستخدم كلما كنا بإزاء فهم وضع ما سواء من خلال الاستعارة أو من خلال غيرها.

- إن الناس الذين يمتلكون أنسقة تصورية مخالفة (...) قد تكون مجموعة من الأشياء الصادقة عندهم تختلف عما هو صادق عندنا. وقد تكون لهم معايير مختلفة لتحديد الصدق والواقع (أو الحقيقة).

1 . 3 . الاستعارة وإبداع المشابهة والحقيقة:

يلح لايكوف وجونسون في عملهما على أن "الفرق بين المشابهات الموضوعية والمشابهات التجريبية أساسي"[1]، وقد ناقشا هذه المسألة بإسهاب في الإطار العام لنظرتهما الجديدة بخصوص القضايا المشار إليها آنفا.

إن الاستعارة بالنسبة للباحثين تبدع مشابهات جديدة، وهذا الطرح يخالف النظرية التقليدية حول الاستعارة التي مازال يعمل بها بشكل واسع، والمقصود بذلك **نظرية المقارنة**[2] التي ترتبط

(1) جورج لايكوف ومارك جونسن: المرجع السابق، ص 158.

(2) ينظر المرجع نفسه، ص 157.

بفلسفة ذات نزعة موضوعية تعتبر كل المشابهات موضوعية، تلازم الكيانات نفسها. تقول نظرية المقارنة بما يلي:

- إن الاستعارة ظاهرة لغوية، وليست ظاهرة تتعلق بالفكر أو الأنشطة..

- إن الاستعارة ذات الصورة "أ هو ب" عبارة لغوية لها نفس معنى العبارة اللغوية التي تقابلها وهي "أ تشبه ب بالنظر إلى س، ص. ..."، وتشير العبارة الأخيرة إلى "المشابهات المعزولة".

- إذن، فالاستعارة لا تستطيع إلا وصف مشابهات قبلية. وليس بإمكانها إبداع مشابهات.

في مقابل هذا تدافع النظرية التجريبية عن النقاط التالية:

- الاستعارة ظاهرة ترتبط أولا بالأفكار والأنشطة، أما ارتباطها باللغة فمشتق فقط من الارتباط السابق.

أ) قد ترتكز الاستعارات على مشابهات، رغم أنه في عدد من الحالات تكون هذه المشابهات نفسها مرتكزة على استعارات وضعية لا ترتكز على مشابهات. وتعد المشابهات المرتكزة على الاستعارات الوضعية، مع ذلك، حقيقية في ثقافتنا، بما أن الاستعارات الوضعية تحدد جزئيا ما نعتبره واقعيا وحقيقيا.

ب) رغم أن الاستعارة قد ترتكز جزئيا على مشابهات معزولة، فإن المشابهات المهمة تكون تلك التي أبدعتها الاستعارة.

- إن أهم وظيفة تقوم بها الاستعارة إتاحة فهم جزئي لنوع من التجارب من خلال نوع آخر. وقد يدخل في ذلك المشابهات المعزولة الموجودة قبلا، وإبداع مشابهات جديدة، وأشياء أخرى.

يصرح لايكوف في موضع آخر (حوار منشور) بما يلي: "أولا، يفكر الناس بطريقة استعارية، لكنهم لا يعون ذلك. وثانيا، عندما يفكرون استعاريا، فإنهم يصوغون مقولات جديدة، ويصدقون بأنها حقيقة وأنها ترتكز على المشابهة. ولكن الاستعارات لا ترتكز على المشابهة؛ إنها فقط ترابطات عبر المجالات. ما إن تستخدم الاستعارة لأول مرة، فإنها تخلق مشابهة تصورية. هذه المشابهة التصورية يؤخذ بها لتكون مشابهة حقيقية تحدد مقولة جديدة..."[1]

إن المشابهات الوحيدة الواردة بالنسبة للاستعارة كما يراها لايكوف وجونسون "هي المشابهات كما يمارس الناس تجربتها (...). وبإيجاز، فصاحب النزعة الموضوعية سيقول إن للأشياء خصائص في استقلال عن الشخص الذي يمارس تجربتها. وتعد الأشياء متشابهة موضوعيا إذا كانت تشترك في هذه الخصائص"[2].

(1) George Lakoff : Interviewed by lain A . Boal : **Body, Brain, and Communication** .
from :
http://www.cas.buffalo.edu/classes/dms/bernad/ms434/readings/Lakoff.pdf , p :128

(2) جورج لايكوف ومارك جونسن: **الاستعارات التي نحيا بها**، ص 158 .

لهذا السبب فالقول بإبداع الاستعارة للمشابهات ترفضه النزعة الموضوعية، مادام ذلك سيؤدي إلى إدخال تعديلات على هذه الخصائص وربما خلق خصائص أخرى لم تكن موجودة. ورغم ذلك فإن هناك نقطة أساسية توافق فيها النزعة التجريبية النزعة الموضوعية وهي "أن الأشياء في العالم تلعب دورا في تقييد نسقنا التصوري. إلا أنها لا تلعب هذا الدور إلا عبر تجربتنا معها. وبهذا فالتجارب: 1) ستختلف من ثقافة إلى أخرى، و2) قد يتوقف فهمنا لنوع منها على نوع آخر، أي أن تجاربنا قد تكون استعارية من حيث طبيعتها"[1].

نفهم من هذا كله أن الخصائص التي نعتقدها في ذواتنا وفي أشياء العالم، والمشابهات التي ننسبها إليها إنما تقوم على ما نفهمه عنها، وما هي الطريقة التي نبنين بها تصوراتنا حولها، هذه التصورات التي تشغل نسقنا التصوري وبها نشتغل في العالم ومع الآخرين في محيطنا. وبما أن الطريقة التي يبنين بها نسقنا التصوري هي استعارية في معظمها فإن المشابهات المطروحة هنا ستكون تشابهات تجريبية (أي كيف نجربها ونعانيها) وليست تشابهات موضوعية بين خصائص ملازمة بصفة مطلقة.

لتوضيح كيفية إقامة الاستعارة للمشابهات وإبداعها لها نورد هنا أمثلة عن ثلاث استعارات، واحدة وضعية والأخريين جديدتين، ننقلها عن لايكوف وجونسون[2] دائما:

---

(1) المرجع نفسه، ص نفسها.

(2) راجع الفصل الثاني والعشرين، صص 153-154.

- استعارة "**الأفكار أغذية**":

تقيم هذه الاستعارة الوضعية مشابهة بين الأفكار والأغذية، فكلاهما يهضم، ويجتر، ويبلع، ويلتهم، ويتم تسخينه ثانية، كما أن كليهما يغذينا. هذه المشابهات لا توجد في استقلال عن هذه الاستعارة، وهذه التصورات الخاصة بالأغذية تمدنا بطريقة لفهم عمليات نفسية (الأفكار) لا نملك الوسائل المباشرة أو المحددة لبناء تصور عنها.

- استعارة "**المشاكل رواسب في محلول كيميائي**"[1]:

تنبني هذه الاستعارة الجديدة على الاستعارة الوضعية التالية: **المشاكل أشياء صلبة**. وتضيف هذه الاستعارة إلى ما سبق أن المشاكل أشياء صلبة ما يجعلها رواسب في محلول. والمشابهات التي نستنبطها بين المشاكل والرواسب هنا هي أن لكليهما شكل مدرك، وبهذا يمكن تعيينها وتحليلها. إضافة إلى إمكانية بروز الرواسب مرة أخرى بعد انحلالها، مثلما تعود المشاكل للظهور. والذي يسمح بهذه المشابهة هي الاستعارة.

---

(1) تعد هذه الاستعارة جديدة بحسب لايكوف وجونسون بسبب أنها تختلف عن طريقتنا الوضعية التي نتصور بها المشاكل التي نفهمها عادة على أساس أنها ألغاز نعمل جاهدين على حلها الحل النهائي. واللغة تعكس ذلك بتعابير مثل: لم أستطع حل هذه المشكلة، إنها مشكلة معقدة، إنها تحتاج إلى تفكير عميق، أبحث عن حل لمشكلتي...الخ.

- استعارة "**الحب عمل فني مشترك**":

هذه الاستعارة التي تعد جديدة أيضا تسلط الضوء على بعض مظاهر تجارب الحب، وتخفف من أهمية مظاهر أخرى فيما تخفي بعضا آخر. وبالتالي فهي تستنبط مجموعة من المشابهات بين تجارب الحب التي تسلط الضوء عليها والتجارب الحقيقية أو الخيالية في الاشتراك في عمل فني ما. وبإعطائها لهذه البنية الجديدة تبدع مشابهات من نوع جديد لم تكن موجودة في تصورات وضعية سابقة للحب مثل: **الحب حرب**، أو **الحب جنون** ....، بمعنى أن استعارة **الحب عمل فني مشترك** تنتقي طبقة معينة من تجارب الحب لدينا، وتحدد مشابهة بنيوية بين مجمل طبقة التجارب المسلط عليها الضوء وطبقة التجارب التي يتطلبها إنتاج أعمال فنية مشتركة (مثل: العمل، الإبداع، رسم الأهداف المشتركة، البناء، المساعدة...الخ).

نلخص الطريقة التي تبدع بها الاستعارات مشابهات في النقاط التالية[1]:

- ترتكز الاستعارات الوضعية (الاتجاهية، والأنطولوجية، والبنيوية) غالبا على ترابطات ندركها في تجربتنا، وبذلك نجد مشابهة بينها. ومن المهم أن يكون واضحا أن الترابطات ليست هي المشابهات. فالاستعارات التي ترتكز على الترابطات في تجربتنا تحدد التصورات التي ندرك بواسطتها المشابهات.

(1) ينظر: جورج لايكوف ومارك جونسن: **الاستعارات التي نحيا بها**، 156-157.

- قد ترتكز الاستعارات الوضعية ذات التنوع البنيوي[1] (مثل **الأفكار أغذية**) على مشابهات تنشأ من استعارات اتجاهية وأنطولوجية.. إذ ترتكز على استعارة **الأفكار** أشياء (أنطولوجية)، وعلى استعارة **الذهن** وعاء (أنطولوجية واتجاهية). وتستنبط المشابهة البنيوية بين الأفكار والأغذية بواسطة هذه الاستعارة.

- الاستعارات الجديدة في الأغلب بنيوية. وبإمكانها أن تبدع مشابهات بنفس الكيفية التي تبدعها بها الاستعارات الوضعية التي تكون بنيوية. ومعنى هذا أنها قد ترتكز على مشابهات ناشئة عن استعارات ناشئة عن استعارات أنطولوجية واتجاهية.

- تصنف الاستعارات الجديدة بموجب اقتضاءاتها[2] طبقة من التجارب عن طريق تسليط الضوء عليها، أو التخفيف من أهميتها، أو إخفائها. وبعد ذلك تخصص الاستعارة مشابهة بين طبقة التجارب المسلط عليها الضوء كلها وطبقة أخرى من التجارب.

- تكون المشابهات مشابهات باعتبار الاستعارة. فتجربة الحب المحبطة قد تفهم باعتبارها مشابهة لتجربة فنية محبطة. إلا أن ذلك لا يتم بموجب سمة الإحباط المتوافرة في كلتيهما، بل باعتبار أن التجربة الفنية المحبطة تتضمن نوع الإحباط الذي قد يتضمنه الإنتاج المشترك لأعمال فنية.

---

(1) يأخذ هذا النوع لاحقا اسما آخر هو 'الاستعارات المعقدة' أو المركبة.

(2) ينظر عن الاقتضاء الاستعاري لاحقا.

- تتأسس الاستعارات التصورية على ترابطات داخل تجربتنا. وقد تكون هذه الترابطات التجريبية من نوعين: إما تسايقا تجريبيا أو مشابهة تجريبية. وتعد استعارة **الأكثر فوق** مثالا جيدا عن التسايق التجريبي: زيادة المادة ورؤية صعود مستواها. أما المشابهة التجريبية فنجدها مثلا في استعارة **الحياة لعبة حظ** حيث تمارس تجربة أعمال الحياة كما لو كانت لعبا أو قمارا.

لإبداع الحقيقة صلة أيضا بالجانب الإبداعي للاستعارة، وهي نتيجة طبيعية لإبداع مشابهات جديدة بين أشياء الكون، لكن الشيء المهم في هذه النتيجة هو في خطورتها أيضا، وإن كان لايكوف وجونسون يركزان على هذه الخطورة في بعدها الاجتماعي والسياسي، فإننا نرى أن الأمر لا يتوقف عند هذا الحد طبعا، ما دمنا نحيا بالاستعارة، بل إن الأمر قد يتعدى إلى مجالات حياتية عديدة، لذلك وجدنا د.عبد الله الحراصي[1] يدعو إلى ضرورة الاستفادة من هذه الأفكار المتعلقة بالتجسد الذهني من خلال الاستعارة في دراسة وتحليل منظوماتنا الفكرية بشتى أشكالها الدينية والفكرية والسياسية، ما سيؤدي إلى توضيح جوانب كانت غائبة حتى الآن

---

(1) ينظر: عبد الله الحراصي: **الاستعارة، التجربة، العقل المتجسد**، عرض لمسار الفلسفة التجريبية (1980-1999) مع ترجمة لقسم من كتاب 'الفلسفة في الجسد'، مجلة نزوى-تصدر عن مؤسسة عمان للصحافة والنشر والتوزيع، العدد 20، (صفحات ويب دون ترقيم)، راجع الرابط الالكتروني:

http://www.nizwa.com/articles.php?id=1059

حول سيادة التجسد (الاستعاري) في الفكر، ودوره في بنينة منطقنا ورؤانا وتصوراتنا. إضافة إلى ضرورة انطلاق أي مشروع فكري أو فلسفي من الإنسان وما يرتبط به وباشتغاله اليومي المعيشي، أما ما يخصنا نحن كمشتغلين بالأدب والثقافة فعلينا أن نعيد النظر في بعض المسلمات التي نشتغل على أساسها باعتبارها حقائق، من ذلك ما ساد في الساحة الثقافية من أن الأدب وهم وألم، وهذه ما هي إلا استعارة لها مستتبعات خطيرة تحكم المفكرين والمشتغلين بالنقد والإبداع دون وعي في الغالب، فهي استعارة نحيا بها دون وعي بأبعادها، ما يؤدي في نهاية المطاف إلى نتاج أدبي ونقدي لا يعكس تجربة إنسانية حقيقة، وعلى المستوى الاجتماعي حيث تعيش مجموعة الكتاب حياة سلبية منعزلة عن الواقع، في غالب الأحيان. كل هذا نتيجة أن جزءا مهما من واقعنا الاجتماعي يفهم بطريقة استعارية، وأن الاستعارة تلعب دورا دالا في تحديد ما هو واقعي وحقيقي عندنا.

نتساءل إذن: كيف تتجلى قوة الاستعارة هذه في خلق الحقيقة وإبداعها، وليس في إعطاء طريقة لبناء تصور لحقيقة موجودة سلفا؟.

بحسب لايكوف وجونسون[1] يخالف إمكان إبداع الاستعارات للحقائق الآراء التقليدية بصدد الاستعارة والسبب في ذلك أنه كان ينظر إلى الاستعارة تقليديا باعتبارها مسألة خاصة

(1) ينظر: **الاستعارات التي نحيا بها**، ص 150.

باللغة، وليس باعتبارها-أساسا- وسيلة من الوسائل التي تبنين نسقنا التصوري وأنواع الأنشطة التي ننجزها. فالكلمات وحدها لا تغير الحقيقة غير أن التغيرات في نسقنا التصوري تغير ماهو حقيقي عندنا، وتؤثر في كيفية إدراكنا للعالم.

أما عن طريقة تغيير النسق التصوري فتتم بدخول استعارات جديدة في بنينته، إذ يؤكد الباحثان[1] في هذا الصدد على أن عددا من أنشطتنا استعارية بطبيعتها، والتصورات الاستعارية التي تخصص هذه الأنشطة تبنين حقيقتنا الحاضرة، أما الاستعارات الجديدة فلها القوة على خلق حقيقة جديدة. وقد يبدأ هذا في الحصول حين نبدأ في إدراك تجاربنا عن طريق هذه الاستعارات، وتصبح حقيقة أعمق حين نبدأ في التصرف انطلاقا منها. وإذا دخلت استعارة جديدة في النسق التصوري الذي نؤسس عليه تصرفاتنا فإنها تغير هذا النسق التصوري، كما تغير الإدراكات والتصرفات التي ينشئها هذا النسق. إننا في كل تفاصيل حياتنا نحدد الحقيقة من خلال الاستعارات، ونتصرف بموجبها. إننا نرسم استنتاجات، ونرمي إلى أهداف، ونقوم بتعهدات، وننفذ مخططات... نفعل كل هذا اعتمادا على البنينة الشعورية أو اللاشعورية لتجربتنا انطلاقا من الاستعارة التي تلعب دورا مركزيا في بناء واقعنا.

---

(1) ينظر المرجع نفسه، ص 163.

1 . 4 . اللغة والمعنى في الطرح التجريبي:

ما هو ملفت للنظر في عمل لايكوف وجونسون أيضا، هو تحدي طرحهما التجريبي للأطروحات السابقة حول اللغة والمعنى التي يتبناها أغلب الفلاسفة وعلماء اللسانيات الحديثة من ذوي النزعة الموضوعية، وهي أطروحات تتمحور حول ما يلي[1]:

- يرتبط الصدق بمطابقة الألفاظ للعالم.
- ترتكز نظرية المعنى في اللغات الطبيعية على نظرية للصدق. وهذه النظرية مستقلة عن الطريقة التي يفهم بها الناس اللغة ويستخدمونها بها.
- المعنى موضوعي ومتجرد ومستقل عن الفهم البشري.
- الجمل موضوعات [أو أشياء] مجردة لها بنيات ملازمة لها.
- يمكن الحصول على معنى جملة ما انطلاقا من معنى أجزائها وبنيتها.
- التواصل نقل متكلم لرسالة حاملة لمعنى ثابت إلى مستمع.
- إن كيفية فهم أحدهم لجملة ما، وما تعنيه هذه الجملة عنده أمران ناتجان عن معنى الجملة الموضوعي، وعما يعتقده ذلك الفرد بصدد العالم والسياق الذي قيلت فيه الجملة.

---

(1) ينظر مناقشة المؤلفين لهذه الأطروحات في الفصل السادس والعشرين وما يليه من كتابهما.

على خلاف هذا يرى الطرح التجريبي أن المعنى هو تصوري، أي أن محله ذهن المتكلم وذهن السامع وليس في الجمل والتعابير، فهو "يعطى من خلال بنية تصورية" وبما أن "جزءا كبيرا من البنية التصورية للغة ذو طبيعة استعارية، والبنية التصورية أساسها تجربتنا الفيزيائية والثقافية...، فالمعنى لا يمكن أن يكون متجردا أو موضوعيا. فهو يقوم دائما على اكتسابنا لنسق تصوري وعلى استعمالنا إياه. إضافة إلى ذلك، يحدد الصدق نسبة إلى نسق تصوري معين، وإلى الاستعارات التي تبنينه. فالصدق ليس مطلقا أو موضوعيا. إنه يتأسس بالأحرى على الفهم. وبهذا، فالجمل ليست لها معان تلازمها، أو معان تسند إليها بشكل موضوعي. والتواصل لا يمكن أن يكون نقلا لهذه المعاني فحسب."[1]

نعتقد أخيرا أن أهم افتراض قدمه الباحثان في مؤلفهما هو أن الاستعارة لا ترتبط باللغة أو بالألفاظ، بل بالفكر في المقام الأول، ذلك أن سيرورات الفكر البشري -كما يذكران بذلك كل مرة- هي التي تعد استعارية في جزء كبير منها. وهذا ما يعنيه قولهما إن النسق التصوري البشري مبنين ومحدد استعاريا. فالاستعارات في اللغة ليست ممكنة إلا لأن هناك استعارات في النسق التصوري لكل منا. وهكذا يصبح للاستعارة مفهوما جديدا ومغايرا، فهي تصورية في المقام الأول ويجب أن تفهم كذلك.

(1) جورج لايكوف ومارك جونسن: المرجع السابق. ص 109.

نفهم من هذا أن الاهتمام الأول ينبغي أن يولى للاستعارة التصورية (أو الذهنية)، باعتبارها مصدرا أو أصلا يمكن الاستدلال عليه من خلال ما يتجلى من سلوكات بشرية عديدة، ومنها السلوك اللغوي.

نكتفي في الأخير بهذا القدر من تسليط الضوء على بعض جوانب المشروع التجريبي وليس كلها، بل إن تركيزنا على الاستعارة التصورية في هذا الإطار الواسع بقي قاصرا عن الإحاطة بكل الأفكار المرتبطة بها، غير أننا حاولنا تقديم بعض المفاتيح أو المداخل التي لا تغني عن ضرورة العودة إلى المرجع الأساسي لها (الاستعارات التي نحيا بها) والمراجع الأخرى لنفس الباحثين وبخاصة كتابهما المشترك الثاني "الفلسفة في الجسد"[1] الذي احتوى مجمل أفكارهما، من أجل فهم الخلفيات الفكرية والفلسفية لهذا المشروع ككل وبأكثر تفصيل. على أن تكون لنا عودة للتفصيل أكثر في النقطة الأخيرة المتعلقة بالجانب الدلالي واللغوي للاستعارة في الفصل الثالث من هذا العمل.

2. الاستعارة التصورية: تحديدات تجريبية

نود قبل الحديث عن المسائل المتصلة بالاستعارة التصورية من تحديدات اصطلاحية وأنواع وغير ذلك أن نستهل الحديث عن

---

(1) Cf. George Lakoff and Mark Johnson: **Philosophy in the Flesh**: The Embodied Mind and its Challenge for Western Thought. New York: Basic Books (1999).

البراهين التي اعتمدها منظروها للبرهنة على وجودها، ولقد سبق أن وضحنا الطريقة التي ساهمت بها الوسيلة الاستعارية في بناء مقاربة جديدة للفهم البشري بعدها آلية جوهرية في حصوله، وخلق دلالات وحقائق جديدة في حياتنا، ما يناقض ما يذهب إليه الطرحان الموضوعي والذاتي في الآن نفسه، وتنصيب الطرح التجريبي نفسه كبديل أو كخيار ثالث بين هذين الطرحين. نتساءل إذن: ما هي البراهين الممكنة على وجود الاستعارة التصورية، أو على تصورية الاستعارة؟.

2 . 1 . البرهنة على الاستعارة التصورية:

من البراهين التي استند عليها منظرو الاستعارة التصورية في مسعاهم لإثبات وجودها وشيوعها، يمكن العثور على ما يلي:

2 . 1 . 1 . البراهين اللغوية وغير اللغوية:

من التحديدات التي أعطيت للاستعارة التصورية بحسب رؤية لايكوف وجونسون أنها "عمليات تصورية (أو ذهنية) تنعكس في اللغة الإنسانية وتسمح للمتكلم ببنينة وتفسير مجالات مجردة من المعارف والتجارب بتعابير تجريبية أكثر حسية"[1]، غير أن بعض الأبحاث أثبتت أن الاستعارة التصورية لا تتحقق في اللغة فقط ولكن في السلوك والعمل وفي أنشطة إنسانية عدة. ما يدعم أكثر فرضية وجودها والبرهنة عليها برهنة تجريبية.

---

(1) James R. Hurford; Brendan Heasley; Mmechel B. Smith: **Semantics :A Coursebook,** 2nd ed, Cambridge University Press,2007, p331

اعتمد لايكوف وجونسون في كتابهما الأولي على معطيات لغوية بالأساس للتدليل على شيوع الاستعارة في اللغة اليومية قبل شيوعها في اللغة الأدبية أو الشعرية أو أية لغة أخرى، ما يعني ارتباطها بالفكر قبل ارتباطها باللغة وشيوعها فيها وفي أنواع السلوك الأخرى. والملاحظ على هذه المعطيات اللغوية أنها لم تكن متخيلة أو مفترضة، وإنما جمعها الباحثان من اللغة اليومية المتداولة على نطاق واسع، وبمساعدة أشخاص عديدين، لذلك اختارا لبحثهما أن يحمل عنوان "الاستعارات التي نحيا بها"، كما نحيا بالهواء والغذاء والماء في الحياة اليومية باعتبارنا بشرا.

نود أن نستهل الحديث عن التحققات اللغوية للاستعارة التصورية بتدعيم آخر للمعطيات اللغوية التي أوردناها آنفا بعرض لائحة أخرى منها في هذا الجدول للبرهنة على هذا الشيوع أكثر[1]:

الاستعارة التصورية	تحققات لغوية
1) النظريات والاستدلالات بنايات	• هل هذا هو أساس نظريتك؟ • تحتاج النظرية إلى مرتكزات إضافية. • نحتاج إلى معطيات إضافية وإلا انهار استدلالنا. وسقط
2) الأفكار أغذية 3) الأفكار أشخاص 4) الأفكار نباتات	• لم أهضم ما قاله لي. • إنه أب البيولوجيا الحديثة • أما آن لأفكاره أن تعطي ثمارا؟

(1) ينظر أكثر عن هذه الأمثلة الإضافية: جورج لايكوف ومارك جونسن: **الاستعارات التي نحيا بها**، ص ص 65-72.

الاستعارة التصورية	تحققات لغوية
5) الأفكار منتوجات 6) الأفكار بضائع 7) الأفكار موارد 8) الأفكار مال 9) الأفكار أدوات باترة 10) الأفكار موضات	• لقد تصاعد إنتاجه الثقافي في السنوات الأخيرة/ إنه سريع الإنتاج • تم تبادل وجهات النظر حول الموضوع • نفذت أفكاره/ هذا الكتاب كنز نفيس • إنها فكرة قاطعة/ له ذكاء حاد • هذه الفكرة أكل عليها الدهر وشرب/ إنها فكرة عتيقة
11) الفهم رؤية وإبصار/ الأفكار مصادر ضوء/ الخطاب ينقل الضوء	• إنني أرى الموضوع بشكل مخالف. • لقد أعطاني صورة واضحة عن المشكل. • كانت أفكارهم نيرة/ كانت مناقشة غامضة
12) الحب قوة فيزيائية، مغناطيسية، كهربائية، تمارس جاذبية 13) الحب مريض 14) الحب جنون 15) الحب سحر 16) الحب حرب	• كنت أحس بمرور التيار بيننا- لقد جذبتني نحوها/ إنها جذابة... • إنها علاقة مرضية/ حبهما يحتضر/ علاقتهما تتحسن • لقد جن بها/ أفقدته صوابه/ خبلت عقله... • لقد رمتني بسحرها/ أنت فاتنة/ تملكه الهوى... • قاومت من أجله لكن الأخرى ربحت المعركة/ إنه يأسر قلوب النساء/ غنم قلبها/ جعل من أمها حليفا له

الاستعارة التصورية	تحققات لغوية
17) الثروات أشياء مخفية	• إنه يبحث عن الثروة/ لقد فقد ثروته/ عثر أخيرا عن الغنى والمجد
18) الشيء المهم كبير/ والأقل أهمية صغير	• ذهل من جسامة الجريمة/ إنها كذبة بيضاء صغيرة
19) الرؤية لمس/ والعيون أعضاء من الجسم كالأطراف 20) العيون أوعية للأحاسيس	• لقد ألصق عينه بالتلفزة/ عيناها لم تفارقاه طوال الوقت/ أصابته عين... • قرأت الخوف في عينيه/ كانت عيناه تتدفقان حبا وحنانا...
21) الأثر العاطفي اتصال فيزيائي	• كان موت أمه ضربة قاسية/ ...
22) الحالات الفيزيائية والعاطفية كيانات داخل الشخص	• أشكو من ألم في ذراعي/ ذهب عني الأم/ لم تسعه الفرحة...
23) الحيوية مادة	• إنه يفيض نشاطا/ يطفح حيوية/ خال من كل حيوية ومرح
24) الحياة وعاء 25) الحياة لعبة حظ (أو قمار)	• حياتي زاخرة بالأحداث/ خذ من الحياة ملذاتها/ حياتنا مليئة بالمشاكل • أضعت جميع الفرص/ كل الحظوظ متكافئة في الحياة/ لم يسعفني الحظ/ ربحنا الرهان....

تمثل هذه الأمثلة المختارة بعضا من التحققات اللغوية التي تبرز الطبيعة التصورية للاستعارة ومدى شيوع التفكير الاستعاري في الكلام العادي اليومي، وهي كما نرى متعلقة بجملة من

التصورات التي نستخدمها في مجالات عديدة من الحياة، فهي من صميم تجاربنا اليومية، ذلك أننا نحيا بالاستعارة حقا.

غير أن البرهان اللغوي[1] لم يكن الوحيد الذي اعتمده منظرو الاستعارة التصورية للتدليل على وجودها، فثمة براهين غير لغوية، وكما يصرح كوفيتش "إذا كانت الاستعارات تصورية بدءا، فالنسق التصوري الذي يوجه الكيفية التي نجرب بها العالم، وكيفية تفكيرنا، وكيفية اشتغالنا، سيكون بدوره استعاريا جزئيا، وعليه يجب أن تتحقق الاستعارات (التصورية) ليس فقط في اللغة ولكن

---

(1) يرى رايموند غيبس أن بعض العلماء المعرفيين أوضحوا أن كيفية تحدث الناس بخصوص حياتهم ليست المكان الأفضل للعثور على أدلة حول الكيفية التي يفكرون بها بدقة. فالكلمات على كل حال، غالبا ما تخفق في وصف العالم الخارجي، وهي على الأرجح الحالة حيث تكون اللغة غير وافية للإمساك بالكثير بخصوص التجربة الذهنية الداخلية وثرائها المفصل. ومع ذلك يزعم غيبس أن استخدام الناس للغة لوصف تجاربهم يكشف عن حاجة معرفية عميقة لإعطاء معنى للعالم من خلال أجسادنا (ومن خلال الاستعارة المتجسدة) ويقترح أن البرهان اللغوي يتطلب شرحا ضمن وصف نفساني أكثر عمومية للأنسقة التصورية البشرية والتخيل البشري. راجع:

- Raymond W. Gibbs, Jr: **Embodiment in Metaphorical Imagination**. In Grounding Cognition, The Role of Perception and Action in memory, Language, and Thinking. Edited by: Diane Pecher and Rolf A. Zwaan, Cambridge University Press 2005, p 66.

أيضا في مجالات أخرى عديدة من مجالات التجربة البشرية. هذه التجليات تسمى تحققات الاستعارات التصورية"[1].

فيما يلي بعض التجليات أو التحققات التي تتحقق بها الاستعارة التصورية بطرق غير لغوية كما وردت عند لايكوف[2] الذي يرى أن النظر في أشياء مثل أجهزة قياس الحرارة والرسوم البيانية لسوق الأوراق المالية، حيث الزيادات في درجة الحرارة والأسعار تمثل على نحو صاعد والنقصان يمثل على نحو هابط، هي أشياء من صنع الواقع البشري الناشئ بالتوافق مع استعارة **الأكثر فوق**، حيث نجد علاقة بين الكثرة والفوقية. هذه الأشياء تكون أكثر سهولة للقراءة والفهم، مما لو تعارضت مع هذه الاستعارة، كما لو تمثل الزيادة بتحت والنقصان بفوق. وتكون هذه الأمور السبل التي يمكن بها للاستعارات أن تفرض بنية على الحياة الواقعية من خلال إنشاء توافقات جديدة في التجربة. وبالطبع، ما إن يتم إنشاء مثل هذه الأشياء الحقيقية في غضون جيل واحد، حتى تكون بمثابة أساس تجريبي للاستعارة في الجيل اللاحق. وهناك طرق كثيرة يمكن للاستعارات الوضعية أن تقدم بها الحقيقة.

---

(1) Zoltán kövecses: **Metaphor, A Practical Introduction**. P 63.

(2) Cf. George Lakoff: **The Contemporary Theory of Metaphor**, p 241.
Zoltán kövecses: **Metaphor, a Practical Introduction**, pp 63-73.

ويقول لايكوف أنه يمكن للاستعارات أن تتحقق في منتجات تخيلية مثل الرسوم والأعمال الأدبية، والأحلام والرؤى والأساطير. كما يمكنها أن تصنع الحقيقة بطرق أقل وضوحا، في الأعـراض الجسديـة، والمؤسسـات الاجتماعـية، والممارسات الاجتماعية، والقوانين، وحتى السياسة الخارجية وأشكال الخطاب والتاريخ.

لننظر في بعض الأمثلة عن كل هذه المجالات :

الأعمال الأدبية: من الشائع بالنسبة لحبكة القصة أن تكون تحقيقا لاستعارة **الحياة الهادفة سفر**، حيث تأخذ مسيرة الحياة شكل سفر فعلي، ويعد تقدم المسافر مثال كلاسيكي عن ذلك .

الطقوس: يلاحظ في بعض الطقوس الثقافية رفع الرضيع المولود حديثا إلى المنزلة العليا لضمان النجاح له أو لها. الاستعارة المتحققة في هذا الطقس هي **المنزلة فوق**، وتتضح من خلال هذه الجمل على النحو التالي: أنشب مخالبه في طريقه إلى القمة، إنه يتسلق سلم النجاح، سوف يرتفع شأنه بين الناس .

تفسير الأحلام: تعين الاستعارات التصورية معجم تأويل الأحلام. إنها مجموع استعاراتنا التصورية اليومية التي تجعل من تأويلات الحلم ممكنة. واحدة من أشهر تأويلات الحلم كلها: تأويل يوسف في سفر التكوين[1]. في حلم فرعون، وهو قائم على ضفة

(1) وردت القصة في القرآن الكريم أيضا. ينظر سورة يوسف، الآيات: 43-49.

النهر، عندما رأى سبع بقرات سمان يخرجن من النهر، تليها سبع بقرات عجاف تأكلن السبع السمان وما تزال هزيلة. ثم إن فرعون حلم مرة أخرى، ورأى هذه المرة سبع سنابل قمح كلها نامية وجيدة، ثم سبع سنابل ذابلة نمت من بعدها. والسنابل الذابلة تلتهم السنابل الجيدة. أول يوسف الحلمين كحلم واحد: البقرات السمان السبع والسنابل الكاملة السبع هي سنوات جيدة، والبقرات العجاف السبع والسنابل الذابلة السبع هي سنوات المجاعة التي تلي السنوات الجيدة. سنوات المجاعة تلتهم ما تنتجه السنوات الجيدة. هذا التأويل يفيد معنى عندنا لأنه مؤلف من مجموع الاستعارات التصورية التي في نسقنا التصوري- الاستعارات التي كانت معنا من ذلك العهد القديم. الاستعارة الأولى المستخدمة هي: **الأزمنة كيانات متحركة**، واستعارة **النهر** شائعة **لتدفق الزمن**؛ الأبقار هي كيانات فردية (individual entities) —سنوات- والتي تنبثق عن تدفق الزمن وتجاوز المراقب، وسنابل القمح هي أيضا كيانات تأتي إلى المشهد. الاستعارة الثانية المستخدمة هي **تحقيق الغرض أكل**، أين تشير السمنة إلى النجاح ويشير الهزال إلى الإخفاق. تأتلف هذه الاستعارة مع الكناية الأكثر شيوعا: **الجزء يحيل إلى الكل**. بما أن الأبقار والقمح يمثلان نماذج لأكل اللحوم والحبوب، وكل بقرة تحيل إلى جميع الأبقار التي نمت في السنة، وكل سنبلة تحيل إلى جميع القمح النامي في السنة. الاستعارة الأخيرة المستخدمة هي: **الموارد أغذية**. حيث الموارد المستعان بها هي طعام يؤكل، والتهام سنوات المجاعة للسنوات الجيدة يتم تأويله كإشارة إلى أن جميع الموارد

الفائضة من السنوات الجيدة ستستعين بها سنوات المجاعة. وبالتالي تأويل الحلم كله هو تأليف بين ثلاث استعارات وضعية وكناية واحدة. والموارد الاستعارية والكنائية تم التأليف بينها لتشكيل حقيقة للحلم .

الأعراض الجسدية: يستعين عقلنا اللاواعي أحيانا بنسقنا اللاواعي المكون من الاستعارات الوضعية للتعبير عن حالات نفسية من خلال الأعراض الجسدية. على سبيل المثال، في استعارة **الصعوبات معيقات للحركة** التي تملك حالة خاصة هي: **الصعوبات أعباء**، من الشائع بالنسبة لشخص يواجه صعوبات أن يبدو في وضعية مشي مع احدوداب ظهره وكتفيه، كما لو كان يحمل وزنا ثقيلا يثقل كاهله [والعكس صحيح بخصوص السعيد والفرح مثلا].

المؤسسات الاجتماعية: تتحقق استعارة **الزمن مال**(1) من خلال تعابير مثل: إنه يضيع وقته؛ لابد لي من الاقتصاد في وقتي؛ سيوفر هذا عليك الكثير من الوقت؛ لقد استثمرنا الكثير من الوقت في ذلك؛ إنه لا يستغل وقته بشكل مربح .

(1) يرى لايكوف أن هذه الاستعارة عن الزمن جاء بها إلى اللغة قيام الثورة الصناعية، عندما بدأ يدفع للناس عن العمل من مقدار الزمن الذي يعملونه. وبالتالي، أدى المصنع إلى المزاوجة المؤسسية بين فترات من الزمن مع مبالغ من المال، والتي شكلت الأساس التجريبي لهذه الاستعارة. ومنذ ذلك الحين، تحققت الاستعارة بطرق أخرى عديدة.

الممارسات الاجتماعية: هناك استعارة تصورية هي **الرؤية لمس**، أين تكون العيون أطرافا، والرؤية تتحقق عندما تلمس الهدف المنظور إليه. من أمثلة ذلك: تلتقط عيناي كل التفاصيل عن هذا النموذج؛ مسحت عيناه الجدران؛ إنه لا يستطيع أن يبعد عينيه عنها؛ التقت عيناهما فجأة؛ عيناه مسمرتان على شاشة التلفزيون. تصنع هذه الاستعارة ما هو حقيقي في الممارسة الاجتماعية في الشوارع [التأذي من الحملقة مثلا]، و في التحريم الاجتماعي ضد الحملقة في شخص ما بأم عينيك.

القانون: يعد القانون ميدانا رئيسيا تصنع فيه الاستعارة الحقيقة. على سبيل المثال استعارة **الشركات أشخاص**، أين لا يمكن للشركات أن تتأذى فقط وتسند إليها المسؤولية بحيث يمكن مقاضاتها عند المسؤولية، ولكن أن تعطى للشركات أيضا بعض حقوق أولية للتعديل [القانوني].

السياسة الخارجية: استعارة **الدولة شخص** واحدة من الاستعارات الرئيسية المندرجة خلف تصورات السياسة الخارجية، وبالتالي تكون هناك دول صديقة، ودول معادية... الخ، وتكون صحة الدولة هي الصحة الاقتصادية والقوة هي القوة العسكرية، وبالتالي يمكن أن ينظر إلى تهديد الصحة الاقتصادية باعتباره تهديدا بالقتل (كما هو الحال عندما كان ينظر إلى سعي العراق إلى خنق شريان الحياة الاقتصادية للولايات المتحدة الأميركية). تعتبر الدول القوية ذكورا، والدول الضعيفة إناثا، بحيث أن أي هجوم من قبل

دولة قوية على دولة ضعيفة يمكن أن ينظر إليه باعتباره اغتصابا (كما هو الحال في اغتصاب العراق للكويت). والحرب العادلة يتم تصورها على أنها حكاية خرافية مكونة من شرير، وضحية، وبطل، حيث يهاجم الشرير الضحية، والبطل ينقذها (وبالتالي، كان تصور الولايات المتحدة في حرب الخليج على أنها أنقذت الكويت).

أشكال الخطاب: الاستعارات الشائعة كثيرا ما تصنع حقيقة لأشكال الخطاب. يمكن العثور على ثلاثة أشكال خطاب أكاديمية شائعة هي: "جولة استكشافية"، "معركة بطولية"، و"بحث مغامراتي". يتأسس خطاب الجولة الاستكشافية على استعارة **التفكير حركة**، تكون فيها الأفكار مواقع والمفكر يفكر خطوة خطوة ليصل إلى استنتاجات، أو يفشل في التوصل إلى نتيجة إذا ما كان يتحرك في استدلال دائري... وأين يكون الكاتب مرشد الجولة الذي يفترض أن يكون على دراية شاملة بالميدان. أما شكل خطاب المعركة البطولية فيتأسس على استعارة **الجدال حرب**. وتكون نظرية الكاتب هي البطل، والنظرية المعارضة هي الشرير، والكلمات هي الأسلحة. وتكون المعركة على شكل جدال للدفاع عن موقف البطل وهدم موقف الشرير. ويتأسس شكل خطاب البحث المغامراتي أو البطولي على استعارة **المعرفة نفيسة**، ولكنها هدف متملص (صعبة المنال) والتي يمكن أن تكتشف إذا ما ثابر أحد عليها. الباحث هو البطل في البحث عن المعرفة، وشكل الخطاب هو تمثيل لرحلته الصعبة في الاكتشاف، وما يكتشفه هو كيان حقيقي بالطبع.

الأساطير: يرى كوفيتش[1] أن الاستعارات التصورية يمكن أن تتحقق في الأساطير بطرق عديدة، إحداها حيث تشتغل الاستعارة كعنصر أساسي في الأسطورة، مثال ذلك أسطورة أوديب، حيث يسهم استخدام الاستعارتين **العمر يوم**، و**الحياة سفر** كعنصر مهم في الحفاظ على حياة أوديب أمام أبي الهول (بحله للأحجية).

الرسوم المتحركة: المثال الشائع هو تحقيق استعارة **الغضب سائل حار في وعاء**، حيث يمكن لأحدنا أن يغلي غضبا أو أن ينفث دخانا. وفي الرسوم المتحركة، يوصف الغضب بكثرة بواسطة دخان يخرج من آذان الشخصية. وبالمثل، تظهر الحماقة الاجتماعية من خلال سقوط شخصية الرسوم المتحركة على وجهها (تحت).

وعموما نقول إن ما يجعل كل هذه الحالات الاستعارية سواء اللغوية منها أو غير اللغوية متحققة أن في كل حالة منها هناك شيئا حقيقيا تبنينه استعارة وضعية، والتي تجعله قابلا للفهم، وطبيعيا أيضا. وما هو حقيقي يختلف في كل حالة فهو يشمل إما: موضوعا مثل: الحرارة أو الرسم البياني، أو تجربة مثل: الحلم، أو فعلا مثل: الطقوس، وشكل الخطاب... الخ .

فالحديث عن مثل هذه التحققات أو التجليات للاستعارة التصورية هو حديث عن براهين تثبت وجودها وتدعم الفرضية القائلة بشيوعها في الفكر البشري كما في اللغة والسلوك عامة.

---

(1) Cf. Zoltán kövecses: **Metaphor, a Practical Introduction**, p66.

2 . 1 . 2 . التعميمات:

لا يفتأ لايكوف وجونسون يذكران قراءهما في الكثير من أعمالهما بالافتراضات التقليدية الخاطئة التي عمرت قرونا طويلة بخصوص الاستعارة واللغة المجازية عامة التي كان لها الأثر البازر في استمرارية الأفكار الخاطئة حولها، في هذه الصدد يصرحان في تذييل الطبعة الثانية لـ"الاستعارات التي نحيا بها"[1] بأن هناك أربعة مداخل رئيسية تاريخية لفهم طبيعة الفكر الاستعاري وأساسياته، وهذه المداخل تقوم مقام أربع وجهات نظر خاطئة حول الاستعارة في التقليد الغربي، ترجع جميعها تقريبا لأرسطو وحده. تتمثل المغالطة الأولى في كون الاستعارة مسألة كلمات [أو لغة]، وليست مسألة تصورات. والثانية هي أن الاستعارة تتأسس على المشابهة. والثالثة هي أن جميع التصورات حرفية، وأنه لا شيء يمكن أن يكون استعاريا. والرابعة هي أن التفكير العقلي لا يتمظهر بحسب طبيعة فهمنا وأجسادنا.

وحسب الباحثين فقد برهنت المزيد من البحوث اللاحقة لكتابهما بشكل قطعي على أن جميع وجهات النظر الأربع هي خاطئة. تمثل البرهان الأول في أن محل الاستعارة في التصورات وليس في الكلمات. والثاني في أن الاستعارة، بصفة عامة، لا تتأسس على المشابهة، بل تتأسس عادة على تعالقات عبر المجالات في

(1) Cf. George Lakoff and Mark Johnsen: **Metaphors we live by**. University of Chicago press, 2003, pp 245-247

تجربتنا، تؤدي إلى تصور تشابهات بين مجالين اثنين من خلال الاستعارة، مثلا، يمكن التمادي في استعمال استعارة ما إلى إنشاء تشابهات متصورة، كما هو الحال في تصور الحب استعاريا **كعلاقة شراكة**، هنا سيخفق هذا التصور للحب عندما لا تقسم المسؤوليات والفوائد بالتساوي بين الطرفين. أما البرهان الثالث فيقول إنه حتى تصوراتنا الأعمق والأكثر ثباتا مثل الزمن، والأحداث، والسببية، والأخلاق، والتعقل في حد ذاته، تفهم وتفسر عن طريق استعارات متعددة، ففي كل حالة، يفسر أحد المجالات التصورية (كأن نقول: الزمن) من خلال البنية التصورية لمجال آخر (الفضاء مثلا). ويقول البرهان الرابع بأن نسقية الاستعارات التصورية ليست اعتباطية أو هي محض مصادفات تاريخية، بل إنها تتمظهر بالأخرى وإلى حد كبير من الطبيعة المشتركة لأجسادنا[1] والطرق المشتركة التي نوظفها جميعا في الحياة اليومية.

ومع ذلك، يقول لايكوف وجونسون، وعلى الرغم من كل الأدلة على انتشار الاستعارة التصورية، فإن هذه الافتراضات

---

(1) يجدر التنبيه هنا والتذكير بأنه من مقتضيات التصور التجريبي-التفاعلي تلافي السقوط في نظرة ذات نزعة معرفية مطلقة تدعي اشتراك جميع الكائنات البشرية في بنى تصورية كلية. يتعلق الأمر، عكس ذلك، بخصوصيات ثقافية مترتبة على خصوصية التجربة الجسدية. هناك في الواقع كلية اشتراك الإنسان في التفاعل والاحتكاك. وهناك مقولات شديدة الانتشار وعابرة للثقافات، غير أن هنالك مقولات شديدة الارتباط بثقافة ما (خصوصية المقولة). ينظر: جورج لايكوف: **حرب الخليج**، أو الاستعارات التي تقتل، مقدمة الترجمة، ص 10.

الخاطئة قد طال أمدها ليس فقط حول الاستعارة، بل حول المعنى بصفة عامة.

ينبه الباحثان هنا على أن وجهات النظر الفلسفية التي تضرب بجذورها عميقا هي التي حجبت العديد من القراء عن رؤية أي براهين قد تثبت العكس. والعقبة الوحيدة الأكبر أمام فهم النتائج التي توصلا إليها هي في رفض الاعتراف بالطبيعة التصورية للاستعارة. ففكرة أن الاستعارات ليست سوى تعابير لغوية، أو مجرد مسألة كلمات، هي مغالطة شائعة أبقت العديد من القراء على نحو ما يتسلون بفكرة أننا نفكر استعاريا.

في الحقيقة لقد تصدى الباحثان وغيرهما من العلماء المعرفيين للرؤية التقليدية، وظهرت العديد من الدراسات والبحوث في هذا السبيل، وكانت المحصلة ذاك الكم الهائل من الأدلة التجريبية المكتسبة من العديد من مختلف أساليب التحقيق التي كشفت عن الدور المركزي للاستعارة في التفكير المجرد.

يعبر لايكوف وجونسون في مقابل هذا عن هاجسهما بأنه ليس من المستغرب أن يبرز أحد ما من ذوي النزعة التقليدية ويستمر في إنكار أو تجاهل هذه البراهين، وحتى لو تقبلها فذلك يتطلب تعديلات واسعة للطريقة التي يفهم بها ليس الاستعارة فحسب، بل والتصورات، والمعنى، واللغة، والمعارف، والحقيقة أيضا. ذلك أن هناك دعما كبيرا لها، والنتيجة هي صعوبة التخلص من هذه المغالطات حول الاستعارة، التي تضرب بجذورها في أعماق

التاريخ (منذ أكثر من ألفي سنة). ورغم ذلك فالآخذون بها مخطئون، ولذلك فهم على خلاف مع البرهان التجريبي. والاعتراف بحقيقة أنهم مخطئون ليس بالأمر الهين، بسبب ما سيترتب عنه من آثار على كل جانب من جوانب حياتنا العامة، كما سيؤثر بصورة مباشرة على كيفية فهمنا لحياتنا الشخصية التي تخصنا، وإنها ستؤثر مباشرة على التخصصات الفكرية، مثل الفلسفة، والرياضيات، والدراسات الأدبية، وكل ما له في النهاية مضامين ثقافية مهمة.

يدعونا الباحثان هنا إلى الوعي بأنه من الأهمية بمكان أن ندرك أن أسئلة حول طبيعة المعنى، وبناء التصور (conceptualization)، والتعقل، واللغة هي مسائل تتطلب دراسة تجريبية، بل لا يمكن للإجابة أن تكون كافية لمجرد التفلسف بداهة. طبيعة الاستعارة أيضا ليست مسألة تحديد أو تعريف (definition)، إنها هي متعلقة بمسألة طبيعة المعرفة. فهل أننا نستخدم بطريقة نسقية قوالب استنتاج من أحد المجالات التصورية لاستنتاج مجال تصوري آخر؟ هنا يجيب البرهان التجريبي أن "نعم": وهذه الظاهرة هي ما سمي **بالاستعارة التصورية**، وهذه التوافقات النسقية عبر المجالين هي ترابطات استعارية. يقود هذا الجواب إلى سؤال تجريبي آخر: هل هذه الترابطات الاستعارية محض تجريد واعتباط؟ والجواب التجريبي هو "لا": إنها محددة ومقيدة بتجاربنا الجسدية في العالم، حيث يتعالق المجالان التصوريان وبالتالي تأسيس ترابطات بين

مجال وآخر. أخيرا، هناك سؤال مماثل حول طبيعة اللغة هو: هل بإمكان التعابير اللغوية الشائعة واليومية أن تكون استعارية؟ والجواب هو تجريبي: إن الجانب الكبير من اللغة اليومية والوضعية هو استعاري، والمعاني الاستعارية ترِد عن طريق نشوء الترابطات الاستعارية التصورية والتي تنشأ في نهاية المطاف من التعالقات المتبادلة في تجربتنا المتجسدة[1].

باختصار، الاستعارة هي ظاهرة طبيعية. إنها جزء طبيعي من التفكير الإنساني، والاستعارة اللغوية هي جزء طبيعي من اللغة الإنسانية. وعلاوة على ذلك، أي تساؤل عن الاستعارات التي نملك، وما الذي يعنيه اعتمادها على طبيعة أجسادنا، وعلى تفاعلاتنا مع محيطنا الفيزيائي، وممارساتنا الاجتماعية والثقافية، وكل تساؤل حول طبيعة الاستعارة التصورية ودورها في الفكر واللغة هي مسائل تجريبية.

ما يحتاج إليه -حسب لايكوف وجونسون- هو المزيد من البحث التجريبي الذي يتلمس جمع البراهين وتراكمها من خلال استعمال مختلف الأساليب التجريبية للبحث. يذكران هنا أن أساليب متنوعة للبخث، مع الافتراضات المنهجية المختلفة، قد

---

(1) فكرة أن التجربة متجسدة يقتضي أننا نملك رؤية مخصوصة بشريا للعالم اعتمادا على الطبيعة الموحدة لأجسادنا المادية. بعبارة أخرى، ترجمتنا للواقع تتم من منظور طبيعة أجسادنا على الأغلب. ينظر:
-Vyvyan Evans: **A Glossary of Cognitive Linguistic**, P 67.

استعين بها على نحو فعال حتى هذا التاريخ. ما سمح للباحثين بتفادي جمع البراهين التي تمليها بداهة افتراضات منهج واحد بعينه.

يصرح الباحثان أنه في عام 1980 كان لديهما براهين على نظرية الاستعارة التصورية من مجالين فقط من مجالات البحث وهما: التعدد الدلالي النسقي (Systematic polysemy)، و تعميمات قائمة على قوالب الاستنتاج (Generalizations over inference patterns).

في مجال التعدد الدلالي النسقي، وهي المجالات المعجمية للكلمات، ليس فقط تلك التي لها معان حرفية في المجال المحسوس ولكن أيضا تلك التي لها معانٍ نسقية متصلة بالمجالات المجردة. على سبيل المثال: "أعلى" و"أسفل"، "ارتفاع" و"انخفاض"، "علو" و"هبوط"...الخ، هذه المعاني لا تنتج فقط عن العمودية ولكن عن الكمية أيضا. وبالتالي فإن الاستعارة التصورية الأكثر فوق تعلل لماذا نستخدم كلمة "ارتفع" المتعددة المعاني، لتعني كلا من الزيادة في الارتفاع، والزيادة في الكمية. إن الاستعارة التصورية تعلل نسقية تعدد المعاني، وبالمقابل فإن نسقية تعدد المعاني تقدم دليلا على وجود الاستعارة.

أما التعميمات القائمة على قوالب الاستنتاج، فمن النتائج الأساسية هنا أن عملية الاستنتاج في المجالات المجردة يستخدم منطق تجربتنا الحسية الحركية. على سبيل المثال، إذا ارتفع شيء ما فيزيائيا، يصبح أعلى مما كان عليه من قبل، وإذا "ارتفع" ثمن شيء

ما (استعاريا)، إذن هو "أعلى" (استعاريا) مما كان عليه من قبل. ما تقوم به استعارة **الأكثر فوق** هو ربط قالب الاستنتاج حول الارتفاع الفيزيائي بقالب الاستنتاج حول الأسعار. وبالتالي يمكننا عن طريق افتراض هذه الاستعارة أن نرى أن نمطي الاستنتاج المختلفين بجلاءٍ هما في الحقيقة الشيء نفسه.

بعبارة أخرى، يصرح الباحثان، وُجد مصدران للبرهنة على وجود الاستعارة التصورية، هما: **التعدد الدلالي والاستنتاج**. ولكن بعد عشرين عاما من البحوث التي قام بها عديد من الدارسين، تم جمع أجزاء واسعة من البراهين التجريبية على وجود الاستعارة التصورية من دراسات في طائفة واسعة من المجالات في العلوم المعرفية. وهكذا أضيف إلى المصدرين السابقين (التعدد الدلالي وتعميات الاستنتاج) ما لا يقل عن سبعة أنواع أخرى من البراهين المستمدة من الأساليب التجريبية المختلفة[1].

---

(1) تمثل هذه الأعمال لائحة ببعض البحوث التي أنجزت في تلك الفترة بخصوص الاستعارة التصورية التي يذكر بشأنها الباحثان أن أهميتها تكمن في أنها تأتي من منهجيات بحث مختلفة وكثيرة، لم تعد مقتصرة على معطيات من الأشكال اللغوية والاستنتاجات. هذه المصادر الجديدة قد توصلت إلى نتائج متقاربة بشأن طريقة امتداد الاستعارة في صميم التفكير المجرد. وتشمل اللائحة الأبحاث التالية:

1.extensions to poetic and novel cases (Lakoff and Turner 1989)
2.psychological research, for example, priming studies (Gibbs 1994; Boroditzky 2000)
3.gesture studies (McNeill 1992) =

باختصار، إن البراهين التي تؤيد النظرية المعاصرة للاستعارة بحسب لايكوف[1] هي الأكبر حجما وهي تنمو كل عام كلما أنجز المزيد من البحوث في هذا المجال، وهي على العموم تأتي من خمسة مجالات:

- التعميمات القائمة على التعدد الدلالي.
- التعميمات القائمة على قوالب الاستنتاج.
- التعميمات القائمة على التوسعات للحالات الشعرية.[2]
- التعميمات القائمة على التغير الدلالي.
- الاختبارات المتعلقة بعلم النفس اللغوي.

ورغم وفرة هذه البراهين إلا أن البرهان يكون مقنعا -حسب لايكوف- فقط إذا اعتبره الآخرون برهانا، مع ملاحظة أن

= 4.historical semantic change research (Sweetser 1990)
5.discourse analysis (Narayanan 1997)
6.sign language analysis (Taub 1997)
7.language acquisition (C. Johnson 1999)
Cf. George Lakoff and Mark Johnsen (2003): **Metaphors we live by**. p251.

(1) Cf.George Lakoff: **The Contemporary Theory of Metaphor**. p 246.

(2) لقد أوردنا للايكوف مناقشته للمثالين الأولين على أن نستكمل الحديث مع التعميمات القائمة على التوسعات الشعرية في المبحث الموالي لارتباطها المباشر بالاستعارة في الخطاب الأدبي.

افتراضات تحديد الاستعارة حسب النظرية المعاصرة كما هي واردة هنا تبدو ضئيلة، فليس هناك غير طرحين اثنين، هما:

- **الالتزام بالتعميم:** أي التماس التعميمات في جميع مجالات اللغة، بما في ذلك التعدد الدلالي، وقوالب الاستنتاج، والاستعارة الجديدة، والتغير الدلالي.
- **الالتزام المعرفي:** أي باتخاذ البراهين التجريبية على محمل الجد. أي تلك البراهين المتراكمة من علوم الذهن والعلوم المعرفية الأخرى.

هذان الالتزامان ليسا أكثر من التزام بالدراسة العلمية للغة والعقل. ليس ثمة التزام أولي يوضع كصياغة لجواب عن سؤال مفاده: ما هي الاستعارة؟. ومع ذلك فإن افتراضات تحديدية ضمن حقول أخرى من الدراسة غالبا ما لا تنطوي على التزام صياغة إجابة عن هذا السؤال، ومن المفيد هنا أن توضح بالضبط ماهية افتراضات التحديد هذه، لأنها غالبا ما تفسر سبب اختلاف الدارسين في التوصل إلى استنتاجات مختلفة حول طبيعة الاستعارة.

2 . 2 . الاستعارة التصورية: مراجعات واصطلاحات

عمد منظرو الاستعارة التصورية إلى جملة من المفاهيم والتصورات التقليدية السابقة وحاولوا مراجعتها وتجاوزها بأخرى جديدة، تأسيسا على الافتراضات والمسلمات المتوصل إليها. نذكر من هذه المراجعات ما يلي:

2 . 2 . 1 . التمييز: حرفي- مجازي:

يرى لايكوف أن الفرق الكبير بين النظرية المعاصرة للاستعارة ووجهات النظر التقليدية قبل اكتشاف الاستعارة التصورية يكمن في هذه المجموعة من الافتراضات[1]:

- جميع اللغة الوضعية اليومية هي حرفية[2]، وليس منها ما هو استعاري.
- يمكن فهم جميع الموضوعات حرفيا، دون استعارة.

---

(1) Cf. George Lakoff: **The Contemporary Theory of Metaphor**, pp 204-205.

(2) عادة ما يطلق مصطلح "حرفي" (literal) في اللسانيات على أحد المعاني الفعلية للكلمات متعددة المعاني. يكون هذا المعنى على الأرجح إما المعنى المفترض (default)، أو مصدرا جديرا بالقبول من بين المعاني الأخرى التي يمكن اشتقاقها منه، أو المعنى الأكثر "قاعدية" مقارنة بالمعاني الأخرى، أي أن يكون حسيا بدل أن يكون مجردا، ومألوفا بدل أن يكون غير مألوف، ومدركا حسيا بدلا من كونه متصورا. مثال ذلك: فعل "قبض" يمكن أن يعني "أمسك" أو "فهم" [في جملة "قبض على الفكرة"]. في هذه الحالة نختار بصفة أكثر ترجيحا استعانة بالمعايير المشار إليها هنا "أمسك" على أنه معنى حرفيا. ينظر:

- Alan Cruse: A **Glossary of Semantics and Pragmatics**; pp 96-97.

هذا وتعد مسألة المعنى الحرفي والمعنى المجازي من المسائل التي أثير حولها نقاش كبير وأنجزت بخصوصها أبحاث ودراسات تجريبية عديدة نرى أن نرجئ الحديث عنها إلى الفصل الثالث من عملنا هذا.

- يمكن للغة الحرفية فقط أن تكون إما حقيقية وإما كاذبة بصفة محتملة .

- جميع التحديدات الواردة في قاموس اللغة هي حرفية وليست استعارية .

- المفاهيم المستخدمة في نحو اللغة حرفية كلها، ولا واحدة منها استعارية .

يرجع لايكوف السبب في هذا الاختلاف إلى ما تم اكتشافه في السنوات اللاحقة لحالة نسق ضخم من الاستعارات التصورية اليومية والوضعية، أي نسق الاستعارة الذي يبنين نسقنا التصوري اليومي، بما في ذلك أكثر التصورات المجردة، وتلك الثاوية خلف الكثير من لغتنا اليومية. هذا الاكتشاف هدم التمييز التقليدي حرفي- مجازي، لأن مصطلح "حرفي" كما هو محدد في التمييز التقليدي، يحمل في طياته كل هذه الافتراضات الخاطئة. وفي رأي لايكوف يقوم الفرق الكبير بين النظريتين المعاصرة والكلاسيكية على أساس هذا التمييز القديم، والذي بسببه قد يعتقد المرء أنه بالإمكان الوصول إلى التفسير الاستعاري للجملة بالبدء مع المعنى الحرفي وتطبيق بعض العمليات الخوارزمية (الحسابية) لأجل الوصول إلى تفسيرها الاستعاري. وبصفة عامة هذه الكيفية ليست هي التي تعمل بها الاستعارة.

وعلى الرغم من تأسس التمييز حرفي- استعاري على الافتراضات التي ثبت زيفها، إلا أنه يمكن، بحسب لايكوف، تبني

نوعا مختلفا من التمييز بين الحرفي والاستعاري، والقصد هنا إلى إمكانية إطلاق اسم حرفية على تلك التصورات التي لا تفهم عن طريق الاستعارة التصورية، أما ذلك العدد الكبير من التصورات الشائعة مثل السببية والغرض مثلا، وباقي المجردات فهي تصورات استعارية، ومع ذلك تبقى هناك مجموعة واسعة من التصورات لا تعد استعارية. وبالتالي فجملة مثل: "ارتفع المنطاد"، أو الجملة الشهيرة "القط فوق الحصيرة" لا تعد استعارية، ولكن بمجرد أن نعثر على جملة من مثل هذه بعيدا عن التجربة الملموسة المادية، حينما يبدأ الحديث عن الأمور المجردة أو العواطف، فالفهم الاستعاري يكون هو المعيار.

2. 2. 2. الاستعارة والتعبير الاستعاري:

يصرح لايكوف في مستهل عمله "النظرية المعاصرة للاستعارة"[1] أنه يحال إلى الاستعارة، على الأقل منذ أرسطو، على أنها: شواهد من اللغة الشعرية مستحدثة (...) لا تستخدم في معانيها العادية اليومية. وحسبه، كان ينظر إلى الاستعارة في النظريات الكلاسيكية للغة على أنها مسألة لغوية وليست مسألة فكرية. وعليه كان الافتراض القائل بكون التعبير الاستعاري ينافي مجال اللغة العادية اليومية التي لا تملك استعارة، فالاستعارة تستخدم آليات خارج نطاق هذه اللغة.

---

(1) Cf. George Lakoff: **The Contemporary Theory of Metaphor**, p 202.

وحسب لايكوف تبنت النظرية الكلاسيكية الكثير من المسلمات على مر القرون، والكثير من الناس لم يدركوا أنها كانت محض تنظيرات أو تخمينات لا يعد مجرد التسليم بها معيارا لصحتها، ولهذا عدت نظرية تحديدية (definitional)، تم على أساسها تحديد كلمة استعارة على أنها تعبير لغوي جديد أو شعري حيث تستخدم كلمة أو أكثر من تصور ما خارج معناه الوضعي للتعبير عن تصور مشابه.

هذه المسائل حسب لايكوف لا تهم التحديدات، لكنها مسائل تجريبية. والاستعارة ليس مكانها اللغة بصفة مطلقة، إنها في الطريقة التي نتصور بها مجالا ذهنيا ما من خلال مجال آخر. وهكذا فتخصيص هذه الترابطات عبر المجالات هو ما يعطي نظرية عامة للاستعارة. والأمر يتعلق هنا تحديدا بالتصورات المجردة كالزمن، والحالات العاطفية، والتغير، والسببية، والغرض، وغيرها.

يقترح لايكوف كاستخدام معاصر أن يعني مصطلح "**استعارة**": ربطا بين المجالات في النسق التصوري. بينما يحيل مصطلح "**تعبير استعاري**" على التعبير اللغوي (كلمة، أو عبارة أو جملة) بوصفه تحققا خارجيا لمثل هذا الربط عبر المجالات.

على الاستعارة أن تتحدد إذن في المقام الأول بأنها تصورية قبل أن تتحقق لغويا. بمعنى أن نفرق بين الاستعارة التصورية التي من الشكل ألف (هو) باء، وبين تعابيرها اللغوية الاستعارية المتحققة عنها، والتي تخصص الصيغة العامة للاستعارة التصورية الثاوية في الذهن: ألف (هو) باء.

2 . 2 . 3 . الترابطات الاستعارية:

تمثل الترابطات بين المجالات "مجموعة من التوافقات النسقية" (systematic correspondences) بين المصدر والهدف بالمعنى الذي تكون فيه سمات العناصر الأساسية لـ"باء" توافق سمات العناصر لـ "ألف". أو بصفة تقنية، يحال إلى هذه التوافقات التصورية غالبا على أنها "ترابطات" (mappings).

تتضمن هذه الترابطات مجموعتين من التوافقات: معرفية (epistemic)، وأنطولوجية. تصلح التوافقات الأنطولوجية بين عناصر أحد المجالات وعناصر مجال آخر. أما التوافقات المعرفية فهي توافقات تتم بين العلاقات الرابطة بين عناصر أحد المجالات والعلاقات الرابطة بين عناصر مجال آخر (يتضمن هذا مثلا المعارف الموسوعية بخصوص المجال). يمكننا توضيح التمثيل لظاهرة التوافقات هذه من خلال استعارتين متجذرتين في الثقافة البشرية وهما:

استعارة "**الغضب سائل حار في وعاء**"[1]، التي يمكن تمثيل التوافقات بين مجاليها المصدر والهدف كما يلي:

(1) Cf. William Croft & D. Alan Cruse: **Cognitive Linguistics**, pp 196-197.

توافقات أنطولوجية		توافقات معرفية	
المجال المصدر	المجال الهدف	المصدر	الهدف
حرارة السائل	الغضب	عندما يسخن السائل في الوعاء بعد حد معين يزداد إلى نقطة ينفجر عندها الإناء.	عندما يزداد الغضب إلى حد معين يزيد الضغط إلى نقطة يفقد الشخص سيطرته عندها
الوعاء	الجسم	يخرب الانفجار الوعاء ويكون خطيرا على الشاهد	فقدان السيطرة يؤذي الشخص ويكون خطيرا على الآخرين
مستوى الحرارة	مستوى الغضب	يمكن منع الانفجار بتطبيق قوة كافية مضادة للضغط	يمكن إخماد الغضب بقوة الإرادة
ضغط الوعاء	ضغط معاني	تحرير مراقب للضغط يمكن أن يحدث ما يؤدي إلى التقليل من خطر الانفجار.	يمكن تحرير الغضب بكيفية مراقبة أو بتصريف غير مؤذ. ومن ثم التخفيف من مستواه.
غوران السائل الغلي	هيجان معانى		
محدودية مقاومة الوعاء	محدودية مقدرة الشخص على قمع الغضب		
انفجار	فقدان السيطرة		

استعارة "الحب سفر":

ينطلق لايكوف[1] في تحليله لهذه الاستعارة بالتصريح في البداية أنه يمكن فهم الاستعارة على أنها ربْطٌ، بالمعنى الرياضي[2]،

---

(1) Cf. George Lakoff: **The Contemporary Theory of Metaphor**, p 206-210

(2) يرى لايكوف وجونسون في تذييلهما على 'الاستعارات التي نحيا بها' (الطبعة الثانية- 2003): "أن كل نظرية علمية شيدها العلماء، يستعمل فيها الإنسان بالضرورة أدوات العقل البشري. إحدى تلك الأدوات هي الاستعارة التصورية. وعندما يكون الموضوع العلمي المعني هو الاستعارة نفسها، فإنه ينبغي ألا يكون مفاجئا أن مثل هذا المشروع قد يستفيد من الاستعارة أيضا، كما تتجسد في العقل، لبناء الفهم العلمي لماهية =

من المجال المصدر (في هذه الحالة: الأسفار) إلى المجال الهدف (في هذه الحالة: الحب). يكون الربط مبنينا بإحكام، إذ نجد توافقات أنطولوجية، تخص التوافق النسقي بين الكيانات التي تنتمي إلى مجال الحب (على سبيل المثال: المتحابان، تحقيق الأهداف المشتركة، الصعوبات التي تواجههما، وعلاقة الحب... الخ) والكيانات التي تنتمي إلى مجال السفر (المسافرون، والمركبات، والعوائق، والغايات... الخ).

ينبهنا لايكوف هنا على أن الاستراتيجية التي اعتمدها مع جونسون (في الاستعارات التي نحيا بها) لتسمية مثل هذه الترابطات كان بهدف تسهيل تذكر ما يوجد من ترابطات في النسق التصوري، بالاستعانة بتقنية الاستذكار هذه التي توحي بالربط. وهي تسمية مساعدة على التذكر تكون نموذجيا (وإن لم يكن دائما)

=الاستعارة. ويضيفان أن استعارتهما الأولى حول الاستعارة التصورية جاءت من الرياضيات بالنظر إليها كترابطات بالمعنى الرياضي عبر مجالات تصورية. هذه الاستعارة حسبهما أثبتت جدواها من عدة نواح، فهي دقيقة، ومحددة بالضبط، والتوافقات فيها نسقية. إنها تسمح باستعمال قوالب استنتاج المجال المصدر لاستنباط المجال الهدف. وأخيرا، فإنها تسمح بترابطات جزئية. وباختصار، لقد كانت ذات قيمة أولية جيدة. ومع ذلك، فإن استعارة الترابطات الرياضية ثبت أنها غير كافية في مجال هام، فالترابطات الرياضية لا تنشئ الكيانات الهدف، في حين أن الاستعارات التصورية كثيرا ما تفعل ذلك". ينظر:

-George Lakoff and Mark Johnsen (2003): **Metaphors we live by**, p 253.

على الشكل: المجال الهدف (هو)[1] المجال المصدر، أو كبديل عن ذلك: المجال الهدف مثل المجال المصدر. مثال ذلك في حالة استعارة الحب سفر، اسم الربط هو: الحب (هو) سفر، وعند التطرق إلى هذه الاستعارة واستخدام مساعد التذكر من أجل الإشارة إلى هذه المجموعة من التوافقات الأنطولوجية التي تخصص عملية الربط، فهذا يعني أن :

المتحابين يوافقان المسافرين.

علاقة الحب توافق المركبة.

الأهداف المشتركة للمتحابين توافق الوصول إلى غايتهما المشتركة في السفر.

الصعوبات في العلاقة توافق العقبات التي تحول دون السفر.

ينبه لايكوف هنا أيضا إلى أنه من الخطأ الشائع الخلط بين تسمية الربط: الحب (هو) سفر، بعملية الربط بحد ذاتها، والتي تعني مجموعة من التوافقات. وبالتالي، كلما تمت الإشارة إلى استعارة ما بواسطة مساعد التذكر مثل الحب (هو) سفر، ستكون الإشارة إلى هذه المجموعة من التوافقات.

وبرأي لايكوف دائما فإن عملية ربط الحب بوصفه سفرا، تمثل مجموعة من التوافقات الأنطولوجية التي تحدد التوافقات المعرفية

(1) نشير هنا إلى أن ضمير الربط 'هو' لا يستعان به -غالبا- في اللغة العربية، ولكننا نستعمله هنا لنقابل به الرابط is (أو est بالفرنسية)، ولبيان وجود علاقة ترابط بين المجالين.

(أو تخصصها) وذلك بربط معارفنا عن الأسفار بمعارفنا عن الحب، ما يسمح لنا بالتفكير في الحب باستخدام المعرفة التي نستحضرها عند التفكير في الأسفار. فمن خلال عبارة: "نحن عالقان" التي قد يقولها أحد المحبين للآخر في حديثه عن علاقتهما [العاطفية]، يطرح التساؤل هنا: كيف يمكن لهذا التعبير الذي يمكن استخدامه في السفر أن يكون مفهوما على أنه حول علاقتهما؟ وكيف نجد استحضارا للمعرفة حول السفر عندما يحصل ذلك؟. فبرغم اختلاف المعرفة الدقيقة من شخص إلى آخر، إلا أن هناك مثالا نمطيا لهذا النوع من المعرفة المستحضرة. لتوضيح التوافقات الأنطولوجية في استعارة الحب سفر، نقترح هذا الجدول:

المجال (التصورى) المصدر	المجال (التصورى) الهدف	بعض التحققات اللغوية
المسافران	المتحابان	- إننا نسير في طريقين لا يلتقيان.
المركبة	علاقة الحب	- آن الأوان لنقرر الطريق الذي نسلك.
السفر	أحداث العلاقة	- أنظر إلى أين أوصلتنا أنانيتك.
المسافة المغطاة	التقدم في العلاقة	- هذه العلاقة لا تسير في أي اتجاه.
العوائق في الطريق	معيقات الحياة ومشاكلها	- نكاد نسقط في الهاوية/ إننا نغرق.
الوجهة/ المحطة النهائية	الهدف من العلاقة	- ستكون نهاية سعيدة لعلاقتكما. - عليك بمجابهة كل الصعاب التي تعترض حبكما.

2 . 2 . 3 . 1 . الطبيعة الجزئية للترابطات:

إن شأن الترابطات الاستعارية من المصدر إلى الهدف أن تكون جزئية. إذ يستفاد من جزء من المجال المصدر فقط في كل استعارة تصورية. يسمي كوفيتش[1] هذا الاستخدام الجزئي "استفادة استعارية جزئية"، أين يعثر على إضاءة من المصدر تسمى "تسليط الضوء الاستعاري" على بنية جزئية من التصور الهدف فقط. أما الجزء الآخر من الهدف الذي يُحجب خارج منطقة تسليط الضوء فيقال له "الجزء المخفي" أو المتواري.

على هذا الأساس تكون حاجتنا إلى مصادر متعددة لفهم الهدف كاملا، بسبب أن كل مصدر يمكنه بنينة جوانب محددة من الهدف فقط، فليس ثمة مجال مصدر يمكنه بنينة هدف ما كله، ومن ثم توفير فهم تام لجوانبه[2].

للتوضيح نأخذ استعارة **النظريات بنايات**، فحسب لايكوف وجونسون[3] العناصر التي تنتمي لتصور البناية والتي تستخدم لبنينة تصور النظرية هي الأسس والهياكل، أما السقوف والغرف الداخلية والسلالم والردهات فعناصر بناء مهملة في تصور النظرية.

---

(1) Cf. Zoltán kövecses: Metaphor, **a Practical Introduction**, pp 91-103.

(2) هذا ما يبقي في نظرنا الباب شارعا أمام إبداع استعارات جديدة في كل حين.

(3) جورج لايكوف ومارك جونسن: **الاستعارات التي نحيا بها**، ص 73.

وبهذا تملك هذه الاستعارة جزءا مستخدما وجزءا مهملا، مع الإشارة إلى أنه بالإمكان العثور على تعابير لغوية تنتمي إلى الجزء المهمل من الاستعارة، في هذه الحالة فالحديث سيخرج عن نطاق طريقتنا الوضعية والحرفية وتنتمي إلى ما يسمى عادة اللغة "المجازية" أو "التخييلية"، والتي سنعود للتفصيل فيها لاحقا.

2. 2. 3. 2. تبدأ الترابطات في المستوى عالي الترتيب:

في مثال لايكوف السابق (الحب سفر)، توافق علاقة الحب المركبة، والمركبة هي مقولة ذات مستوى عالي الترتيب (superordinate level) تتضمن مقولات ذات مستوى قاعدي مثل: السيارة، القطار، السفينة، أو الطائرة. وعليه تكون أمثلة المركبات المستخدمة في استعارة الحب سفر مستمدة بصفة نموذجية من هذه المجموعة من المقولات ذات المستوى القاعدي، مثلا: مع السيارة (طريقنا وعر وطويل، العجلات معطوبة)، أو مع القطار (حادت علاقتنا عن السكة)، أو القارب (تحطمت علاقتنا على الصخور، إنها تغرق)، أو الطائرة (هوت علاقتنا مع إقلاعها، ولا سبيل لإنقاذها)[1].

(1) هذه الأمثلة مأخوذة عن اللغة الإنجليزية، وقد نجد لها ما يماثلها في ثقافتنا وقد لا نجد، وهذه مسألة أخرى تتعلق بالاختلاف الثقافي. لكننا لاحظنا على العموم أنها تحققات لغوية تماثل كثيرا ما نجده في ثقافتنا، وفي هذا دليل آخر على الطبيعة التصورية للاستعارة.

يصرح لايكوف أن هذه الحالات ليست صدفوية، فقد وجد أن الترابطات تحصل في المستوى العالي بدلا من المستوى القاعدي، وبالتالي لا توجد بالكلية ترابطات فرعية على شاكلة: "علاقة الحب سيارة"، وحتى لو وجدت علاقة حب متصورة بهذا الشكل، فسيكون ثمة مبرر للعثور عليها متصورة على أنها قارب، أو قطار، أو طائرة... الخ؛ وهذه المقولة عالية الترتيب (المركبات) ليست هي المقولة ذات المستوى القاعدي، وعليه لا يكون مفاجئا أن يتم التعميم على المستوى عالي الترتيب، في حين أن الحالات الخاصة تكون على المستوى القاعدي، الذي هو مستوى الصور الذهنية والبنية المعرفية الثرية. والربط على المستوى عالي الترتيب يستغل إمكانيات ربط البنية التصورية الثرية من المجال المصدر إلى المجال الهدف في حدها الأعلى، نظرا لكونه يمنح العديد من الأمثلة ذات المستوى القاعدي. وهكذا فإن التنبؤ الحاصل بشأن الترابطات الوضعية هو كون المقولات المربوطة ستميل إلى أن تكون في المستوى عالي الترتيب بدلا من المستوى القاعدي. وهكذا فإننا لا نجد ترابطات مثل: علاقة الحب سيارة، أو علاقة الحب قارب... بل قد يجد المرء حالات ذات مستوى قاعدي (مثل السيارات والقوارب)، التي تشير إلى أن التعميم يتم على المستوى العالي.

ويصرح لايكوف أنه في مئات من الحالات من الترابطات الوضعية التي درست حتى الآن، ثبتت صحة هذا التنبؤ الذي مفاده أن: المقولات ذات الترتيب العالي هي التي يتم استخدامها في عملية الربط.

2 . 2 . 3 . 3 . ما الذي يحفز على عملية الربط؟

أكثر ما يبرز هذا التحفيز عندما يتعلق الأمر بإنشاء ترابطات جديدة، يرى لايكوف[1] في هذا الصدد أن كل استعارة وضعية، أي كل عملية ربط، هي قالب مستقر من التوافقات التصورية عبر المجالات التصورية. وبالمثل، يحدد كل ترابط طبقة مفتوحة من التوافقات المحتملة عبر قوالب الاستنتاج. ويمكن بتنشيط هذه التوافقات أن تطبق عملية الربط على بنية معارف المجال المصدر الجديدة وتخصيص بنية معارف مجال هدف موافقة.

ينبه لايكوف هنا إلى أنه لا ينبغي التفكير في الترابطات على أنها عمليات، أو خوارزميات تأخذ آليا إدخالات (inputs) المجال المصدر وإنتاج إخراجات (outputs). عوضا عن ذلك ينبغي أن ينظر لكل ترابط على أنه قالبا مثبتا من التوافقات الأنطولوجية عبر المجالات التي يمكنها أو لا يمكنها أن تنطبق على بنية معارف المجال المصدر أو مداخل المجال المصدر المعجمية. وبالتالي، فالمداخل المعجمية التي هي وضعية في المجال المصدر لا تكون دائما وضعية في المجال الهدف. بدلا من ذلك، كل مدخل معجمي من المجال المصدر يمكنه أو لا يمكنه الاستفادة من قالب الربط الثابت. ففي حالة ما تم له ذلك، فسيكون له معنى معجم موسع في المجال الهدف، أين يخصص هذا المعنى بواسطة الترابط. وإذا لم يتم

(1) Cf. George Lakoff: **The Contemporary Theory of Metaphor**. p 208.

له ذلك، فلن يكون له معنى وضعيا في المجال الهدف، ولكن من الممكن أن يتم ربطه بصفة منشطة في حالة الاستعارة الجديدة. وهكذا فكلمات مثل "طريق سيار" و"ممر سريع" ليست مستخدمة وضعيا للحب، ولكن بنيات المعارف المرتبطة بها تم ربطها بواسطة استعارة الحب سفر في حالة هذا المثال المأخوذ عن أغنية: "إننا نقود في ممر سريع على طريق الحب السيار"، أين تمت الاستعانة باستعارة الحب سفر وتوسعتها بربط عناصر جديدة من بنية المجال المصدر غير المستخدمة وضعيا، هذه العناصر المنتمية للبنية المعرفية الخاصة بمجال السفر تم تنشيطها أو تفعيلها من أجل إنشاء ترابطات جديدة، وبالتالي ابتكار استعارة جديدة بتوسعة الاستعارة الوضعية.

2 . 2 . 4 . الاقتضاءات الاستعارية:

لفهم المقصود بالاقتضاء الاستعاري نعود إلى ما قلناه عن تشكل التصورات الاستعارية من مجموعة من الترابطات بين المجالين المصدر والهدف. هنا تتوافق بعض مظاهر المصدر والهدف الواردة مع جميع المظاهر الأخرى بطريقة تتوافق فيها العناصر المؤسسة للمصدر مع العناصر المؤسسة للهدف، إضافة إلى ما يتبقى لدينا من معارف ثرية حول المصدر وعناصره التأسيسية. هذه المعارف الموسعة تعكس فهمنا المفصل واليومي للعالم؛ فنحن نعرف الكثير بخصوص البناء، والمغذيات، والأسفار، والحرب، والأوعية،... الخ، مع تأسيساتها. هذه المعارف الموسعة واليومية

المعطاة تطرح تساؤلا بشأن المجالات المصدر الملموسة وعناصرها، بخصوص عدد وماهية المعارف التي تحمل من المصدر "ب" إلى الهدف "أ" نسبة إلى بعض مظاهر "ب" و"أ" وتلك التي تتضمنها الترابطات؟. بعبارة أخرى، إلى أي مدى نستفيد فيه من **المعارف الثرية** حول المصادر وعناصرها التأسيسية، تلك المتوارية خلف **البنية** التي حددتها العلاقة بين العناصر القاعدية التأسيسية؟.

حسب كوفيتش[1] ما يستفاد منه لفهم المجالات الهدف هو جوانب أو مظاهر معينة من المجال المصدر، تتكون من عدد قليل من العناصر التي تتشارك في عملية الربط، وتظل هناك الكثير من المعارف الإضافية حول هذه المصادر وعناصرها التأسيسية لا تتضمنها عملية الربط بين العناصر التأسيسية القاعدية.

السؤال الذي يطرحه كوفيتش بخصوص هذه العلاقة هو: هل يتم تجاوز كلي للمعارف الثرية الإضافية حول العناصر (التأسيسية أو غير التأسيسية) للمجال المصدر، أم أنها تستخدم لأجل هدف الاستيعاب الاستعاري؟.

تقدم نظرية الاستعارة التصورية عدة مداخل للإجابة عن هذا السؤال منها: افتراض "مبدأ الثبات" وفكرة "الاقتضاءات الاستعارية" التي تعد حسب كوفيتش فكرة نظرية مهمة للمنظور المعرفي حول الاستعارة.

---

(1) Cf. Zoltán kövecses: **Metaphor, a Practical Introduction**, pp 121- 122.

يعرف كوفيتش[1] **الاقتضاءات الاستعارية** بأنها "العناصر الاستعارية التي تنشأ عن المعارف الثرية التي يملكها الناس بخصوص عناصر المجالات المصدر. مثلا، في استعارة **الغضب سائل حار في وعاء**، تكون لدينا معرفة سابقة حول سلوك السوائل الحارة في الوعاء، وعندما تُحمل هذه المعارف من المجال المصدر إلى المجال الهدف، فإننا نحصل على عناصر استعارية". بمعنى أنه عندما يتم ربط المعارف الثرية الإضافية للمصدر إلى الهدف، نسمي هذا **اقتضاءً استعاريا** لتمييزه عن الترابطات الأخرى العديدة. وقد أظهر فحص الاستعارات التصورية أن الكثير من الاستعارات تربط معارف **إضافية** من المصدر إلى الهدف. وتعد الاقتضاءات الاستعارية خاصية مشتركة بين الاستعارات التصورية، والمثال التالي يوضح ذلك:

في استعارة **الجدال سفر**، يعد ارتباط السفر بمسار عنصرا تأسيسيا للمجال المصدر، وهو يوافق تقدم الجدال. لكننا نملك مع ذلك بعض المعارف الإضافية بخصوص الأسفار، منها إمكانية التيهان والخروج عن المسار، أي أن (إمكانية التيهان) في أسفارنا عنصر غير تأسيسي لتصور السفر في هذه الاستعارة، لكنه يتجلى بنفسه في الاقتضاء الاستعاري الذي يتعلق بإمكان أن (ننحرف عن) الخط المسطر للجدال. أي أن يوافق التيهان في السفر الخروج عن المسار المحدد في الجدال. في هذه الحالة نستخدم جزءا من

(1) Cf. ibid. p 325.

المعارف حول الأسفار لإعطاء معنى لمظهر محتمل من مظاهر الجدالات.

باختصار عندما يتم ربط هذه المعارف الثرية حول عناصر المجالات المصدر بالمجالات الهدف، فإنها تكون لدينا حالات من الاقتضاء الاستعاري. ولكل تصور مصدر اقتضاء استعاري محتمل، بمعنى أنه يمكن بصفة محتملة القيام بعملية ربط معارف يومية موسعة بالمجال الهدف. ويمكن لهذا الاقتضاء المحتمل أن يكون أقل أو أكثر إفادة بصفة كلية، ويمكن لهذه الاستفادة أن تكون كاملة عمليا في بعض الحالات.

لقد لاحظ كوفيتش أنه يمكن أن يستثمر اقتضاء واحد أو عدد قليل من الاقتضاءات لاستعارة ما. وفي حالات أخرى يكون استثمار الاقتضاء الاستعاري المحتمل للمصدر كاملا بالتقريب؛ تبرز هنا حالتان: في الأولى، تُحمل الاقتضاءات الاستعارية لمصدر ما إلى تصور هدف واحد بصفة تامة. وفي الحالة الثانية، تخصص الاقتضاءات الاستعارية مجموعة من التصورات المترابطة. فيما يلي تمثيل للحالتين:

- الحالة الأولى: **الغضب سائل حار في وعاء**: هي استعارة جد معروفة، الترابطات التأسيسية لها هي كالتالي:

الوعاء الفيزيائي ← جسد الشخص الغاضب

السائل الحار الخارج من الوعاء ← الغضب

درجة حرارة السائل ← شدة الغضب

سبب تزايد حرارة السائل ← سبب الغضب

ما يبحث عنه هنا هو الاقتضاء المحتمل للمجال المصدر الذي يحمل إلى المجال الهدف للغضب. عموما، يكون لدينا الكثير من الأشياء عن سلوك السائل الحار في إناء معاين عن قرب، بمعنى أننا نملك مقدارا كبيرا من المعارف الثرية بخصوص المصدر المخصص، منها: أننا نعرف أن حرارة السائل ترفع أكثر مستوى السائل في الوعاء؛ ونعرف أن الحرارة تنتج بخارا؛ وأن الوعاء يطفح بما فيه بعد حد معين نتيجة للضغط الكبير، وأن السائل يسيح خارج الوعاء ويملأ المكان، وأنه من الخطر الاقتراب منه...الخ. هذه المعارف منسجمة كليا، وهذه المظاهر من المعارف تميزها عن الحالات التي تختار فيها عناصر المعارف بصفة أكثر أو أقل عشوائية (unsystematically) لتحمل إلى المجال الهدف.

للنظر بدقة في ما الذي يُحمل إلى تصور الغضب من اقتضاء استعاري محتمل للمصدر، يتخذ كوفيتش[1] الاستعمال اللغوي برهانا عن استثمار هذا الاقتضاء المحتمل. أي إذا ما تم العثور على تعابير لغوية متواضع عليها تؤشر عن أي من الاقتضاءات

(1) Zoltán kövecses: **Metaphor, A Practical Introduction**; Ibid. pp 124-125

الاستعارية السابقة في التحدث عن الغضب، فإنه يُفترض هنا أن الناس غالبا ما يفكرون بالفعل من خلال هذا الاقتضاء المحتمل. الاقتضاءات الاستعارية المحتملة التالية تبين أن الاقتضاء المحتمل المعطى سابقا مستثمر بواسطة استعارة **الغضب سائل حار في وعاء**:

عندما تزداد شدة الغضب، يصعد مستوى السائل:

- غضبه المكبوت يضطرم بداخله
- ينتابها شعور بشيء يدفع حلقها
- الغضب يتصاعد بداخلي

ينتج الغضب الشديد بخارا:

- إنها تشتط غضبا.

ينتج الغضب الشديد ضغطا على الوعاء:

- جعله الغضب ينفجر.
- بالكاد استطعت دفع/ كضم غضبي.

يتضمن هذا أنواعا مختلفة:

يحاول الشخص الغاضب التحكم في ضغطه:

- أطفأ [نار] غضبه.
- سكت عنه الغضب.
- ابتلع حنقه.

عندما يشتد الغضب أكثر، ينفجر الشخص:

- ما إن حاولت مكالمته حتى انفجر في وجهي.
- صب عليه جام غضبه.

يمكن لهذا أن يوسع باستخدام حالات خاصة:

- **المكبس:** أطلق عليه كلمات نارية.
- **البركان:** انفجرت كالبركان.
- **الكهرباء:** صعق من كلامه.
- **مواد متفجرة:** تفجرت الأوضاع بعد أن أشعل فتيلها لهيب الأسعار.
- **قنابل:** ينام الجميع على قنابل موقوتة قد تنفجر في أية لحظة.

عندما ينفجر الشخص الغاضب فإنه يخرج ما بداخله:

- أخيرا أخرج ما بداخله من غضب.
- أرى الدخان يخرج من أذنيك.

هذه بعض الأمثلة التي عرضها كوفيتش، وأخرى من اقتراحنا لتوضيح أن الترابطات التأسيسية لاستعارة **الغضب سائل حار في وعاء** هي التوافق الموجود بين حرارة السائل والغضب، وفيه يتم ربط العنصر القاعدي للمصدر (الحرارة) بالعنصر القاعدي

للتصور الهدف للغضب (**الغضب نفسه**). لكن هذا لا يعني، مع ذلك، أن تصور الغضب موصوف بالتمام بهذه الاستعارة، بل قد ينجز بهذه وباستعارات أخرى عديدة بصفة مشتركة. لكن ما يلاحظ من خلال الأمثلة السابقة أن الاقتضاءات الاستعارية المحتملة للمصدر في علاقتها بالهدف هي مستثمرة بشكل تام في استعارة **الغضب سائل حار في وعاء**.

الحالة الثانية: استعارة **الأنساق المجردة المعقدة نباتات**: تأخذ هذه الاستعارة تصورات متنوعة متعلقة بها، تتضمن التنظيم الاجتماعي (مثل المؤسسات)، الفروع العلمية، الناس، أنظمة اقتصادية وسياسية، علاقات إنسانية، مجموعة من الأفكار، وأخرى. تعد هذه من أساسيات استعارة النبات، وكلها يمكن رؤيتها كأنساق (مجردة) معقدة، ومع ذلك يمكن لهذه الاستعارة أن تطبق أيضا على أشياء ليس لها قابلية تصورها كأنساق معقدة أو أن قابلية تصورها هكذا تكون أقل يسرا، مثل الوظائف، الشباب، الجدالات والنقاشات...الخ. ومع ذلك يبدو بصفة عامة أن التصور المصدر للنبات يطبق بأكثر طبيعية وأكثر تواترا على مجالات يمكن ملاحظتها بيسر كأنساق معقدة من بعض الجهات، هذا الأمر يعطي تبريرا لاستنهاض واستخدام هذه الاستعارة التصورية المخصوصة.

تتأسس استعارة **الأنساق المجردة المعقدة نباتات** حسب كوفيتش على عدد قليل من الترابطات التأسيسية، تتضمن ما يلي:

- النبات (هو) نسق معقد.
- أجزاء النبات (هي) أجزاء النسق المعقد (المركب).
- النمو البيولوجي للنبات (هو) نمو مجرد غير بيولوجي للنسق المعقد.

يمكن توضيح هذه الترابطات من خلال الجمل الاستعارية التالية:

- من فضلك، عد إلى الفرع المحلي للمؤسسة.
- إن تحصيلها الدراسي ينمو بسرعة.

توضح الجملة (1) الترابطين (أ) و (ب) ، بينما الجملة (2) هي تَجَلٍّ لغوي للترابطين (أ) و(ت).

يمكن أن يتضمن جزء النبات أشياء عدة، مثل تخصص في فرع معين، كما هو مبين في الجملة (3): جهاز الليزر باهظ الثمن ولكن يمكن استعماله في فروع عدة من الجراحة.

كما هو ملاحظ يمكن إذن في بعض الحالات أن تكون لدينا معارف جد ثرية حول العناصر التي في المصدر، يمكننا بواسطة استخدامها استيعاب الهدف. هذه المعارف تتضمن ما يلي: عندما تنمو النباتات تصبح أكبر فيزيائيا، وأحيانا تقطع أو تقلم، ما ينتج عنه حجم أصغر.

يبدو بحسب كوفيتش أن المتكلم يستخدم هذه المعلومات الإضافية لفهم بعض مظاهر الأنساق المعقدة. يمكن تمثيل هذه الاقتضاءات التصورية كاستعارات فرعية لاستعارة **الأنساق المجردة المعقدة نباتات** كما يلي:

توسعة النسق المعقد (هو) نبات ينمو أكبر	تحجيم أنساق معقدة (هو) تحجيم النباتات (تقليم، قطع)
مثال: توسعت الجامعة ببناء أقسام لفروع جديدة.	مثال 1: اضطرت المؤسسة للتخلي عن فروعها في الخارج. مثال 2: قلمت القوانين طموحها في الانتشار.

مظاهر الأنساق المعقدة في هذه الحالة هي:

- أنساق معقدة تصبح أوسع فيزيائيا.
- تحجيم أنساق معقدة.

يستفاد من المعارف الثرية الإضافية المعنية بالنباتات للقبض على هذه المظاهر. ومع ذلك تؤدي الكثير من الاقتضاءات الاستعارية التي تشتق من استعارة النبات بعلاقتها بالأنساق المعقدة عملها بهذا الترابط: 'النمو البيولوجي في المصدر يوافق نمو مجرد محدد في الهدف'. نقترح هذين المثالين من جملة أمثلة عديدة أوردها كوفيتش[1] للتوضيح:

(1) Cf. Zoltán kövecses :**Metaphor, A Practical Introduction**. ibid. p 128-129

تحضير نمو النسق المعقد (هو) تحضير نمو النبات	الانطلاق في إنشاء نسق معقد (هو) زرع بذرة
مثال: سيهيئ هذا العمل الأرضية لنمو في المستقبل	مثال: الاتفاقية التي زرعت بذور السلام

باختصار، لقد بين كوفيتش من خلال مناقشته أنه من الواضح أن استعارة **الأنساق المجردة المعقدة نباتات** تستخدم العديد من الاقتضاءات الاستعارية المحتملة المقترنة بتصور النبات، إنها المعارف اليومية التي نملك بخصوص النباتات باعتبارنا أناسا عاديين (وليس علماء نبات). إن الاعتبار الكبير للمعارف الثرية يركز على الترابط التأسيسي القاعدي للاستعارة، وهو الترابط الذي يتم وفقا لتوافق النمو الطبيعي والبيولوجي للنباتات وتقدُمَ الأنساق المعقدة (المجرد) أو نموها. هذه المعارف الموسعة حول النمو النباتي يجلي الكثير من معارفنا حول مظاهر الأنساق المعقدة "النامية".

الاقتضاء الاستعاري ودوره في تحقيق الانسجام:

قبل الحديث عن هذا الدور، نعطي فكرة مختصرة عن المقصود بالانسجام الاستعاري الذي يختلف عن التلاؤم الاستعاري. ونشير إلى أنه يتمظهر في مستويات مختلفة، فهو قد يتعلق باستعارة واحدة، أو بمجموعة من الاستعارات.

أ- الانسجام داخل استعارة واحدة: لأجل التمثيل لهذا المستوى من الانسجام يقترح لايكوف وجونسون[1] النظر في استعارة **الجدال سفر** التي ترتبط بهدف الجدال، إذ يكون له بداية وتطور خطي عبر مراحل وصولا إلى هذا الهدف. لتوضيح الانسجام الحاصل في هذه الاستعارة نقترح هذا الجدول المتضمن أمثلة لغوية:

السفر (مصدر)		الجدال (هدف)	
اقتضاءان غير استعاريان	أمثلة لغوية	اقتضاءان استعاريان	أمثلة لغوية
السفر يعين مسارا	- وحصل أن تاه عن الطريق - ضللنا السبيل فأين المسار - لقد جنح نحو الاتجاه الخاطئ	الجدال يعين مسارا	- لقد ابتعد عن خط الاستدلال - نحونا نحوا سيئا/ ضللت السبيل - إنك تدور في حلقة مفرغة
مسار السفر مساحة	- لقد غطينا مساحة لابأس بها - غطينا مجالا مهما من سفرنا - لقد حاد عن الطريق	مسار الجدال مساحة	- غطينا كل أجزاء الموضوع - غطينا مجالا مهما في استدلالنا - إنك تخرج باستمرار عن الموضوع

يحدد هنا الاقتضاءان الاستعاريان للجدال المستندان إلى الاقتضاءين غير الاستعاريين للسفر النسقية الداخلية لاستعارة **الجدال سفر**، أي أنهما يجعلان كل الأمثلة التي تقع ضمن هذه الاستعارة منسجمة مع بعضها.

---

(1) ينظر: جورج لايكوف ومارك جونسن: **الاستعارات التي نحيا بها**. صص 105-106

يظهر الانسجام بين مظهري تصور واحد في استعارة **الجدال سفر** المستخدمة لتسليط الضوء على هدف الجدال السابقة، تمثل هذه الاستعارة احدى الاستعارات المرتبطة بالجدال وليس كلها، فنحن حين نتحدث عن مضمون الجدال (وليس مساره) نستخدم استعارة أخرى هي استعارة: **الجدال وعاء**، كما يتضح من خلال هذه الأمثلة: ليس لاستدلالك محتوى؛ هذا برهان فارغ؛ هذه النقطة مركزية أما الباقي فهامشي...الخ. وبما أن الغرضين من الاستعارتين مختلفان (الهدف والتقدم في مقابل المحتوى) فإن حدوث تداخل بين الاستعارتين يبدو مستبعدا، إلا أنه من الممكن التركيز على أحد مظهري الجدال في الوقت نفسه، لنحصل على استعارات مختلطة تبرز المظهرين في الآن نفسه، فتنتج تعابير من قبيل: في هذه النقطة يخلو استدلالنا من المحتوى؛ ما فعلناه سابقا هو عرض نواة استدلالنا؛ إذا استمررنا على هذه الطريق سنتمكن من إدخال كل المعطيات...الخ.

إن إمكانية حصول هذا التداخل ترجع إلى **اشتراك الاستعارتين في الاقتضاء**. فكلما غطى الجدال مساحة أكثر (أي كلما كبرت مساحة السفر) أصبح له محتوى أكثر (أي زادت مساحة الوعاء)، لاحظ الجدول:

استعارة الجدال سفر		استعارة الجدال وعاء	
اقتضاءات استعارية		اقتضاءات استعارية	
اقتضاءات أخرى	كلما خلقت مساحة أكثر غطى الجدال مجالا أوسع	كلما خلقت مساحة أكثر زاد محتوى الجدال	اقتضاءات أخرى
اقتضاء مشترك	كلما تقدمنا في الجدال خلقنا مساحة		

إن التداخل في الاقتضاءين بين الاستعارتين هو الذي يحدد الانسجام بينهما ويتيح الترابط بين مقدار المساحة التي يغطيها الجدال ومقدار المحتوى الذي يكون له. وهذا ما يسمح لهما بأن تتآلفا وإن لم تكونا متناغمتين تماما، وهذا ما يدفعنا إلى ضرورة التمييز بين الانسجام والتلاؤم، فحسب لايكوف وجونسون[1] يعد هذا الاختلاف حاسما، فكل استعارة تركز على مظهر من مظاهر تصور الجدال لتخدم غرضا فريدا، وسبب الحاجة إلى استعارتين أنه لا تكفي إحداهما وحدها للإحالة إلى اتجاه الجدال ومحتواه في الوقت نفسه، بمعنى وجود غرضين مختلفين، وحين لا يختلط الغرضان لا تختلط الاستعارتان، فلا وجود لاستعارة محددة وواضحة تستوفي الغرضين في الوقت نفسه، فلا يمكن الحديث عن اتجاه محتوى الجدال، أو محتوى اتجاه الجدال كأن نقول مثلا: محتوى الجدال يتواصل كالتالي...، وعليه تكون الاستعارتان متلائمتين إذا كان هناك سبيل لاستيفاء الغرضين بشكل تام عن طريق تصور واحد

(1) ينظر: جورج لايكوف ومارك جونسن: المرجع السابق. ص 109.

محدد بوضوح. إلا أنه عوض ذلك لدينا انسجام يستوفي فيه الغرضان جزئيا. وعلى العموم، فالتلاؤم التام بين الاستعارات نادر، أما الانسجام فهو نموذجي.

ب- **الانسجامات الاستعارية المعقدة**[1]: غالبا ما تشترك عدة استعارات في البنينة الجزئية لتصور واحد، وحين نتحدث عن تصور ما، نستخدم تصورات أخرى قد تفهم بدورها بطريقة استعارية، ما يؤدي إلى المزيد من التداخل بين الاستعارات.

بالعودة إلى تصور الجدال، نجد أنه لأجل تخصيص مظاهره المتعددة ينبغي الاستعانة باستعارات متعددة أيضا لتخصيص هذه المظاهر، وباختصار تسعى مختلف استعارات الجدال إلى خدمة غرض توفير فهم للمظاهر التالية من التصور: المحتوى- التقدم- البنية- القوة- القاعدية-البدهية- المباشرة- الوضوح. ويمكننا العثور على مجموعة من الاستعارات المتداخلة تخصص كل هذه المظاهر، لاحظ الجدول:

(1) راجع التفاصيل: المرجع نفسه، ص 111 وما بعدها.

الجدال سفر	المحتوى	التقدم	البديهية	المباشرة	
	لم نتمكن حتى الآن من الذهاب بعيدا			هذا الجدال يسلك طريقا ملتويا	
		نحتاج إلى التوغل أكثر لنرى بوضوح ما هو مطلوب			
الجدال وعاء	المحتوى	الوضوح	التقدم	القوة	القاعدية
	يتضمن استدلالك كل الأفكار الجيدة، إلا أنه ليس شفافا حتى الآن			تشكل هذه الأفكار النواة الصلبة في الاستدلال	
الجدال بناء	القاعدية	البنية	القوة	التقدم	المحتوى
	أقمنا أسس الاستدلال ونحتاج إلى إطار متين			بنينا الآن أهم ما في الاستدلال	

انطلاقا من كون الأسفار والأوعية والبناءات تحدد مساحة، فإنه بالإمكان حصول تداخل بين هذه الاستعارات رغم الاختلاف في تحديد المساحة في كل من السفر، والوعاء، والبناء. والانسجام الحاصل بين الاستعارات الثلاث يرتكز على أنها جميعًا تتوافر على مساحات محددة للمحتوى. هذا التداخل بين البنينات الاستعارية الثلاث لتصور الجدال يسمح باستعارات مختلطة من قبيل:

لقد بنينا لحدّ الآن نواة الاستدلال

استعارة بناء　　استعارة سفر　　استعارة وعاء

كما يمكن أن تدخل استعارات أخرى وتتداخل مع مختلف استعارات الجدال[1]: مثل استعارة **الفهم إبصار** (مثل قولنا:

(1) راجع التفاصيل في المرجع السابق: صص 116-117.

بوصولنا إلى هذه النقطة يمكن أن نرى الآن الأشياء التي أخطأ فيها ؛ لا يمكن أن نرى ذلك إلا إذا سبرنا أغوار المسألة، الخ)، واستعارة **الأكثر فوق** (لم تقدم الكثير من الاستدلالات؛ [استدلالك لا يرقى إلى المستوى المطلوب]، الخ) .

وعلى العموم فإن الانسجامات العبر استعارية التي تحيط باستعارات الجدال يصعب استقصاؤها كلها، خاصة مع المظاهر الأكثر تعقيدا (**مثل الجدال حرب**)، التي ترد فيها الانسجامات بنفس الطريقة التي ترد بها في الأمثلة البسيطة.

نخلص في الأخير إلى القول بأن الاقتضاء الاستعاري يلعب دورا جوهريا سواء في الربط بين كل تحققات بنينة استعارية واحدة لتصور واحد (الجدال سفر)، أو في الربط بين بنينتين استعاريتين مختلفتين لتصور واحد (السفر والوعاء بالنسبة للجدال)، أو أن يقيم اقتضاءٌ استعاري مشترك توافقا بين الاستعارات. إن الذي يؤدي إلى حصول تداخل في الاستعارات هو تداخل في الأغراض لدينا ما يؤدي إلى استعارات مختلطة مسموح بها، وبهذا نحصل على الانسجام فيما بينها.

2 . 2 . 5 . مبدأ الثبات:

قبل أن نفصل في مبدأ الثبات (The Invariance Principle) المرتبط بآليات إنتاج الاستعارة التصورية، نفصل أولا في مفهوم له صلة وثيقة بما سيطرأ على نظرية الاستعارة من تطويرات لاحقة، هذا المفهوم هو **خطاطة الصورة** (image-schema) المتعلقة

بتصورات العلاقات الفضائية. هذه التصورات كما يصرح لايكوف وجونسون[1] هي من صميم نسقنا التصوري، إنها تعطي معنى للفضاء لدينا، وتخصص ماهية الشكل الفضائي، كما تحدد الاستنتاج الفضائي. لكنها لا توجد ككيانات في العالم الخارجي، ذلك أننا لا نرى العلاقات الفضائية، مثل علاقات القرب والبعد، مثلما نرى الأشياء المادية، بل نرى أشياء ننسب إليها ولنا قربا أو بعدا نسبة إلى بعض المعالم.

إننا نستخدم تصورات العلاقات الفضائية هذه بطريقة لاواعية، ونعينها عبر أنساقنا التصورية والإدراكية. كما أننا ندرك فقط بصفة آلية وغير واعية أحد الكيانات على أنه "في" كيان آخر، أو "عليه"، أو "يتجه نحوه". ومع ذلك، يعتمد هذا الإدراك على اعتبار كبير لنشاطنا اللاواعي والتلقائي.

تمثل خطاطة الصورة إحدى البنيات المضمرة للعلاقات الفضائية، نجد منها الأنواع التالية[2]:

---

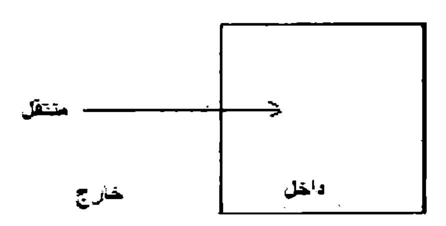
(1) Cf. Lakoff, George and Mark Johnson: **Philosophy in the Flesh**, p 30.

وينظر أيضا عن خطاطات الصورة: عبد الله الحراصي: **دراسات في الاستعارة المفهومية**، مرجع مذكور، ص 25 وما بعدها.

(2) خطاطات الصورة عديدة، نجد منها أيضا: خطاطة الفضاء (أعلى-أسفل، أمام- خلف، يمين-شمال...)؛ خطاطة التحرك أو التنقل (منطلق-مسار-هدف)؛ خطاطة التوازن (التوازن المحوري، التوازن المتناظر، التوازن النقطي)؛ خطاطة القوة (الدفع، الانسداد، المجابهة، تحويل =

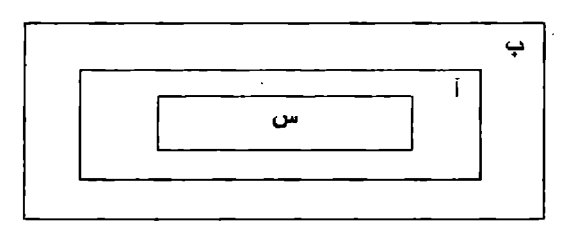
خطاطة الوعاء (أو الاحتواء):

هي التي نعبر عنها باستعمال "في" أو "داخل"...الخ. هنا يتم تسليط الضوء على ما بداخل الخطاطة (المنطقة المحددة في الفضاء)، وعلى البنية التي تعين حدود الداخل على أنها معلما والشيء المنتقل إلى الداخل بوصفه منتقلا. مثلا في قولنا: "يوجد رجل في الغرفة"، الغرفة هي معلم متعلق بتموقع المنتقل الذي هو الرجل.



تملك العلاقات الفضائية منطقا فضائيا مبنيا داخليا بواسطة تأثير البنيات الصورية الخطاطية: بإعطاء وعاءين 'أ' و'ب'، والشيء 'س': فإنه إذا كان 'أ' في 'ب'، و 'س' في 'أ'، إذن 'س' يكون في 'ب'. الشكل التالي يوضح المنطق الفضائي المبني داخل خطاطة الوعاء:

=الوجهة، فك القيد، المقاومة، الجذب)؛ خطاطة الاتحاد والتفريق (الإدماج؛ التجميع، التشتيت)، خطاطة التعددية (الجزء-الكل؛ الربط..)؛ خطاطة الهوية (المطابقة)؛ خطاطة الوجود (الإزالة، حيز محدود، دائرة، شيء، سيرورة). يراجع لأكثر تفصيل:
- Vyvyan Evans: A Glossary of Cognitive Linguistics, pp 106-109.



لخطاطة الوعاء البنية التالية: داخل، حد [فاصل]، وخارج. هذه بنية جشطلتية، بالمعنى الذي يقول إن الأجزاء لا يكون لها معنى دون الكل، فليس هناك داخل دون حد ودون خارج، وكذلك الشأن بالنسبة للخارج والحد. وهي بنية طوبولوجية (مواضعية) بمعنى أن الحد يمكن أن يجعل أوسع أو أضيق أو حدا منحرفا وحتى مجرد أثر لحد خطاطة الوعاء. وهي خطاطة تصورية مثل غيرها من الخطاطات، ويمكنها رغم ذلك أن تكون مادية، أو كشيء ملموس، مثل الغرفة أو الكأس، أو المناطق المحدودة في الفضاء، مثل ميدان لعب الكرة.

خطاطة: مصدر-مسار-هدف: (Source-Path-Goal Schema)

كشأن خطاطة الوعاء، نجد منطقا فضائيا مبنيا في خطاطة مصدر-مسار-هدف، أنظر الشكل:



تتضمن الخطاطة مايلي:

- المنتقل (أو السائر) الذي يتحرك.

- موقع المصدر (نقطة الانطلاق).
- الهدف، أي وجهة المنتقل المقصودة.
- الطريق من المصدر إلى الهدف.
- المسار الفعلي للحركة.
- وجهة المنتقل في الزمن المعطى.
- الموقع الفعلي النهائي للمنتقل، الذي يمكنه بلوغ وجهته أو لا يمكنه ذلك.

تملك هذه الخطاطة أيضا استنتاجات ومنطقا فضائيا داخليا مفاده:

- إذا قطعت طريقا إلى الموقع الأخير، ستكون مررت على كل المواقع على هذا الطريق.
- إذا سافرت من 'أ' إلى 'ب' ومن 'ب' إلى 'ج'، ستكون سافرت من 'أ' إلى 'ج'.
- إذا كان هناك طريق مباشر من 'أ' إلى 'ب' وأنت تتحرك على طول هذا الطريق نحو 'ب'، فستصبح أقرب إلى 'ب' كلما تحركت.
- إذا كان 'س' و'ع' مسافرين على طول طريق مباشر من 'أ' إلى 'ب'، و 'س' تجاوز 'ع'، فسيكون 'س' أبعد عن 'أ' وأقرب إلى 'ب' من 'ع'.

- إذا انطلق 'س' و'ع' من 'أ' وهما يتحركان في نفس الوقت عبر نفس الطريق نحو 'ب'، وإذا تحرك 'س' أسرع من 'ع'، سيصل 'س' إلى 'ب' قبل 'ع'.

تبعا للايكوف وجونسون فإن معارفنا الأساسية حول الحركة تخصصها خطاطة المصدر-المسار-الهدف، وهذا المنطق مضمن في بنيتها، والكثير من تصورات العلاقات الفضائية تحدد باستخدام هذه الخطاطة وتعتمد في معناها على منطقها الفضائي الملازم لها، مثل: نحو، بعيدا عن، خلال، أثناء...الخ.

الإسقاطات الجسدية:

تعد الإسقاطات الجسدية بصفة خاصة شواهد واضحة لطريقة أجسادنا في اقتسام البنية التصورية. فأمثلة تعبيرية من قبيل "أمام ..."، و "إلى خلف..." تحصل معناها المركزي مع الجسد، على اعتبار أننا نملك الاتجاه أمام وخلف الملازمين لنا. فنحن ننظر إلى جهة الأمام، ونتحرك عادة إلى الأمام، ونعامل الأشياء والناس الآخرين من خلال الأمام. وخلفنا هو المقابل لأمامنا، الذي لا نتصوره بصفة مباشرة، فنحن لا نتحرك إلى الخلف عادة، ولا نتعامل نمطيا مع الأشياء والناس من خلاله. ونحن نسقط الأمام والخلف على الأشياء الثابتة والمتحركة مثل شاشات التلفاز والسيارات، وكذلك على الأشياء الثابتة التي ليس لها أمام يلازمها مثل الأشجار والأحجار. غير أن الثقافات واللغات قد تختلف في

هذه الإسقاطات (في لغة الهاوسا مثلا يقال عن الكرة الموجودة بين الشخص والصخرة إنها خلف الصخرة وليس أمامها).

يتأسس التصوران "أمام" و"خلف" جسديا، ويكون لهما معنى فقط مع الكائن الذي يملك أماما وخلفا. يمكننا تصور وجود كائن ليس له هذين الاتجاهين، في هذه الحالة لا يمكن الحديث عن مثل هذين التصورين، فأجسادنا تحدد مجموعة من التوجهات الفضائية الأساسية التي نستخدمها ليس فقط لإعطاء اتجاه لأنفسنا، ولكن لتصور أو إدراك العلاقة بين شيء وآخر. هذه العلاقات الفضائية لا تعطى بصفة موضوعية في العالم الخارجي ولكننا نحن من يلبسها عليه من خلال ما نسقطه على أشيائه.

في ضوء ما تم عرضه للتو عن خطاطات الصورة، نعود الآن إلى مبدأ الثبات الذي خصصنا له هذا الحيز لنفصل فيه قليلا، انطلاقا من مقترحات لايكوف[1] صاحب هذا المصطلح.

ما هو مبدأ الثبات إذن؟

افترض لايكوف هذا المبدأ بناء على ملاحظته عن المقولات والمقاييس الخطية والكمية التي رأى أن خطاطات الصورة التي تخصص المجالات المصدر (الأوعية، والمسارات) والتي يتم زبطها على المجالات الهدف (المقولات، والمقاييس الخطية) تحافظ فيها الترابطات الاستعارية على الطوبولوجيا المعرفية (أي بنية خطاطة

(1) Cf. George Lakoff: **The Contemporary Theory of Metaphor.** p 215

الصورة) للمجال المصدر، بطريقة تتناسب مع البنية الملازمة للمجال الهدف.

فالمقولات الكلاسيكية (أي التي حددتها التنظيرات الكلاسيكية) مثلا يتم تصورها استعاريا من خلال مناطق محدودة، أي **كأوعية**. وبالتالي، يمكن لشيء ما أن يكون داخل المقولة أو خارجها، ويمكننا وضعه في مقولة أخرى أو إزالته منها، وما إلى ذلك، فمنطق المقولات الكلاسيكية يرث منطق الأوعية: إذا كان 'أ' في الوعاء 'ب' والوعاء 'ب' في الوعاء 'ج' ، فإن 'أ' يكون في الوعاء 'ج'، ويكون هذا صحيحا ليس بموجب أي استنتاج منطقي، ولكن بموجب الخصائص الطوبولوجية للأوعية. فتحت استعارة **المقولات الكلاسيكية أوعية**، ترث المقولات خصائصها المنطقية من الخصائص المنطقية للأوعية، ما يجعل إحدى الخصائص المنطقية الأساسية للمقولات الكلاسيكية هو تقيدها بالقياس المنطقي الكلاسيكي[1]... ومادام هناك احتفاظ بالخصائص الطوبولوجية للأوعية في عملية الربط، فهذه النتيجة إذن سوف تكون صحيحة. بعبارة أخرى، هناك تعميم يحصل هنا، فلغة الأوعية تطبق على المقولات الكلاسيكية، ومنطق الأوعية يكون صحيحا بخصوص المقولات الكلاسيكية. فالربط الاستعاري الأحادي ينبغي أن يخصص كلا من التعميمات اللغوية والمنطقية في آن واحد. ويمكن

(1) المثال عن القياس المنطقي الكلاسيكي الذي يمثل به لايكوف هنا هو: سقراط رجل. كل رجل ميت. إذن سقراط ميت.

القيام بذلك شريطة الاحتفاظ بالخصائص الطوبولوجية للأوعية في عملية الربط. وبهذا لا يكون ارتباط العلاقتين اللغوية والاستنتاجية بين الأوعية والمقولات الكلاسيكية حالة معزولة.

الشيء نفسه يمكن ملاحظته مع المقاييس الخطية والكمية، فتصور الكميات ينطوي على استعارتين على الأقل: الأولى هي الاستعارة المعروفة: **الأكثر فوق- الأقل تحت**، كما يتبين من عدد لا يحصى من التعابير مثل: ارتفعت الأسعار؛ ارتفعت الأرصدة؛ انهار السوق، وهلم جرا. والثانية: هي استعارة **المقاييس الخطية مسارات**[1]، كما يمكن ملاحظته في تعابير مثل: إنه يفوقه كثيرا بذكائه؛ لقد تجاوزه بدهائه وتركه خلفه...الخ، هنا تربط الاستعارة نقطة انطلاق المسار بالجزء السفلي من المقياس وتربط المسافة المجتازة على الكمية بصفة عامة. مرة أخرى، نجد هنا تعميما لغويا واستنتاجيا، بشرط أن تحافظ الاستعارات في العموم على الطوبولوجيا المعرفية (أي على بنية خطاطة الصورة) للمجال المصدر.

انطلاقا من هذين المثالين افترض لايكوف أن عمل مبدأ الثبات، بالنسبة لخطاطات الأوعية، هو ضمان أن ما هو داخلي سوف يتم ربطه بما هو داخلي، وما هو خارجي يربط بما هو

(1) نلاحظ هذا في مقاييس الحرارة مثلا، وفي رسم المنحنيات البيانية المؤشرة على صعود الأرباح أو هبوطها، إذ يمثل لصعودها (أي زيادة كميتها) بخط صاعد والعكس بالنسبة لهبوطها (استعارة الأكثر فوق، والأقل تحت). هنا يتصور الصعود والهبوط كمسار خطي.

خارجي، والحدود تربط بالحدود. وبالنسبة لخطاطات المسار، المنطلقات سوف يتم ربطها بالمنطلقات، والأهداف تربط بالأهداف والمسارات بالمسارات؛ وهكذا.

يذكر لايكوف هنا بأنه لفهم مبدأ الثبات بدقة، من المهم ألا يتم التفكير في الترابطات على أنها عمليات خوارزمية تبدأ من بنية المجال المصدر وتنتهي عند بنية المجال الهدف، فمثل هذا الفهم الخاطئ للترابطات من شأنه أن يؤدي إلى فهم خاطئ لمبدأ الثبات، بمعنى أن يتم أولا اختيار بنية الصورة الخطاطية للمجال المصدر ككل، ثم يتم نسخها على المجال الهدف دون قيد. بدلا من ذلك ينبغي النظر في مبدأ الثبات بأخذ القيود التي يفرضها على التوافقات الثابتة بعين الاعتبار: بالتمعن في التوافقات القائمة سوف نرى أن مبدأ الثبات يقيد ما يلي: ما داخل المجال المصدر يوافق ما داخل المجال الهدف؛ وما خارج المجال المصدر يوافق ما خارج المجال الهدف؛ وما إلى ذلك. نتيجة لذلك لا يمكن انتهاك بنية الصورة الخطاطية للمجال الهدف: إذ لا يمكن العثور على حالات يتم فيها ربط ما داخل المجال المصدر بما هو خارج المجال الهدف، أو العكس.

النتيجة اللازمة لمبدأ الثبات أن بنية خطاطة الصورة الملازمة للمجال الهدف لا يمكن أن تنتهك، وأن بنية المجال الهدف الملازمة له تحد من الترابطات الممكنة بصفة آلية. يفسر هذا المبدأ العام عددا كبيرا من القيود الخفية السابقة بشأن الترابطات الاستعارية. على

سبيل المثال، إنه يفسر لماذا يمكن لشخص أن يعطي معلومات لشخص ما دون أن 'يخسرها' (في قولنا: أعطاه معلومات قيمة، مثلا). يحصل هذا فقط نتيجة لحقيقة أن بنية المجال الهدف الملازمة له تحد أو تقيد تلقائيا ما يمكن ربطه. إننا نرى مثلا، أن جزءا من معارفنا الملازمة عن **الأعمال** (actions) أنه لا يستمر وجودها بعد أن تقع، بينما في استعارة **الأعمال تحويلات**، أين يتم تصور الأعمال على أنها أشياء تحول (أو تنقل) من منفذ إلى متلقي[1]، مثلما يعطي أحدهم 'لكمة' لشخص ما، فما نعلمه هنا (كجزء من معارف المجال الهدف) أن هذا العمل لا يكون له وجود بعد أن يقع. إن المتلقي يمتلك في المجال المصدر، أين يوجد **العطاء**، الشيء المعطى له بعد حدوث العطاء (أعطاها وردة مثلا). ولكن هذا **التملك** لا يمكن ربطه إلى المجال الهدف بما أن البنية الملازمة للمجال الهدف تقول إنه لا يوجد شيء من هذا القبيل بعد أن ينتهي العمل (لا يمكن القول إنه 'امتلك' اللكمة لأن الشخص 'أعطاه' إياها على منوال قولنا أنها امتلكت الوردة بعد أن أعطاها إياها)، إن المجال الهدف يتجاوز أو يتغلب على المجال المصدر ولا ينصاع له في مبدأ الثبات، وهذا ما يفسر لماذا يمكن أن يعطى الشخص لكمة دون أن يمتلكها بعد ذلك[2].

---

(1) أي الذي يقع عليه الفعل أو يتلقاه، ويترجم بالضحية أيضا كمقابل للفظة (patient).

(2) أو أي شيء آخر غير معاين بصفة واضحة وملموسة مثل أعطاه نصيحة، وقدم له التهاني، وأتقدم إليكم بشكري، ومنحه ثقته...الخ.

ترتبط هذه التحاليل الجديدة التي يعرضها لايكوف بمراجعة طبيعة الترابطات الاستعارية بين المجالات التي كان ينظر إليها في الأعمال الأولى على أنها إسقاطات (بناء على استعارة الإسقاط الضوئي)، لكن الحاصل أن هذه النظرة تبين قصورها فيما بعد بملاحظة بروز مشكلة هامة تمثلت في كون استعارة الإسقاط تقتضي أن يتم إسقاط المجال المصدر كله على المجال الهدف، لكن ما كان ملاحظا أن بعض الأجزاء من المجال المصدر لا يتم ربطها (مثلا في استعارة النظريات بنايات، لا يتم مثلا ربط الطلاء، والأسلاك الكهربائية،...الخ) بمعنى أن الترابطات تميل إلى أن تكون جزئية وليست كلية، غير أن استعارة الإسقاط لا تسمح بمثل هذا الربط الجزئي. إضافة إلى ذلك لوحظ وجود نسقية بخصوص بعض مظاهر الترابطات الجزئية، حيث لا يتم ربط عنصر من المجال المصدر إذا كان من شأنه أن يتعارض مع البنية الداخلية للمجال الهدف. في هذه الحالة يتم تجاوز أو تخطي عملية ربطه. وهكذا تمت إضافة هذه الفكرة لاستعارة الإسقاط وهي: "لا يتم ربط عنصر إذا كان من شأنه أن يحدث تعارضا في المجال الهدف"[1].

تتخصص الاستنتاجات الفضائية وفق وجهة نظر لايكوف بواسطة البنية الطوبولوجية لخطاطات الصورة، نلاحظ ذلك في مثل حالات المقولات أوعية، والمقاييس الخطية مسارات أين يحافظ

---

(1) Cf. George Lakoff and Mark Johnsen (2003): **Metaphors we live by**. p254-255

على بنية خطاطة الصورة من خلال الاستعارة وأين تعد الاستنتاجات المجردة بخصوص المقولات والمقاييس الخطية إصدارات معدلة استعارية (metaphorical versions) للاستنتاجات الفضائية بخصوص الأوعية والمسارات. يثير مبدأ الثبات بافتراضه أن بنية خطاطة الصورة يحافظ عليها دائما عن طريق الاستعارة إمكانية كون عدد كبير، إن لم يكن جل، الاستنتاجات المجردة هي في الواقع إصدارات معدلة استعارية من الاستنتاجات الفضائية الملازمة للبنية الطوبوغرافية لخطاطات الصورة.

من النتائج الهامة لمبدأ الثبات حسب لايكوف[1] أنه لا ينكر البنية الافتراضية المعقدة للربط الاستعاري التي افترضها هو وزميله جونسون في الاستعارات التي نحيا بها (1980) حيث قالا بإمكانية ربطها- أي البنية- بواسطة الاستعارة على مجال آخر، ولكن مبدأ الثبات يضع تلك الافتراضات تحت ضوء مختلف تماما. ذلك أن البنيات الافتراضية المعقدة تتضمن تصورات مثل الزمن، والحالات، والتغيرات، والأسباب، والأغراض، وقياسات الكمية، والمقولات، فإذا كان كل من هذه التصورات المجردة يتخصص استعاريا، فإن مبدأ الثبات يدعي أن ما سمي بنية افتراضية هو في الواقع بنية خطاطة الصورة.

(1) Cf. George Lakoff: The Contemporary Theory of Metaphor. p 216.

2 . 2 . 6 . تلخيص لأهم الاصطلاحات وتحديدات أخرى:

من أجل توضيح مختصر لأهم الاصطلاحات والتحديدات الشائعة ضمن نظرية الاستعارة التصورية، نقترح فيما يلي هذه اللائحة لأهم هذه التحديدات مما سبقت الإشارة إليه، وأخرى نرى أننا سنحتاج للتعامل بها في ما تبقى من هذا العمل، نقلا عن كوفيتش[1] كما يلي:

الاستعارة التصورية: عندما يُفهم مجال تصوري من خلال مجال تصوري آخر، تكون هنا استعارة تصورية. يتحقق هذا الفهم بملاحظة مجموعة من التوافقات أو الترابطات النسقية بين المجالين. ويمكن أن تعطى الاستعارة التصورية من خلال الصيغة ألف هو باء، أو ألف مثل باء، حيث يشير ألف وباء إلى مجالين تصورين مختلفين.

المجال التصوري: المجال التصوري هو تمثيلنا التصوري (conceptual representation)، أو معارفنا (knowledge) الخاصة بأي قسم منسجم من التجربة. كثيرا ما تسمى هذه التمثيلات "تصورات". والمعارف هذه تتضمن كلا من المعارف بالعناصر الأساسية التي تشكل مجالا ما، والمعارف التي تكون ثرية بالتفاصيل حول مجال ما، والتي غالبا ما تخدم الاقتضاءات الاستعارية.

---

(1) Cf. Zoltán kövecses: Metaphor, **a Practical Introduction**. pp 323-329.

المجال المصدر (Source domain): إننا نستخدم المجال المصدر، كمجال تصوري، لفهم المجال التصوري الآخر (المجال الهدف). تكون المجالات المصدر نمطيا أقل تجريدا أو أقل تعقيدا من المجالات الهدف. مثلا، في الاستعارة التصورية **الحياة سفر**، ينظر للمجال التصوري للسفر بصفة نمطية على أنه أقل تجريدا أو تعقيدا من المجال التصوري للحياة.

المجال الهدف (Target domain): إننا نحاول فهم المجال الهدف، كمجال تصوري، بمساعدة مجال تصوري آخر (المجال المصدر). تكون المجالات الهدف بصفة نمطية أكثر تجريدا وذاتية من المجالات المصدر. مثلا، في الاستعارة التصورية **الحياة سفر**، ينظر إلى المجال التصوري للحياة على أنه أكثر تجريدا وتعقيدا من المجال التصوري للسفر.

التوافقات: يعني فهم المجال الهدف من خلال المجال المصدر أن نأخذ بالاعتبار توافقات تصورية معينة بين عناصر المجال المصدر وعناصر المجال الهدف.

الاقتضاءات الاستعارية (Entailments, metaphorical): هي العناصر الاستعارية الناشئة عن المعارف الثرية التي يملكها الناس بخصوص عناصر المجالات المصدر. مثلا في استعارة **الغضب سائل حار في وعاء**، تكون لدينا معرفة سابقة حول سلوك السوائل الحارة في وعاء. عندما تُعزز هذه المعارف المجال الهدف انطلاقا من المجال المصدر، فإننا نحصل على عناصر استعارية.

الاقتضاء الاستعاري المحتمل (metaphorical Entailment potential): للمجالات المصدر مجموعة واسعة من الاقتضاءات المحتملة أو الكامنة التي يمكن توجيهها إلى اقتضاءات استعارية. تؤلف هذه الاقتضاءات المحتملة الاقتضاءات الاستعارية للمجالات المصدر في الاستعارات البنيوية.

عناصر (مظاهر المجالات) Elements (of aspects of domains): تتألف مظاهر المجالات من عناصر تصورية: كيانات وعلاقات بينها. وعلى هذه العناصر تتأسس الترابطات بين المجالات.

التجسد (Embodiment): ثمة عدة استخدامات مختلفة لهذا المفهوم من وجهة نظر معرفية، يتبنى كوفيتش هنا التحديد العام لغيبس (Gibbs) وفقا لما يتضمنه التجسد من التجارب الجسدية الذاتية للناس أثناء العمل والتي توفر قسما من التأسيس القاعدي للغة والفكر.

الأساس التجريبي للاستعارة: الاستعارات التصورية تؤسسها أو تحفزها التجربة البشرية. يتضمن الأساس التجريبي للاستعارة هذه الارتكازية على التجربة (groundedness-in-experience) فقط. فنحن نجرب بصفة خاصة الترابطية البينية (interconnectedness) لمجالين من التجربة، وهذا ما يسوغ لنا وصلا تصوريا بين المجالين. مثلا إذا ما كنا نجرب دائما الغضب بكونه مقترنا بحرارة الجسد، سنشعر بوجود مبرر لإنشاء واستعمال

الاستعارة التصورية **الغضب سائل حار في وعاء**. والتجارب التي تتأسس عليها الاستعارات التصورية يمكن أن تكون جسدية ولكن ليس هذا فقط، وإنما قد تكون إدراكية، ومعرفية، وبيولوجية، أو ثقافية أيضا. ويمكن للترابطية البينية بين مجالين من التجربة أن تكون من أنماط متعددة، تتضمن تعالقات في التجربة، وإدراك تشابهات بنيوية بين مجالين اثنين، وهلم جرا.

وظيفة الاستعارات التصورية: توفر الأنماط المختلفة من الاستعارة وظائف معرفية مختلفة. الأنماط الثلاثة الأساسية المعروفة هي: البنيوية، الأنطولوجية، والاتجاهية. (ينظر أنواع الاستعارات فيما سيأتي).

تسليط الضوء: في عملية تسليط الضوء على مظاهر متنوعة من المجال الهدف، يتم التركيز على بعض المظاهر عن طريق المجال المصدر.

الترابطات (mappings): تخصص الاستعارات التصورية بواسطة مجموعة من التوافقات التصورية بين عناصر المجال المصدر وعناصر المجال الهدف. هذه التوافقات يقال لها "ترابطات" بصفة تقنية.

التعابير اللغوية الاستعارية: تأتي الكلمات اللغوية والتعابير الاستعارية (مثل التعابير المسكوكة idioms) من اصطلاح المجال التصوري الذي يستخدم لفهم مجال تصوري آخر. مثلا، عندما نعبر عن كوننا في **مفترق الطرق** في حديثنا عن **الحياة**، فهذا التعبير

الاستعاري يأتي من مجال **السفر**. وفي العادة نجد تعابير استعارية عديدة تعكس استعارة تصورية مفردة، مثل استعارة: **الحياة سفر**.

تحققات الاستعارات التصورية: يمكن للاستعارات التصورية أن تصبح متجلية بطرق عديدة. إحدى هذه الطرق الأساسية هي من خلال اللغة. ومع ذلك يمكنها التجلي أيضا بطرق غير لغوية (سبقت الإشارة إلى أمثلة عنها).

هذه بصفة موجزة بعض التحديدات لأهم المصطلحات المتعلقة بنظرية الاستعارة التصورية (وليست كلها) ونود قبل الإنتقال إلى الحديث عن أنواع الاستعارات التصورية التي أشرنا إلى بعض منها سابقا، أن نقف قليلا مع ما استجد في هذه التحديدات والمصطلحات ضمن العمل الدؤوب على تطوير النظرية وتتميمها كما آلت إليه في السنوات الأخيرة.

3. مراجعات وتطويرات في نظرية الاستعارة التصورية:

نحاول فيما يلي تتبع أهم الإضافات والتطويرات والمراجعات التي لحقت بنظرية الاستعارة كما اقترحها منظروها على مدى السنوات التي تلت صدور كتاب "الاستعارات التي نحيا بها"، وبخاصة عند لايكوف الذي نشر في بدايات التسعينيات (1993) عملا مستقلا ضمنه نظريته المعاصرة للاستعارة عنونه بـ "النظرية المعاصرة للاستعارة"، وفيه عرض لجملة من التنظيرات الجديدة شملت مما شملت الأفكار التالية:

3 . 1 . استعارة البنية الحدث[1] :

يقول لايكوف أنه وجد أن المظاهر المختلفة للبنية الحدث، بما فيها من تصورات مثل الحالات، والتغيرات، والسيرورات، والأفعال، والأسباب، والأغراض، والوسائل، تتخصص معرفيا عن طريق الاستعارة من خلال الفضاء، والحركة، والقوة. ووجد أن الربط العام ينحو النحو التالي:

تتضمن استعارة البنية الحدث (The event structure metaphor) ما يلي:

- الحالات هي مواقع (مناطق محدودة في الفضاء).
- التغيرات هي حركات (داخل أو خارج المناطق المحدودة).
- الأسباب هي قوى.
- الأفعال هي حركات ذاتية الدفع.
- الأغراض هي غايات.
- الوسائل هي مسارات (إلى الغايات).
- الصعوبات هي عقبات تعترض الحركة (نحو الغايات).
- التقدم المتوقع هو برنامج سفر؛ والبرنامج هو مسافر فعلي، يحاول الوصول إلى غايات مرتبة سلفا في أزمنة مرتبة سلفا.

---

(1) Cf. George Lakoff: **The Contemporary Theory of Metaphor**. pp 222-225

- الأحداث الظاهرة هي أشياء متحركة.
- الأنشطة الهادفة طويلة المدى هي أسفار.

يعمم هذا الربط على طائفة واسعة جدا من التعابير عن مظهر أو أكثر من مظاهر البنية الحدث. نأخذ على سبيل المثال **الحالات والتغيرات**، فنحن نتكلم عما يجري داخل أو خارج الحالة، وعما يتجه إليها أو منها، أو ما يدخل إليها ويخرج منها، وما يصلها أو ما ينبثق عنها. هذه الاستعارة ثرية ومعقدة وأجزاؤها تتفاعل بطرق معقدة. للحصول على فكرة عن كيفية عملها، نتأمل في الترابط الفرعي التالي: **الصعوبات هي معيقات للحركة.**

في هذه الاستعارة، العمل الهادف هو حركة ذاتية الدفع تجاه غاية ما. والصعوبة هي شيء يعيق التحرك نحو هذه الغاية. وتأتي الصعوبات الاستعارية من هذا النوع على خمسة أنواع هي: الانسدادات؛ مظاهر التضاريس؛ الأعباء؛ قوى مضادة؛ فقدان مصدر للطاقة. هذه أمثلة لغوية عن كل واحدة منها :

استعارة الصعوبات عوائق للحركة	أمثلة لغوية
الانسدادات	تغلب على طلاقه/ إنه يحاول الالتفاف على اللوائح/ وضعه بين المطرقة والسندان/ وجد نفسه محشورا في زاوية ضيقة.
مظاهر التضاريس	وجدنا أنفسنا نسبح في مستنقع/ تهنا في غابة من اللوائح.

استعارة الصعوبات عوائق للحركة	أمثلة لغوية
الأعباء	إنه يحمل عبئا ثقيلا/ إنه مثقل بالكثير من الواجبات/ دعني أحمل عنك قليلا/ تراكمت عليه الديون.
قوى مضادة	إنه يدفعني لأستقيل/ إنها تفرمله/ تقف حاجزا أمام طموحه
عدم وجود مصدر للطاقة	فقدت كل طاقتي عن مواصلة العمل.

من أجل الوقوف بدقة على مدى ثراء استعارة البنية الحدث هذه، نتأمل في بعض اقتضاءاتها الأساسية:

- الطريقة في العمل هي طريقة في الحركة.
- الوسائل المختلفة لتحقيق الغرض هي مسارات مختلفة.
- القوى المؤثرة على العمل هي قوى مؤثرة على الحركة.
- عدم القدرة على العمل هو عدم القدرة على التحرك.
- التقدم المحرز هو المسافة المقطوعة، أو هو البعد عن الهدف.

سننظر في أمثلة عن كل هذه الحالات واحدة تلو أخرى، بما في ذلك عدد من الحالات الخاصة، من خلال الجدول التالي:

<table dir="rtl">
<tr><th>التعيينات استعارة البنية الحدث</th><th colspan="2">أمثلة لغوية</th></tr>
<tr><td>المساعدة على العمل هي مساعدة على الحركة</td><td colspan="2">لن يعترض طريقنا شيء ما دمنا معا</td></tr>
<tr><td>الوسائل المختلفة لتحقيق نتيجة هي مسار مختلف</td><td colspan="2">قم بذلك بهذه الطريقة/ افعل ذلك بوسيلة أخرى/ افعل ذلك بأية طريقة أخرى ممكنة.</td></tr>
<tr><td>الطريقة في العمل هي طريقة في الحركة</td><td colspan="2">إننا نشق عملنا بصعوبة / إنه يدور في حلقة مفرغة</td></tr>
<tr><td>العمل الحذر هو حركة حذرة</td><td colspan="2">كأنه يمشي على البيض.</td></tr>
<tr><td>سرعة العمل هي سرعة في الحركة</td><td colspan="2">طار به عمله/ إنه ينطلق للأعلى بنجاح/ التحضيرات تتم على قدم وساق</td></tr>
<tr><td rowspan="9">العمل الهادف هو حركة ذاتية الدفع إلى غاية</td><th>حالات خاصة</th><th>أمثلة لغوية</th></tr>
<tr><td>أحداث التقدم هي حركة إلى الأمام</td><td>إننا نتحرك قدما/ دعونا نمضي بسلام/ دعونا نواصل سيرنا قدما/ قطعنا شوطا لابأس به</td></tr>
<tr><td>مقدار التقدم هو المسافة المقطوعة</td><td>قطعنا شوطا طويلا</td></tr>
<tr><td>التراجع عن التقدم هو حركة إلى الخلف</td><td>نحن نتراجع إلى الخلف/ أنت في تقهقر مستمر. اعمل لتتقدم</td></tr>
<tr><td>باعتبار التقدم هو برنامج سفر ، البرنامج هو السفر الفعلي الذي يحاول الوصول إلى غايات مسبقة الترتيب في أزمنة مسبقة الترتيب</td><td>نحن وراء البرنامج لهذا المشروع. /حصلنا على بدء العمل في المشروع. /أنا أحاول اللحاق بالركب. /وأخيرا وصلت إلى الأمام قليلا.</td></tr>
<tr><td>بدء العمل هو بدء خروج على المسار</td><td>بدأنا للتو. /اتخذنا الخطوة الأولى.</td></tr>
<tr><td>النجاح وصول إلى نهاية المسار</td><td>إننا وصلنا إلى نهاية المطاف. /إننا نرى ضوءا في نهاية النفق</td></tr>
<tr><td>عدم وجود الغرض عدم وجود الغاية</td><td>إنه فقط يسبح في حلقة. /لقد انجرف بلا هدف. /إنه يحتاج لبعض التوجيه</td></tr>
<tr><td>انعدام التقدم انعدام الحركة</td><td>نحن في حالة جمود. /نحن لا نحصل على أي مكان. /نحن لا نذهب إلى أي مكان</td></tr>
<tr><td rowspan="3">الأحداث الظاهرة هي أشياء كبيرة تتحرك</td><td>الحالة الخاصة 1: الأشياء (أو الأمور)</td><td>كيف تجري الأمور؟/ الأمور تطاوعني/الأمور تسير ضدي هذه الأيام/ تنعطف الأمور نحو الأسوأ</td></tr>
<tr><td>الحالة الخاصة 2: السوائل</td><td>يجب أن نسبح مع التيار/ أنا أحاول فقط أن أبقي رأسي فوق الماء/ جرفه تيار الأحداث/ ..</td></tr>
<tr><td>الحالة الخاصة 3: الخيول</td><td>حاول الحفاظ على سيطرة محكمة على الوضع/ ابق مسيطرا على الوضع/لا تجعل زمام الأمور تنفلت من يديك</td></tr>
</table>

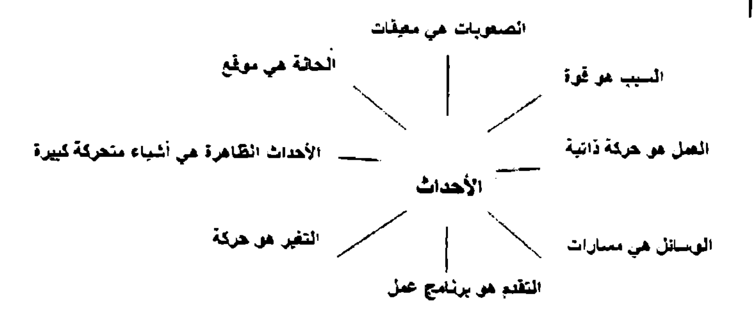
توفر هذه الأمثلة الساحقة دعما تجريبيا لوجود استعارة البنية الحدث. ووجود هذه الاستعارة يدل على أن التصورات المجردة الأكثر شيوعا مثل الزمن، والحالة، والتغير، والسببية، والوسيلة، يتم تصورها عن طريق الاستعارة. لأن مثل هذه التصورات هي من صميم أنسقتنا التصورية[1]، ذلك أن استعارة البنية الحدث لها مظاهر متعددة من الأحداث كشأن مجالها الهدف. تتضمن مظاهر الأحداث هذه الحالات التي تتغير، والأسباب التي تنتج التغيرات، والتغيرات بحد ذاتها، والعمل أو الفعل، وغرض العمل، وهلم جرا. هذه المظاهر المتعددة تفهم استعاريا من خلال أمثلة من التصورات الفيزيائية/ المادية مثل: الموقع، القوة، والحركة. الشكل الموالي يظهر هذا النسق تخطيطيا كما يلي[2]:

---

(1) ينبغي التنبيه هنا إلى أن الاستعارات التصورية لا تعمل بمفردها ولكنها تتضافر من نماذج ذهنية أخرى وتعمل معا لإنشاء التصورات المجردة. هذه النماذج هي: الاستعارات التصورية، الكنايات التصورية، التصورات ذات الصلة، والنماذج المعرفية/ الثقافية. لتفصيل كيفية عمل كل هذه النماذج معا ينظر الفصل الثامن من كوفيتش:

- Zoltán kövecses: Metaphor, A Practical Introduction. pp 107-120.

(2) Cf. Zoltán kövecses. Ibid, p 163



إن حقيقة كون هذه التصورات تتصور استعاريا يبين أن الترابطات الاستعارية لا تحدث بصفة معزولة عن بعضها البعض، بل إنها تنتظم أحيانا في بنيات هرمية -أو تراتبية- حيث ترث الترابطات "الدنيا" في الهرمية بنيات الترابطات "العليا". من هنا ننتقل إلى مفهوم آخر اقترحه لايكوف هو:

3 . 2 . هرميات الإرث:

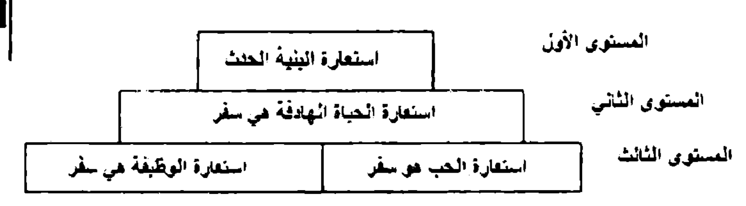
يمكن توضيح هرميات الإرث (Inheritance hierarchies) من خلال المثال التالي عن هرمية استعارة البنية الحدث في مستويات ثلاث:

المستوى 1 : استعارة: **البنية الحدث.**

المستوى 2 : استعارة: **الحياة الهادفة سفر.**

المستوى 3 : استعارتا: الحب سفر؛ الوظيفة سفر.

يمكن تمثيل هذه الهرمية بهذا الشكل:



في ثقافتنا، يفترض أن تكون حياتنا هادفة، أي أننا نتوقع أن يكون لنا أهداف فيها. في استعارة البنية الحدث تكون الأغراض غايات، والعمل الهادف هو حركة ذاتية الدفع نحو الغاية. والحياة الهادفة هي المدى البعيد لنشاط هادف، وبالتالي هي سفر. أهداف الحياة هي غايات السفر، والأخذ في عمل من الأعمال في الحياة هو حركة ذاتية الدفع، ومجمل أعمال الشخص تشكل مسارا واحدا يتحرك على مداه، واختيار وسيلة لتحقيق الهدف هو اختيار المسار إلى الغاية. أما الصعوبات في الحياة فهي العقبات التي تعترض الحركة. والأحداث الظاهرة هي أشياء كبيرة متحركة يمكنها أن تعرقل الحركة نحو أهداف حياة أحدنا. وتوقع المرء أن يتقدم في الحياة هو تخطيط من خلال جدول الحياة الزمني، والذي يتصور كمسافر فعلي من المتوقع أن يرافقه أحد ما. باختصار، إن استعارة **الحياة الهادفة سفر** تستفيد من استخدام جميع بنية استعارة البنية الحدث، بما أن الأحداث في الحياة تتصور على أنها هادفة فهي حالات فرعية للأحداث بصفة عامة.

أحداث الحياة الهامة أيضا هي حالات خاصة للأحداث، بما فيها الأحداث التي تقع في علاقة الحب التي هي حالات خاصة لأحداث الحياة. وهكذا ترث استعارة الحب سفر بنية استعارة الحياة

سفر. ما هو خاص في استعارة الحب سفر، وجود متحابين اثنين اللذين يعتبران مسافرين، وتعد علاقة الحب مركبتهما، وما تبقى من الربط هو نتيجة لإرث استعارة **الحياة سفر**، لأن المتحابين هما في نفس المركبة، ولديهما غايات مشتركة التي هي أهداف الحياة المشتركة، وصعوبات العلاقة هي العوائق التي تعترض السفر. لاحظ الجدول:

استعارة البنية الحدث	استعارة الحياة الهادفة سفر	استعارة الحب سفر
المجال الهدف: الأحداث، والمجال المصدر: الفضاء. الحالات مواقع. التغيرات تحركات. الأسباب قوى. الأعمال تحركات ذاتية الدفع. الأغراض غايات. الوسائل مسارات إلى الغايات. الصعوبات عقبات تعترض الحركة. التقدم المتوقع برنامج سفر والبرنامج مسافر فعلي يحاول أن يصل إلى غايات مرتبة سلفا في أزمنة مرتبة سلفا. الأحداث البارزة أشياء كبيرة تتحرك.	المجال الهدف: الحياة، والمجال المصدر: الفضاء. الشخص الذي يتقدم مسافر. ترث هذه الاستعارة من استعارة البنية الحدث ما يلي: الأحداث: أحداث الحياة المهمة. الأغراض: أهداف الحياة. وبالتالي تكون لدينا تعابير مثل: حصل على بداية موفقة في الحياة؛ إنه دون غاية في حياته؛ إلى أين تريد أن تصل في حياتك؛ يبدو أنه سيذهب بعيدا في الحياة.... الخ	المجال الهدف: الحب، والمجال المصدر: الفضاء. المتحابان مسافران. علاقة الحب مركبة. ....الخ. ترث هذه الاستعارة استعارة الحياة سفر.

الوظيفة مظهر آخر من مظاهر الحياة التي يمكن تصورها على أنها سفر. هنا، بسبب أن **المنزلة فوق**، يتم تصور الوظيفة في الواقع

على أنها رحلة صعود، وأهداف الوظيفة هي حالات خاصة من أهداف الحياة:

استعارة الوظيفة سفر	تعابير لغوية
المجال الهدف: الوظيفة، والمجال المصدر: الفضاء.	أنشب أظافره في طريقه إلى القمة.
الموظف مسافر.	إنه في القمة الآن.
المنزلة أو المركز فوق.	تسلق سلم النجاح أخيرا.
ترث هذه الاستعارة استعارة الحياة سفر فيما يلي:	إنها ترتقي في المناصب بسرعة.
أهداف الحياة= أهداف الحياة.	...الخ.
الغاية= أن تذهب بعيدا وعاليا وأسرع قدر الإمكان.	

تمثل هرمية الإرث التعميمات التالية:

التعميم الأول: هناك تعميمات حول مداخل معجمية. لنأخذ مثلا كلمة "مفترق الطرق"، فمعناها المركزي نجده في مجال الفضاء ولكن يمكن استعمالها بالمعنى الاستعاري للحديث عن أي نشاط موسع، عن حياة أحد منا، أو عن علاقة حب، أو عن الوظيفة (أنا في مفترق الطرق في هذا البحث/ أنا في مفترق الطرق في الحياة/ نحن في مفترق الطرق في علاقتها/ أنا في مفترق الطرق في وظيفتي/ في هذا المشروع...الخ).

تسمح الهرمية بإثبات هذا المبدأ الرئيسي: يتم توسيع عبارة "مفترق الطرق" معجميا عبر الاستعارة الفرعية لاستعارة البنية

الحدث: **الأعمال الهادفة بعيدة المدى هي أسفار**. وجميع استخداماتها الأخرى يتم إنشاؤها تلقائيا عبر هرمية الإرث. وبالتالي، لا يحتاج إلى معاني معزولة لكل مستوى من مستويات الهرمية.

التعميم الثاني: استنتاجي بطابعه، وعليه لا يظهر فهم "الصعوبات كعقبات تحول دون السفر" فقط في الأحداث بصفة عامة، ولكن أيضا في الحياة الهادفة، وفي علاقة الحب، وفي الوظيفة. ما تضمنه هرمية الإرث هو فهم الصعوبات في الحياة، وفي الحب، وفي الوظيفة كنتيجة لمثل هذا الفهم للصعوبات في الأحداث بصفة عامة.

يسمح لنا التدرج الهرمي أيضا بتخصيص المداخل المعجمية التي تكون معانيها أكثر تقييدا: وعليه يكون "تسلق سلم النجاح" محيلا إلى الوظائف فقط، وليس إلى علاقات الحب أو الحياة بصفة عامة. مثل هذا التنظيم الهرمي هو سمة بارزة جدا لنسق الاستعارة في اللغة.

أخيرًا وارتباطا بالجانب الثقافي، يصرح لايكوف أنه لم يعثر حتى وقته على أن الاستعارات التي في أعلى الهرم تنأى عن أن تكون أكثر انتشارا من تلك الترابطات التي في المستويات الدنيا. وبالتالي فإن استعارة البنية الحدث واسعة جدا (وربما تكون كلية)، في حين أن استعارات الحياة، والحب، والوظائف هي مقيدة بدرجة كبيرة من الناحية الثقافية.

هذه على العموم أهم الأفكار الجديدة التي اقترحتها نظرية الاستعارة على فترات متواصلة منذ نشر لايكوف وجونسون كتابهما "الاستعارات التي نحيا بها"، وهي كما رأينا أفكار تختلف جذريا عما كان مألوفا من الأفكار التي طرحتها الدراسات السابقة حول الاستعارة والمجاز بصفة عامة. لذلك لا نعجب أن يخصص منظرو الاستعارة التصورية جزءا غير يسير من أعمالهم لتفنيد هذه المزاعم التي أربكت البحث في الاستعارة وحصرته في حدود ضيقة بكثير لم تلفت نظر المطلع والمهتم إلى الأبعاد المعرفية لها ودورها المركزي في إعطاء معنى أولي وليس جمالي أو تزييني لما يحيط بنا.

4. أنواع الاستعارات التصورية:

نحاول من خلال هذا العنصر التفصيل أكثر في توضيح مفهوم الاستعارة التصورية بالتطرق إلى أنواعها المختلفة كما اقترحها منظروها. هذا وقد تبينا من خلال ما تم عرضه سابقا أن هناك أنواعا مختلفة من الاستعارات التصورية وأنه بالإمكان تصنيفها بطرق متعددة. نقترح هنا الطريقة التي اتبعها كوفيتش[1] في تصنيفه لها وفقا لأربعة معايير، هي: تواضعية الاستعارة[2]

(1) Cf. Zoltán kövecses: **Metaphor, A Practical Introduction**. pp 33-49

(2) يقول كوفيتش أن التطبيق النموذجي لهذا المصطلح في هذه المجالات مرادف لمصطلح "اعتباطي"، وخاصة كما استخدم في شرح طبيعة العلامات اللغوية (ارتباط "الصورة" و"المعنى" بطريقة اعتباطية). Cf. zoltán kövecses, ibid. p34

(conventionality)؛ وظيفتها (function)؛ طبيعتها (nature)؛ ومستوى عموميتها (level of generality).

4. 1. تواضعية الاستعارة:

الطريقة الأساسية التي يمكن بها تصنيف الاستعارات هي درجة التواضعية. يمكننا هنا أن نتساءل عن الاستقرار السطحي أو العميق لاستعارة ما في الاستخدام اليومي للناس العاديين في أغراضهم اليومية. أي إن عبارة "تواضعية" المستخدمة هنا تعني الاستقرار الأفضل. وبالتالي يمكن الحديث عن استعارة بأنها الأعلى وضعية، أي أنها مستقرة وترتكز بشكل جيد في استعمال لغوي جماعي. وبما أنه توجد استعارات تصورية وما يوافقها من استعارات لغوية متجلية عنها فإن مسألة التواضعية تعني كلتيهما.

وهذه بعض الأمثلة عن استعارات عالية التواضعية وما يقابلها من تجليات لغوية:

الجدال حرب: لقد *دافعت* عن حجتي.

الحب سفر: إننا نقترب من أن يمضي كل منا في حال *سبيله*.

النظريات بنايات: أتممنا *بناء* نظرية جديدة.

الأفكار غذاء: لا أستطيع *هضم* كل هذه الحقائق.

التنظيم الاجتماعي نباتات: المؤسسة *تنمو* بسرعة.

الحياة سفر: *انطلق* في حياته لا يلوي على شيء.

التعابير الاستعارية التي تقدم إيضاحات لهذه الاستعارات التصورية تبدو عالية التواضعية، بسبب استعمالها المبتذل والمتكرر، رغم أن أغلب المتكلمين لا يلاحظون ذلك بسبب الاعتقاد أنها الطريقة العادية والطبيعية التي يتحدثون بها عن مثل هذه المواضيع.

الاستعارات التصورية الوضعية إذن تتجذر بعمق في الطريقة التي نفكر أو نفهم بها المجال المجرد، بينما التعابير اللغوية الاستعارية الوضعية هي طرق أكثر سطحية وابتذالا في الحديث عن المجالات المجردة. ومن ثم، يمكن لكل من الاستعارات التصورية واللغوية أن تكون أقل أو أكثر وضعية.

تمثل الاستعارات عالية الوضعية إحدى نهايات ما يمكن تسميته بمقياس التواضعية (scale of conventionality)، أين نجد في الجهة المقابلة لنهاية هذا المقياس الاستعارات عالية اللاوضعية (unconventional) أو الاستعارات الجديدة التي تتحقق عنها تعابير لغوية غير مألوفة الاستعمال.

يرى كوفيتش أن التعابير اللغوية التي تحقق الاستعارات التصورية من الصعب أن تجد استعارات تصورية غير وضعية، مثال ذلك تصورنا لمفهوم الحب الذي نتصوره أو نفهمه استعاريا من خلال طرق عديدة (الحب سفر، نار، اتحاد جسدي، جنون، شراكة، قوة فيزيائية، قوة طبيعية، مرض، نشوة، حرب، لعبة...الخ). كل هذه الطرق هي طرق عالية الوضعية في تصور الحب في كثير من

الثقافات، وبرغم ذلك عندما تخرج التجارب عن مجال هذه الآليات أو متها لم يستطع الناس إعطاء معنى لها بطريقة منسجمة، فإنهم في كثير من الأحيان قد يوظفون مجالات مصدر أقل وضعية، من ذلك مثلا ما أورده لايكوف وجونسون عن الاستعارة التصورية غير الوضعية: **الحب عمل فني مشترك**[1]. ومن ذلك أيضا استعارة: **الحياة مرآة**، كما تتجلى في هذا القول المبدع الذي ينقله كوفيتش: "الحياة مرآة، إذا ابتسمت، ابتسمت في وجهك، وإذا عبست عبست في وجهك". فهذه الاستعارة التصورية ليست وضعية، بل هو استعمال لاستعارة مبدعة غير وضعية.

4 . 2 . الوظيفة المعرفية للاستعارة:

يرتبط التساؤل عن وظيفة الاستعارة في تفكيرنا العادي حول العالم ونظرتنا إليه بالتساؤل عن الوظيفة المعرفية لها. من أجل عرض أكثر وضوحا، يمكن للاستعارات التصورية أن تصنف وفقا للوظائف المعرفية التي تنجزها. على هذا الأساس تم التمييز بين ثلاثة أنواع رئيسية من الاستعارات التصورية: اتجاهية، وبنيوية، وأنطولوجية.

هذه الأنواع الثلاثة كثيرا ما تتوافق في حالات خاصة. وفيما يلي شرح مختصر لها:

---

(1) ينظر: جورج لايكوف ومارك جونسن: **الاستعارات التي نحيا بها**، ص 145 وما بعدها.

4 . 2 . 1 . الاستعارات الاتجاهية:

يشتق اسم "استعارات اتجاهية" كما أسلفنا ذكره من حقيقة أن أكثر الاستعارات التي تؤدي هذه الوظيفة تؤديها مع اتجاهات فضائية بشرية أساسية، مثل: فوق- تحت، مركز-هامش، أمام، خلف... الخ. يوفر هذا النوع حسب كوفيتش بنيات تصورية للتصورات الهدف أقل من الاستعارات الأنطولوجية، ويتمثل عملها المعرفي في صنع مجموعة من التصورات الهدف منسجمة في نسقنا التصوري. وحسبه قد يكون أكثر ملاءمة لو سميت "استعارة الانسجام"، الذي نعني به سهولة إدراك تصورات هدف معينة بطريقة متسقة.

4 . 2 . 2 . الاستعارات البنيوية:

مفادها أن يبنين تصور ما استعاريا بواسطة تصور آخر، مثل استعارة **الجدال حرب**. في هذا النوع من الاستعارة، يوفر المجال المصدر بنية معرفية ثرية نسبيا للمجال الهدف. أي أن الوظيفة المعرفية لهذه الاستعارات تخول للمتكلمين فهم الهدف "أ" بواسطة بنية المصدر "ب"، بتموضع هذا الفهم بواسطة ترابطات تصورية بين عناصر من "أ" وعناصر من "ب". مثلا: يبنين تصورالزمن وفقا للحركة والفضاء، وبإعطاء استعارة **الزمن حركة**، نفهم الزمن هكذا:

- من خلال بعض العناصر الأساسية: أشياء فيزيائية [مادية]، موقعها، وحركتها.

- وجود شرط خلفي يطبق لفهم الزمن بهذه الطريقة: أن يوجد الزمن الحاضر في نفس موقع المراقب.

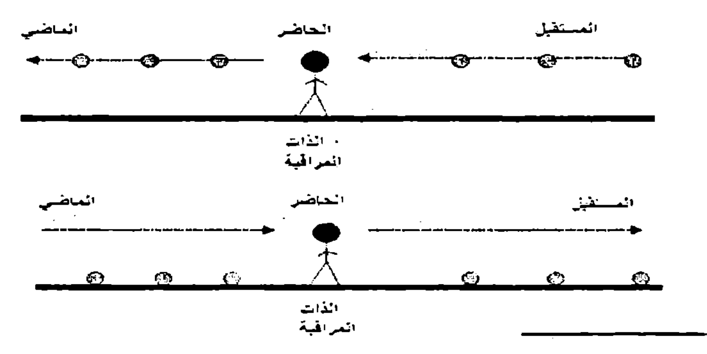
بتوفير العناصر الأساسية وشرط الخلفية، نحصل على الترابطات التالية:

- الأزمنة (هي) أشياء.

- مرور الزمن (هو) حركة.

- الأزمنة المستقبلة أمام المراقب، والأزمنة الماضية وراءه.

هذه المجموعة من الترابطات تبنين فكرتنا عن الزمن بطريقة واضحة. مع ملاحظة أن هذه الاستعارة التصورية تتجلى في خالتين فضائيتين: **مرور الزمن حركة شيء** (المراقب يكون ثابتا)، **ومرور الزمن حركة مراقب على الأرض** (الزمن ثابت والمراقب يتحرك باتجاهه)، الرسمان التخطيطيان المواليان المأخوذان عن إيفنس وغرين[1] يوضحان ذلك:



(1) Vyvyan Evans and Melanie Green: **Cognitive Linguistics, an introduction**, pp 85-86.

والجدول التالي يوضح بعض التحققات اللغوية[1]:

مرور الزمن حركة لشيء	مرور الزمن حركة لمراقب على الأرض
- سيأتي الوقت الذي ننتظره.	- كلما تقدمنا عبر السنوات.
- لقد مر وقت منذ التقينا.	- عندما ندخل في العام الجديد.
- جاء وقت العمل.	- إننا نقترب من عيد الميلاد.
- الوقت يأتي بسرعة ويمضي بسرعة.	- إننا نقترب من سن اليأس.
- ما سيحصل في الأسابيع القادمة.	

هذه الاستعارة كما تم تخصيصها بترابطاتها وصيغتيها المختلفتين تمثل مقدارا واسعا من الاستعارات اللغوية المتداولة. والترابطات لا توضح فقط لماذا تعني التعابير المخصصة ما تعنيه ولكنها توفر أيضا بنية كلية أساسية، ومن ثم فهم فكرتنا عن الزمن. من دون استعارة يكون من الصعب تخيل ما يكون عليه تصورنا بشأن الزمن. إن الكثير من الاستعارات البنيوية توفر هذا النوع من بنينة وفهم التصورات الهدف.

---

(1) بعض هذه الأمثلة اللغوية مأخوذ عن لايكوف وجونسون: **الاستعارات التي نحيا بها**، صص 60-61، والبعض الآخر من اقتراحنا.
كما يمكن الاطلاع على تفاصيل أكثر بخصوص أساس الاستعارات البنيوية في الفصل الثالث من نفس الكتاب، ص 81 وما بعدها.

4. 2. 3. الاستعارات الأنطولوجية[1]:

يرى لايكوف وجونسون أن تجربتنا مع الأشياء الفيزيائية والمواد تعطينا أساسا إضافيا للفهم، ما يسمح لنا باختيار عناصر تجربتنا ومعالجتها باعتبارها كيانات معزولة أو باعتبارها مواد من نوع واحد. هذه الطريقة في التعيين تسمح لنا بالإحالة على تجاربنا ومقولتها وتجميعها وتكميمها، وبهذا نعتبرها أشياء تنتمي إلى منطقنا. حتى الأشياء الفيزيائية غير المعزولة أو غير المحدودة بصورة واضحة فإننا نمقولها بهذا الشكل (مثل الجبال، وتقاطعات الشوارع،...) فحاجات الإنسان النموذجية تقتضي منا فرض حدود اصطناعية تجعل من الظواهر الفيزيائية أشياء منعزلة، بالضبط كما نحن: كيانات محدودة بمساحة معينة. وتعد تجاربنا مع الأشياء الفيزيائية وأجسادنا خاصة مصدرا لأسس استعارات أنطولوجية متنوعة جدا، بإعطائنا طرقا للنظر إلى الأحداث والأنشطة والإحساسات والأفكار باعتبارها كيانات ومواد [لها وجود]. الجدول التالي يلخص هذه الأنواع:

(1) أو الوجودية، وقد خصص لايكوف وجونسون الفصل السادس كله للحديث عن هذا النوع من الاستعارة. ينظر جورج لايكوف ومارك جونسن: **الاستعارات التي نحيا بها**: ص 45 وما بعدها.

الاستعارات الأنطولوجية	أنواع فرعية	أمثلة لغوية
1- استعارات الكيان والمادة	- أن نحيل	إننا نعمل من أجل **السلام**
	- أن نكمم	يتطلب إنهاء هذا الكتاب **قدرا كبيرا** من الصبر
	- أن نعين المظاهر [الجوانب]	لقد تدهور **الجانب النفسي** في صحته
	- أن نعين الأسباب	**ثقل مسؤولياته** سبب انهياره
	- أن نحدد الأهداف ونحفز الأنشطة	إنني أغير نمط حياتي كي **أعثر على السعادة الحقيقية**
2- استعارات الوعاء	- الأقاليم الأرضية	دخلنا **فجوة في الغابة**
	- مجال الرؤية	دخلت السفينة **مجال رؤيتي** الآن
	- الأحداث والأنشطة والأعمال والحالات	هل ستكون **في السباق**. لقد اكتسب تجربة كبيرة **في التدريس**. لقد صرفت طاقة كبيرة **في العمل**. إنه **في سعادة** لا توصف لأنه وقع **في الحب**
3- التشخيص	- استعارات التشخيص التصورية تتضمن فهم كيانات غير بشرية أو أشياء من خلال الكائن البشري. وبالتالي تنسب خصائص بشرية للأشياء	لقد خدعتني **الحياة**. هدّ **التضخم** أسس الاقتصاد ... إلخ

إذا كانت الاستعارات الاتجاهية أقل فاعلية في توفير بنينة للتصورات الهدف مقارنة بالاستعارات الأنطولوجية، فإن هذه الأخيرة -حسب كوفيتش أيضا- توفر بنينة معرفية للتصورات الهدف أقل بكثير مقارنة بالاستعارات البنيوية. ويظهر عملها المعرفي "فقط" في إعطاء وضع أنطولوجي لمقولات عامة من تصورات الهدف المجردة والقبض على كيانات مجردة جديدة. ما يعني أننا ندرك تجاربنا من خلال الأشياء، المواد، والأوعية، بشكل عام، من دون تخصيص دقيق لنوع الشيء أو المادة أو الوعاء. بما أن معارفنا بخصوص الأشياء والمواد والأوعية هي بالأحرى محدودة في هذا المستوى الشامل فإننا لا نستطيع استعمال هذه المقولات العامة العالية لفهم الكثير عن المجالات الهدف. هذا العمل يخص

الاستعارات البنيوية، التي توفر بنية مفصلة للتصورات المجردة. وبرغم ذلك فإن العمل المعرفي المهم لها هو في تحديد الوضع الأساسي للكثير من تجاربنا من خلال الأشياء، والمواد، وما شابه. وأنواع التجارب التي تتطلب هذا كثيرة، تلك التي ليست مرسومة بدقة ووضوح، كأن تكون غامضة أو مجردة. فنحن لا نعرف ماهية الذهن حقيقة، ولكننا ندركه على أنه شيئا[1]، وبالتالي يمكننا بهذه الطريقة فهم الكثير بشأنه.

على العموم، تسمح لنا الاستعارات الأنطولوجية برؤية بنية مرسومة بوضوح أكبر، حيث توجد بنية مرسومة بوضوح أقل أو غير واضحة ألبتة.

يملك النوعان الأخيران (البنيوي والأنطولوجي) من الاستعارة التصورية خصائص معينة نجملها فيما يلي نقلا عن لايكوف وجونسون[2]:

---

(1) يصرح لايكوف وجونسون أن مجرد اعتبارنا شيئا غير فيزيائي كيانا أو مادة لا يسمح لنا بأن نفهم عنه شيئا مهما، إلا أنه بالإمكان تطوير الاستعارات الأنطولوجية، مثال ذلك تطوير الاستعارة الأنطولوجية **الذهن مادة**، فيمكن تصوره باعتباره آلة كما في قولنا: عقلي غير قادر على الاشتغال الآن، أو **الذهن شيء هش** مثل قولنا: لقد انهار أثناء التحقيق، فهذه الأمثلة تعطينا نماذج استعارية مختلفة عما هو الذهن، وبذلك تسمح لنا بالتركيز على مختلف مظاهر التجربة الذهنية. راجع: **الاستعارات التي نحيا بها**، صص 47-48

(2) ينظر لايكوف وجونسون: المرجع نفسه، ص 208.

تعد الاستعارات الأنطولوجية من بين الوسائل الأكثر قاعدية التي تتوافر لنا من أجل فهم تجربتنا. ولكل استعارة بنيوية مجموعة متلائمة من الاستعارات الأنطولوجية تعتبر أجزاء فرعية فيها. واستعمال مجموعة من الاستعارات الأنطولوجية لفهم وضع معين هو بمثابة فرض بنية الكيان على هذا الوضع. فمثلا، تفرض استعارة الحب سفر على الحب بنية كيان تتضمن بداية واتجاها ومسارا ومسافة تمتد على المسار، وهكذا.

كل استعارة بنيوية مفردة لها انسجام داخلي، وتفرض بنية منسجمة على التصور الذي تبنيه. مثلا، تفرض استعارة الجدال حرب بنية حرب منسجمة داخليا على الجدال. وحين نقتصر على فهم الحب من خلال الحب سفر فإننا نفرض بذلك سفرا منسجما داخليا على تصور الحب.

رغم أن الاستعارات المختلفة لنفس التصور قد لا تكون عموما متلائمة مع بعضها، فإنه قد توجد مجموعات من الاستعارات تتلاءم مع بعضها. ولنسم هذه المجموعات مجموعات استعارية متلائمة.

لأن كل استعارة مفردة منسجمة داخليا، فإن كل مجموعة متلائمة من الاستعارات تتيح لنا فهم وضع ما من خلال بنية كيان جد محددة تقيم علاقات متلائمة بين الكيانات الموجودة في هذه المجموعة.

4 . 3 . طبيعة الاستعارة:

نتلمس هذه الطبيعة من خلال النظر في إمكانية تأسس الاستعارات إما على المعارف وإما على الصورة. مع ملاحظة أن الغالب منها يتأسس على معارفنا القاعدية عن التصورات، وفيها تتشكل بنيات المعارف القاعدية عن طريق بعض العناصر الأساسية التي يتم ربطها من المصدر إلى الهدف. أما النوع الثاني من الاستعارة التصورية الذي يمكن تسميته باستعارة **خطاطة الصورة**، فلا تعد عناصر تصورية من المعارف (مثل المسافر، الوجهة، والعائق في حالة السفر) والتي تكون معنية بعملية الربط من المصدر إلى الهدف، إنما هي عناصر تصورية لخطاطة الصورة.

للتوضيح ننظر في لفظة "خارج" في الأمثلة التالية:

- إنه خارج السيطرة.
- أنت تتحدث خارج الموضوع.
- خرج عن النظام.
- خرج عن صمته وعزلته...

هذه التعابير لها علاقة بأحداث وحالات مثل فقدان الحلم، نقص التركيز، فقدان شيء، تحول من حالة إلى حالة ...الخ. وكلها تؤشر على حالة سلبية لمسألة ما.

الأمر المهم في استعارة خطاطة الصورة حسب كوفيتش[1] أنها تربط القليل نسبيا من المجالات المصدر على المجالات الهدف. وكما يدل على ذلك اسمها، استعارات هذا النوع لها مجالات مصدر بخطاطات صورة هيكلية (skeletal image-schemas)، على غرار تلك المرتبطة بلفظة "خارج". وبالمقابل تكون الاستعارت البنيوية ثرية ببنيتها المعرفية، وتوفر نسبيًا مجموعة ثرية من الترابطات بين المصدر والمجال.

لا تنحصر خطاطات الصورة في العلاقات الفضائية، مثل "داخل-خارج". بل هناك الكثير من "الخطاطات" التي تلعب دورا في فهمنا الاستعاري للعالم. تشتق خطاطات الصورة القاعدية هذه من تفاعلنا مع العالم: فنحن نكتشف الأشياء المادية بملامستها، ونختبر أنفسنا والأشياء الأخرى كأوعية بداخلها أو خارجها أشياء أخرى. ونحن نتحرك حول العالم، ونختبر القوى الفيزيائية المؤثرة فينا، ونحاول مقاومة هذه القوى، كأن نسير ضد الريح أو نسبح ضد التيار. تفاعلات مثل هذه تحدث في التجربة البشرية بصفة متكررة. هذه التجارب الفيزيائية الأساسية تعطي بروزا لما يسمى خطاطات الصورة التي تبنين استعاريا الكثير من تصوراتنا المجردة. هذه بعض الأمثلة:

(1) Zoltán kövecses: **Metaphor, a Practical Introduction**. p 43

خطاطة الصورة	الامتداد الاستعاري
داخل- خارج	إنه يرزح في دائرة الفقر
أمام- خلف	إنه نوع متقدم من الاحتيال
فوق- تحت	هبطت معنوياتي
تماس	كتم عنه أنفاسه
حركة	بالكاد غادره الغضب – عاد إليه هدوؤه
قوة	إنك تدفعني إلى الجنون- أوضاعه البائسة دفعته للانتحار

يرى كوفيتش أن الخاصية المهمة لخطاطة الصورة أنه يمكنها أن تفيد في التأسيس لتصورات أخرى، كمثال على ذلك تندرج خطاطة الحركة خلف تصور السفر، على اعتبار أن لها أجزاء: نقطة ابتدائية، تحرك، ونهاية، تتوافق في الأسفار مع: نقطة الانطلاق، الانتقال، والوجهة أو المقصد. بهذه الطريقة يظهر للكثير من التصورات غير خطاطية التصوير (nonimage-schematic)–مثل السفر– أساسا خطاطي الصورة بصفة جلية. يمكن إذن للمجالات الهدف لكثير من الاستعارات البنيوية أن تبنين بشكل خطاطي الصورة (image schematically) من قبل المصدر (مثل استعارة الحياة سفر).

الأنواع الأخرى من الاستعارات التصورية المتأسسة على الصورة هي أغنى في تفصيلها التصويري ولكنها لا توظف خطاطات الصورة. يمكن تسمية هذا النوع **باستعارات الصورة** (image metaphors). نجد هذا النوع في كل من الشعر والأنواع الأخرى من الخطابات. وتحتها تندرج استعارات صورة اللقطة الواحدة (one-shot image metaphors) التي سنفصل فيها في المبحث الموالي.

4 . 4 . مستويات عمومية الاستعارة:

يمكن تصنيف الاستعارات أيضا وفقا لمستوى العمومية التي نجدها عليها[1]، مثلا خطاطات الصورة هي بنيات قليلة التفاصيل بكثير، فخطاطة "الحركة" مثلا تملك فقط موقعا ابتدائيا، وتحركا عبر مسار، وموقعا نهائيا. هذه الخطاطة العالية للحركة العامة تظهر مفصلة في حالة تصور السفر: يكون لدينا مسافرا، نقطة انطلاق، وسائل سفر، برنامج سفر، عوائق أو عقبات في الطريق، وجهة سفر، مرشدا، وهلم جرا.

الخاصية الأخرى لهذه الخطاطات ذات المستوى الشامل (generic-level schemas) مثل "الحركة" هي إمكانية ملئها بطرق عدة وليس بطريقة واحدة فقط. يمكن لخطاطة الحركة أن تتحقق كمشي، جري، صعود، أو تسلق جبل، وليس كسفر فقط. هذه الشواهد هي عن المستوى المخصص (specific-level) للخطاطة الشاملة للحركة. وكل منها سيحين الخطاطة بطرق مختلفة، ولكن يكون لها نفس بنية المستوى الشامل لخطاطة الحركة المندرجة خلفها.

يمكن للاستعارات التصورية إذن أن تكون ذات مستوى شامل أو ذات مستوى مخصص. فاستعارات مثل: الحياة سفر، الجدال حرب، الأفكار غذاء،... الخ، كلها استعارات ذات مستوى

(1) Cf. zoltán kövecses; Ibid. pp 44-45

مخصص. والحياة، والجدال، والحرب، والأفكار، والغذاء، هي تصورات ذات مستوى مخصص. ما يندرج خلفها من بنيات خطاطية تُملأ بطرق مفصلة، كما رأينا مع حالة السفر. إضافة إلى هذه نجد **استعارات ذات مستوى شامل**: الأحداث أعمال، الشامل مخصص، ...الخ. فالتصورات مثل الأحداث والأفعال والشامل والمخصص كلها تصورات ذات مستوى شامل، إنها تتحدد بواسطة عدد صغير فقط من الخاصيات التي تتخصص بصفة قصوى بواسطة **بنيات هيكلية**، مثلا: في حالة الأحداث، يخضع كيان بصفة نموذجية لبعض التغيرات بتأثير قوى خارجية، وهناك أنواع مختلفة من الأحداث: مثل المرض والموت، التي تمثل أمثلة خاصة عن تصور الحدث العام. بخلاف هذا التصور تملأ الحالات الخاصة بتفصيل خاص، مثلا: نجد في الموت كائنا نموذجيا هو عبارة عن إنسان يأتي ويأخذ شخصا هرما أو مريضا نتيجة لانقضاء أجله. نلاحظ هنا أن تخصيص الحدث لا يشير إلى أي من هذه العناصر. ومع ذلك تقتسم البنية الشاملة للموت البنية الهيكلية للحدث الشامل: خضوع كائن ما في الموت إلى تغيير ما نتيجة لقوى معينة (الزمن-العمر أو المرض).

أما عن المهام الخاصة التي تنجزها الاستعارات ذات المستوى الشامل فهي تختلف عن مهام الاستعارات ذات المستوى المخصص، فاستعارة **الأحداث أعمال** مثلا، تمثل حالات تشخيص (حدث الموت مثلا حينما نقول: "فرق الموت بيننا"، هنا نتصور

الموت كشخص يقوم بعمل هو التفرقة بين الناس). واستعارة **الشامل مخصص** تساعدنا وتسهل علينا تفسير الأمثال والتعابير المتداولة على نطاق واسع.

يمكننا أن نعثر على مثال جيد يوضح هذه الاستعارة الأخيرة (استعارة الشامل **مخصص**) عند لايكوف في نظريته المعاصرة[1] في حديثة عن استعارات الصورة، يتعلق الأمر بتحليل طريف لمَثل آسيوي مضمن في قصيدة صغيرة، يقول:

"أعمى

يلقي باللائمة على الحفرة"

يقول لايكوف إنه للحصول على معنى من بين مجموعة ممكنة من تأويلات هذا المثل، علينا أن ننظر في إحدى تطبيقات المثل: بأن نفترض أن مرشحا رئاسيا ارتكب عن قصد بعض الأخطاء الشخصية (حتى وإن لم تكن لها علاقة بالقانون والقضايا السياسية) وفضحت تقارير صحفية هفواته فدمرت ترشحه. ما يقوم به المترشح بعدها أن يلقي باللائمة على الصحافة لنشرها تقارير عنه، بدلا من توجيه اللوم إلى نفسه لارتكابه هذه الأخطاء... يمكننا هنا أن نطلق حكمنا عليه بالقول إنه "أعمى، يلقي باللائمة على الحفرة".

(1) Cf. George Lakoff: **The Contemporary Theory of Metaphor**. pp 232-235.

يلاحظ لايكوف هنا أن البنية المعرفية المستخدمة في فهم حالة أخطاء المترشح تتقاسم بعض الجوانب مع بنية المعرفة المستخدمة في الفهم والتأويل الحرفي لهذا المثل. هذه البنية المعرفية تكون كما يلي:

- وجود شخص ما في حالة عجز، أي في حالة عمى.

- يواجه وضعا (أي حفرة) وبسبب عجزه (أي عدم قدرته على رؤية الحفرة) تحل به عواقب سلبية، وهي سقوطه في الحفرة.

- يلقي باللائمة على الوضع بدلا من عجزه الخاص به.

- كان عليه أن يعد نفسه مسؤولا ولا يحمل المسؤولية للحفرة.

تعد خطاطة المعرفة المخصوصة هذه حول الرجل الأعمى والحفرة شاهدا عن خطاطة المعرفة الشاملة أين تغيب بعض المعلومات المخصوصة حول الأعمى والحفرة. هذه الخطاطة ذات المستوى الشامل تبنين معرفتنا حول المثل، كما يلي:

- هناك شخص ما في حالة عجز.

- يواجه وضعا يكون له فيه عواقب سلبية نتيجة عجزه.

- يلقي باللائمة على الوضع بدلا من إلقائها على عجزه الخاص به.

- كان يجب أن يعد نفسه المسؤول بدلا من الوضع.

تخصص هذه الخطاطة العامة جدا مقولة منتهية للأوضاع، يمكن التفكير فيها كقالب متغير يمكن تعبئته بطرق عديدة. منها هذه الطريقة أين ينطبق المثل على سلوك المترشح:

- الشخص هو مترشح رئاسي.

- عجزه هو عدم قدرته على فهم عواقب سلوكاته الشخصية الخاطئة.

- سياق الصدام هو ارتكابه عن علم مخالفات وإبلاغ الصحافة عنها.

- النتيجة هي خيبة ترشحه.

- يلقي باللائمة على الصحافة.

- نحكم عليه بأنه من الحماقة توجيه اللوم للصحافة بدلا من نفسه.

ينظر إلى الخطاطة ذات المستوى الشامل هنا كوسيط بين المثل وقصة قلة احتشام المترشح، وعليه نحصل على التوافقات التالية:

- الأعمى يوافق المترشح للرئاسة.

- عماه يوافق عجزه عن فهم عواقب سلوكه الشخصي الخاطئ.

- الوقوع في الحفرة يوافق ارتكابه مخالفات بعد أن أشيعت.

- التواجد في الحفرة يوافق التواجد خارج السباق كمترشح.

- لوم الحفرة يقابل إلقاء اللوم على التغطية الصحفية.

- إصدار حكم على الرجل الأعمى بوصفه أحمقَ لإلقاء اللوم على الحفرة يوافق إصدار حكم على المترشح بوصفه أحمقَ لإلقاء اللوم على التغطية الصحفية.

هذه التوافقات تحدد التأويل الاستعاري المختار للمثل على النحو المطبق على قلة احتشام المرشح.. وهكذا، يمكننا أن نشرح لماذا يعني استخدام هذا المثل ما عناه بدل أن يعني عددا لا يحصى من الأشياء التي لا يمكن أن يعنيها. وبصفة عامة يرى لايكوف أن كثيرا من الأمثال التي درسها تبين أنها تتضمن هذا الضرب من الخطاطة ذات المستوى الشامل.

الاستعارة البسيطة والاستعارة المعقدة (أو المركبة):

إضافة إلى الأنواع التي ذكرنا حسب المعايير الأربعة لكوفيتش، ثمة معيار آخر يتعلق بتعقيد وبساطة الاستعارة، ويسهم في تصنيف الاستعارات وفق هذا المعيار، بمعنى وجود استعارات بسيطة وأخرى معقدة، تجمع بينها علاقة نجملها فيما يلي:

انطلاقا من كون الترابطات بين المصدر والهدف هي جزئية، بمعنى أنه يتم تضمين بعض عناصر المصدر والهدف دون البعض الآخر، يتساءل كوفيتش[1] عن سبب كونها كذلك، وللإجابة يقترح أن يعالج مثالا خاصا هو استعارة **الجدال** بناء أو بصيغتها

(1) Zoltán kövecses: **Metaphor, A Practical Introduction**. p95.

الأكثر عمومية **النظريات بنايات**[1]. فقد لاحظ أن بعض مظاهر البنايات مثل البناء، الهيكل، والدعامات تكون مستخدمة (باعتبارها عناصر في عملية الربط)، في حين أن المظاهر الأخرى مثل النزلاء، أو النوافذ، أو الدهاليز ليست كذلك. والسؤال المطروح إذن: لماذا يجب أن تكون الحالة هي هذه؟.

يقترح كوفيتش الحل الذي اقترحه جو جرادي (Joe Grady) صاحب فكرة **الاستعارة الابتدائية**، الذي اقترح من خلالها أنه يمكن أن تكون الترابطات الاستعارية إما "ابتدائية" وإما "معقدة"، بتشكلها الذي تستمده من أكثر التجارب الفيزيائية والمعرفية قاعدية مقارنة بالأحدث منها. فالاستعارات الابتدائية تُكتسب بدءا عن طريق علاقة الإدراك الحسي القاعدي والتجربة المعرفية الأساسية التي تحدث أثناء تفاعلاتنا اليومية مع العالم؛ وبالتالي، الاستعارات الإبتدائية هي المحصلات الطبيعية للتفاعل بين خصوصيات وضعنا الفيزيائي والمعرفي ككائنات بشرية وتجربتنا الذاتية في العالم، باستقلال عن اللغة والثقافة. والطابع الشمولي لهذه التجارب المتجسدة توفر الاستعارات الابتدائية التي يمكن تطبيقها بصفة شمولية.

بالعودة إلى تحليل كوفيتش لاستعارة الجدال/ النظرية بناء، يقول إنها استعارة معقدة تتألف من استعارتين ابتدائيتين هما: البنية المنطقية (هي) بنية فيزيائية، والإصرار (هو) بقاء في حالة قيام.

---

(1) ينظر أيضا: لايكوف وجونسون: **الاستعارات التي نحيا بها**. صص: 73-74

يتم تنشيط هاتين الاستعارتين الابتدائيتين بصفة مستقلة عن المعقدة منهما. في حين أن استعارة **الجدال/ النظرية بناء** تكون صعبة التنشيط (البنايات والجدالات/ النظريات ليست متعالقة في التجربة، ولا يمكن القول بأنها متشابهة بنيويا أيضا)، بينما الاستعارتان الابتدائيتان اللتان تؤلفانها يمكنهما ذلك. إن الأساس التجريبي **للبنية المنطقية (هي) بنية فيزيائية** تعالق بين البنيات الفيزيائية (مثل التي للبيت) والمبادئ المجردة التي تسمح لنا بصنعها، وأخذ أجزاء منها، وإعادة ترتيبها، أو معالجتها بطريقة أخرى. أما في حالة **الإصرار (هو) بقاء في حالة قيام**، فالأساس التجريبي هو التعالق الذي نجربه بصفة متكررة بين الأشياء التي تظل قائمة أو منتصبة عندما تكون وظيفية، وقابلة للحياة، وتعمل، ولكنها تتهاوى عندما يحدث معها العكس.

يعطي لنا التأليف بين الاستعارتين الابتدائيتين ما نعرفه كاستعارة **الجدال/ النظرية بناء**. وتكون الصيغة المركبة: **البنيات المنطقية القابلة للحياة (هي) بنيات فيزيائية قائمة**، ممسكة بمظاهر الجدالات/ النظريات التي تشتغل ببنية، وبناء، وقوة. وبما أن بناء الاستعارة المعقدة يخرج من هاتين الاستعارتين الابتدائيتين، فإننا نحصل على شرح رائع عن سبب اشتراك هذه الترابطات فقط دون أخرى في الاستعارة. ولماذا يتم ربط الإطار (البنية الفيزيائية) والدعامة (البقاء قائما)، ولا يتم ربط النوافذ، والمداخن، والنزلاء...

ويذكر كوفيتش[1] أيضا، في معرض بيانه للعلاقة الرابطة بين نوعي الاستعارة البسيط والمعقد، أن الأنساق المركبة التي تشتمل على النظريات، والعلاقات، والمجتمع، والفئات الاجتماعية، والأنظمة الاقتصادية والسياسية، والحياة، وغيرها، كلها يمكن أن تتصور بصفة مفردة كبنايات. نتيجة لذلك تعد الاستعارات التالية: **النظريات بنايات، المجتمع بناء، الأنظمة الاقتصادية بنايات، العلاقات بنايات، الحياة بناء... الخ**، استعارات معقدة من حيث إنها مؤلفة من الاستعارات الفرعية المتوافقة التالية: **البناء المجرد (هو) بناء فيزيائي، البنية المجردة (هي) بنية فيزيائية، والثبات المجرد (هو) قوة فيزيائية**. هذه الاستعارات الفرعية هي استعارات بسيطة، من حيث إنها تنشئ الاستعارات المعقدة، وتخصص طبقة تامة من التصورات الهدف ذات المستوى المخصص. إحدى هذه الحالات طبقة التصورات الهدف الموجودة أسفل هرمية تصور الأنساق المركبة.

وبالمثل، فإن عددا كبيرا من التصورات الهدف تتخصص بواسطة التصور المصدر لـ(حرارة) النار[2]. أنواع مخصصة مختلفة من الأفعال، والأحداث، والحالات تفهم على أنها نار. وبالتوافق هناك استعارة فرعية بسيطة هي: **الشدة حرارة**. هذه الاستعارة البسيطة عبارة عن ترابطات تتضمنها الاستعارات المعقدة مثل هذه:

(1) Cf. zoltán kövecses: Metaphor, **a Practical Introduction**.pp 144-146.

(2) Cf. zoltán kövecses. Metaphor..p145

الغضب نار، الحب نار، الصراع نار، أو **الجدال نار.** أين نجد في كل واحدة منها ترابطا مركزيا يعكس بؤرة المعنى البارز لاستعارات النار:

استعارة معقدة (مركبة)، مثل: **الغضب نـار**

استعارة بسيطة موافـقة: **الشـدة حـرارة** (يتم الربط بين الحرارة وشدة الحالة)

باختصار، تشكل الاستعارات البسيطة ترابطات ضمن الاستعارات المعقدة، وعكس هذا لا يصح، فالاستعارات المعقدة مثل **النظريات بنايات** أو **الغضب نار** لا تشكل ترابطات في الاستعارات البسيطة منها، مثل **الثبات المجرد قوة فيزيائية** أو **الشدة حرارة**، إنها بالأحرى استعارات فرعية بسيطة (أو ترابطات) تخدم الموضوع الرئيسي للاستعارات المعقدة بواسطة سيرورة ربط بؤرة معنى (meaning focus) المصدر على الهدف؛ ومن ثم تكون استعارات النار المعقدة المتنوعة مثل **الغضب نار، الحب نار، الحماسة نار، الصراع نار**، متخصصة كلها بواسطة الترابط " **حرارة النار ← شدة الحالة أو الحدث**". هذا الترابط يمكن إعادة تشغيله كاستعارة بسيطة: **شدة (الوضع) هو شدة الحرارة.** والاستعارات المعقدة تحوي هذه الاستعارة البسيطة على أنها ترابطٌ.

لتوضيح مفهوم **الاستعارة الابتدائية** بصورة أكثر تبسيط نورد مزيدا من الأمثلة عن لايكوف وجونسون[1] هذه المرة عندما

(1) George Lakoff and Mark Johnsen (2003): **Metaphors we live by**. pp 255-256.

صرحا أن تقدما كبيرا حصل في نظرية الاستعارة مع مجيء سنة 1997 عندما نشر جوزيف جرادي وكريستوفر جونسون ونارايانان أبحاثهم. أظهر جوزيف جرادي مثلا أن الاستعارات المعقدة تنشأ من هذا النوع من الاستعارات الابتدائية التي تتأسس مباشرة في التجربة اليومية التي تربط تجربتنا الحسية-الحركية بمجال أحكامنا الذاتية. على سبيل المثال نحن نملك الاستعارة التصورية الابتدائية **المحبة دفء** لأن تجاربنا المبكرة للمحبة توافق التجربة الفيزيائية للدفء أثناء عناق وثيق. أما كريستوفر جونسون فقد أثبت بأن الأطفال يتعلمون الاستعارات الابتدائية على أساس دمج المجال التصوري في الحياة اليومية، وقد درس في هذا الصدد كيف تطورت استعارة **المعرفة رؤية**، وبرهن على أن الأطفال يستخدمون أولا "يرى" حرفيا وفقط بخصوص الرؤية. ثم تأتي مرحلة تالية حيث يتم دمج الرؤية والمعرفة، عندما ينطق الأطفال بأشياء مثل "انظر جاء أبي" أو "انظر ماذا سكبت"، هنا تحصل الرؤية والمعرفة معا. وفي وقت لاحق فقط تبدأ الاستعمالات الاستعارية الواضحة في العمل لـ"يرى" مثل: "انظر ماذا أعني" للإشارة إلى ما يخطر في البال. مثل هذه الاستعمالات تتعلق بالمعرفة، وليس برؤية حرفية.

نقترح في الأخير جدولا يضم عينة من الاستعارات الابتدائية التي درسها جرادي، ننقلها كما وردت عند فلدمان[1]:

(1) Jerome A. Feldman: **From Molecule to Metaphor**, A Neural Theory of Language; Massachusetts Institute of Technology, A Bradford Book, The MIT Press Cambridge, Massachusetts ,London, England,2006. pp 200-201 =

الاستعارات الأولية	التجربة الذاتية	التجربة الحسحركية	الأمثلة	التجربة
المحبة دفء	المحبة أو التعلق	الحرارة	إنهم يحيونه بحرارة	الإحساس بالحرارة مادام عندك تعلق
الألفة قرب	الألفة أو الأنس	القرب الفيزيائي	بقينا متقاربين سنوات ولكن تفرقنا بعض تدريجيا	القرب الفيزيائي من الناس يجعلك على علاقة حميمة بهم
الشيء المهم كبير	الأهمية	الحجم أو المقدار الكمي	غدا يوم كبير عظيم	تكون الأشياء المحيطة بنا كبيرة في الغالب مثل الوالدين وغيرهما
السعادة فوق	السعادة	الاتجاه الجسدي	أشعر أنني في قمة اليوم	الإحساس بالنشاط والسعادة واتخاذ وضعية منتصبة أثناء القيام
الأمر السيء نتن	التقييم	الرائحة النتنة	هذا الفيلم نتن	النفور من الأشياء النتنة مثل الطعام الفاسد
الأكثر فوق	الكمية	الاتجاه العمودي	ارتفعت الأسعار	ملاحظة ارتفاع وهبوط مستويات ما يتراكم والسوائل كلما زادت الكمية أو نقصت
العون دعم	المساعدة	الدعم المادي الفيزيائي	عليك بتقديم دعم لجمعيتك المحلية	غالبا ما يساعد على ثبات الشيء من خلال دعم مادي له.

= وتجدر الإشارة هنا إلى أن نظرية الاستعارة الابتدائية تنقسم إلى أربعة نظريات حسب ممثليها (كريستوفر جونسون- جو جرادي- سريني نارايانان- تورنر وفوكونيي)، راجع الفصل الرابع: **"الاستعارات الابتدائية والتجربة الذاتية"** في:

George Lakoff and Mark Johnson: **Philosophy in the Flesh,** pp 45-59

إضافة إلى هذا التصنيف الذي يستفيد من كون الترابطات ذات طبيعة جزئية، نجد لايكوف وجونسون في الفصل الحادي عشر من "الاستعارات التي نحيا بها" المعنون بـ"الطبيعة الجزئية للبنية الاستعارية" يتحدثان عن تصنيف آخر للاستعارات التصورية واللغوية مبني أساسا على الجزء المستخدم والمهمل من الاستعارة، واعتبارا للطابع النسقي والجزئي للتصورات الاستعارية.

انطلاقا من الطبيعة الجزئية للبنية الاستعارية يكون لدينا نوعان من العناصر المنتمية إلى التصور الهدف، أولا العناصر التي تنتمي إليه والمستخدمة في بنيته، وثانيا العناصر التي تنتمي إلى التصور المصدر ولا تستخدم في بنية التصور الهدف. مثال ذلك: استعمال الأسس والهياكل كعناصر من تصور البنايات لبنية تصور النظرية في استعارة **النظريات بنايات**، أما العناصر الأخرى من سقف وسلالم وأسلاك..، فهي عناصر بناء مهملة في تصور النظرية. يقابل هذا في اللغة استعمال لفظ "بنى" و"أسس" التي تعد أمثلة على الجزء المستخدم من هذا التصور. غير أن هناك إمكانية العثور على تعابير لغوية تنتمي إلى الجزء المهمل في استعارة **النظريات بنايات**، من ذلك مثلا: "إنه يفضل النظريات المكسوة بالميازيب". وهي تعابير تنتمي –حسب المؤلفين– إلى ما يسمى عادة باللغة المجازية أو التخييلية. نميز هنا إذن تعابير حرفية (مثل: بنى نظرية) تقابلها تعابير تخييلية (مثل: نظرية مكسوة بالميازيب) وهي أمثلة داخل نفس الاستعارة العامة: **النظريات بنايات**.

يميز لايكوف وجونسون في هذا الإطار بين ثلاثة أنواع فرعية داخل الاستعارة التخييلية (أو غير الحرفية):

- توسيع الجزء المستخدم في الاستعارة: مثل عبارة: "هذه الأشياء تشكل اللبنات والملاط في نظريتي".

- استعمال أجزاء مهملة في الاستعارة الحرفية. مثل: "تحتوي نظريته على غرف كثيرة طويلة ومتعرجة".

- خلق استعارة جديدة، لا تستخدم في بنية نسقنا التصوري العادي، بل تكون طريقة جديدة للتفكير في شيء معين. مثال ذلك: "النظريات التقليدية أبيسية، إنها تلد العديد من الأطفال الذين يحاربون بعضهم باستمرار".

إضافة إلى هذا يمكن أن نعثر على تعابير استعارية فرادية، تبقى منعزلة ولا تستخدم بشكل نسقي في لغتنا أو فكرنا، مثل: قدم الجبل، رأس الكرنب، رجل الطاولة...الخ. وهي تعابير تشكل حالات معزولة من التصورات الاستعارية، حيث نجد مثالا لجزء مستخدم واحد وربما اثنين أو ثلاثة. فالقدم هو الجزء المستخدم في استعارة: **الجبل شخص**، مع احتمال أن تستخدم العناصر الأخرى في سياقات خاصة لبناء تعابير استعارية جديدة ترتكز عليها.

يسمي لايكوف وجونسون أمثال استعارة **الجبل شخص** بالاستعارة الهامشية، هامشية في الثقافة واللغة، وجزؤها المستخدم قد يتكون من عبارة واحدة متحجرة تم التواضع عليها في اللغة.

وهذه الاستعمالات لا تتفاعل نسقيا مع تصورات استعارية أخرى لأن جزءا صغيرا جدا منها هو الذي يتم استعماله، وهذا ما يجعلها استعارات غير مهمة نسبيا، لا تتفاعل مع الاستعارات الأخرى، ولا تلعب أي دور مهم في نسقنا التصوري. فهي ليست حية إلا من جهة إمكانية توسيعها في الثقافات الفرعية. غير أنه من الأفضل أن تنعت بالاستعارات "الميتة". لأنها تختلف عن التعابير الاستعارية النسقية الأخرى التي تعتبر انعكاسات للتصورات الاستعارية النسقية التي نحيا بها، وهي مثبتة بالتواضع في معجم اللغة. الجدول الموالي يلخص كل ما تم ذكره:

<table dir="rtl">
<tr><td colspan="3">تصورات استعارية/ تعبيرات استعارية</td><td colspan="3">تصورات استعارية/ تعبيرات استعارية</td></tr>
<tr><td rowspan="2">وضعية/ حرفية، حية</td><td colspan="2">غير وضعية/ تخييلية</td><td>جديدة</td><td colspan="2">هامشية/ ميتة</td></tr>
<tr><td>توسيع الجزء المستعمل</td><td>استعمال الجزء المهمل</td><td>تخييلية</td><td>ميتة حرفية</td><td>ميتة تخييلية</td></tr>
<tr><td>بنى أساس نظريته</td><td>لبنات النظرية</td><td>غرف النظرية...</td><td>نظريات أبيسية</td><td>قدم الجبل</td><td>كتف الجبل</td></tr>
</table>

خلاصة:

حاولنا فيما تقدم جمع ما رأينا فيه حاجة من معلومات أو معارف تتعلق بنظرية الاستعارة التصورية كما اقترحها لايكوف ومؤيدو نظريته على وجه الخصوص، مع ضرورة التنبيه على أن هذه النظرية ليست إلا واحدة من بين نظريات معرفية عديدة حاولت مقاربة الاستعارة في الإطار الواسع للعلم المعرفي واللسانيات المعرفية، ونود أن نذكر أن اختيارنا لهذه النظرية للتعريف بها لم ينبع من ميل ذاتي لها، بقدر ما نجم عن التسليم الواعي بأهميتها التأسيسية أولا، وتفردها بطريقة منظريها في إعادة صوغ أفكار قديمة وبناء أخرى جديدة من منظور معرفي جديد أكثر رحابة وشمولية ونسقية حول ظاهرة الاستعارة. يرى كوفيتش[1] في هذا الصدد أن التنويه بالأفكار التي جاءت بها وجهة نظر اللسانيات المعرفية للاستعارة لا يعني أنها لم تكن موجودة قبل سنة 1980، فالكثير منها كان موجودا، والتأسيسيات الرئيسية للنظرية المعرفية سبق واقترحها باحثون كثر في الماضي قبل ألفي سنة. ففكرة الطبيعة التصورية للاستعارة مثلا قد ناقشها عدد من الفلاسفة أمثال (لوك) و(كانت)، ولكن ما هو جديد في هذه الرؤية بصفة عامة هو كونها نظرية مختبرة تجريبيا، معممة، وشمولية. فشموليتها تنبع من حقيقة أنها تناقش عددا كبيرا من القضايا المتصلة بالاستعارة: نسقيتها

(1) Cf. Zoltán kövecses: **Metaphor, a Practical Introduction**. pp xi- xiii.

وعلاقتها بأنواع المجاز أو المحسنات الأخرى، عموميتها وخصوصيتها الثقافية، تطبيقاتها على أنواع مختلفة من الخطابات كالأدب مثلا، اكتسابها ودراستها في تعليم اللغة، التحقق غير اللغوي لها في ميادين عدة، وغير ذلك. أما الطبيعة المعممة للنظرية فتنبع من حقيقة أنها تحاول ربط ما نعرفه حول الاستعارة التصورية بما نعرفه عن عمل اللغة، وعمل النسق التصوري البشري، وعمل الثقافة (...) أما كونها نظرية مختبرة تجريبيا فلأن الباحثين قد استعانوا باختبارات متنوعة لاختبار صلاحية الأطروحات الرئيسية للنظرية.

نقترح في آخر هذا العنصر أن نورد ملخصا لأهم أطروحات وافتراضات نظرية الاستعارة التصورية كما انتهت إليها من خلال ما أورده أولاف جاكال[1] في بحث له حاول فيه اختبار افتراضات النظرية التسع بتطبيقها على نصوص دينية، هذه الافتراضات أجملها في النقاط التسع التالية:

- افتراض الشيوع: الاستعارة اللغوية ليست قضية استثنائية للإبداع الشعري أو البلاغة المفرطة. فالاستعارات الوضعية متوافرة بصفة كاملة في اللغة اليومية العادية (فضلا عن الخطاب المتمرس عالي الخصوصية)، لذلك ينبغي التعامل معها باعتبارها جزءا من أدائنا اللغوي العام.

(1) Cf. Olaf Jäkel: **Hypotheses Revisited**: The Cognitive Theory of Metaphor Applied to Religious Texts. from: http://www.metaphorik.de/02/jaekel.pdf

- **افتراض المجال**: أغلب التعابير الاستعارية لا تعالج بصفة منعزلة، ولكن باعتبارها علاقات لغوية لاستعارات تصورية: تتألف من ارتباط نسقي لمجالين تصوريين مختلفين، أحدهما مجال هدف (س) والآخر مجال مصدر (ع) وكلاهما يعمل على تحقيق الترابط الاستعاري. في هذا الشأن، يتم تصور س على أنه ع، وأحد المجالين يفهم بالاعتماد على المجال الآخر من مجالات التجربة.

- **افتراض النموذج**: تشكل الاستعارات التصورية غالبا وإلى حد بعيد نماذج معرفية منسجمة: أي بنيات جشطلتية معقدة للمعارف المنظمة كإيضاحات عملية لواقع أكثر تعقيدا بدوره. هذه النماذج المعرفية المؤمثلة (ICMs)، التي يمكن إعادة بنائها بواسطة تحليلات لغوية للغة اليومية، قد لوحظت كنماذج ثقافية من المرجح أنها تحدد بصفة لاواعية النظرة العامة لمجتمع لغوي ككل.

- **افتراض التعاقبية**: بينت الدراسات المعرفية الدلالية للاستعارة أنه حتى في التطور التاريخي للغات، أكثرية توسعات المعنى الاستعاري ليست مسألة تتعلق بتعبيرات منعزلة، ولكنها تقدم دليلا على وجود إسقاطات استعارية نسقية بين مجالات تصورية ككل. لذلك يمكن للمقاربة المعرفية للاستعارة أن تستفيد من إدماج البعد التعاقبي (diachronic).

- **افتراض الاتجاهية الأحادية (Unidirectionality)**: حسب القاعدة، تربط الاستعارة "س هو ع" مجالا معقدا مجردا (س) باعتباره مفسرا بمجال مصدر أكثر حسية (ع) بوصفه مفسرا، وهو

مبنين بوضوح أكبر و منفتح على التجربة الحسية. في هذا الارتباط، العلاقة بين عناصر "س" و"ع" غير قابلة للعكس، إذ يتخذ التحويل الاستعاري وجهة واحدة. هذه الاتجاهية الأحادية للاستعارة تكون تزامنية أو تعاقبية.

- **افتراض الثبات**: في الاستعارات التصورية، تربط بعض العناصر الخطاطية من المجال المصدر إلى المجال الهدف من دون تغيير في بنيتها القاعدية. خطاطة الصورة ما قبل التصورية (preconceptual imageschemata) هذه توفر أيضا مرتكزا تجريبيا للمجالات التصورية الأكثر تجريدا.

- **افتراض الاضطرار**: للاستعارات وظيفة تفسيرية عموما. إن بعض المسائل بالكاد يتم فهمها أو تصورها بصفة تامة دون لجوء إلى استعارة تصورية ما. فالمجالات التصورية المجردة، والبناءات النظرية، والأفكار الميتافيزيقية بالخصوص يكون فهمها متيسرا عن طريق الاستعارة فقط. ومن خلال ربط التفكير التصوري الأكثر تجريدا بالإدراك الحسي أيضا توفر الاستعارات التصورية المرتكز الجسدي والبيوفيزيائي للمعرفة، موفرة انسجاما ووحدة لتجربتنا.

- **افتراض الإبداعية**: الدلالة المحتملة للاستعارة ليست بسبب صياغة بسيطة لها، فمن غير الممكن أن يختصر معناها إلى شكل قضوي (propositional) لا استعاري دون فقدان شيء منه. هذا هو سبب الإبداعية الهائلة التي تكشف عنها الاستعارة، ليس فقط في الخطاب الشعري: بل يمكن في الحياة اليومية العادية إعادة

بنينة أنماط مؤسسة من التفكير. وفي سياقات علمية يمكن للاستعارة أن يكون لها وظيفة مساعدة على الاكتشاف.

- **افتراض التبئير**: تمنح الاستعارات وصفا أو تفسيرا جزئيا فقط للمجال الهدف المعني، بإضاءة بعض المظاهر فيما تخفي مظاهر أخرى. هذا التبئير هو الذي يصنع اختلافا بين استعارات يبادل فيما بينها لنفس المجال الهدف.

هذه باختصار الافتراضات أو الأطروحات التسع التي تصنع لب النظرية المعرفية للاستعارة المنقحة، وهي أطروحات لم يتم التوصل إليها ومحاولات البرهنة عليها في مدى زمني قصير، إنما هي ثمرة لجهود امتدت على مدى سنوات عديدة لا تقل عن الثلاثين سنة، منذ صدور مؤلف "الاستعارات التي نحيا بها" لأول مرة سنة 1980، وهي جهود ما تزال متواصلة في الوقت الحاضر في تطوير وتهذيب دائمين، من خلال ما يصدر بين الفينة والأخرى من أبحاث واختبارات ذات صلة في تخصصات علمية ومعرفية عديدة، وطموحات قد تتقارب وقد تختلف اختلافا قد يتسع وقد يضيق في المجال الواحد أو بين مجال وآخر.

سنحاول في الفصل الموالي أن نستبين الطريقة أو الكيفية التي تعاملت بها نظرية الاستعارة التصورية مع الاستعارة الأدبية، ونتساءل هل ثمة خصوصية ما في هذا التعامل، كيف تمت مقاربتها لها، وكيف عالجت حضورها في الأدب عموما؟.

الفصل

الثاني

2

نظرية الاستعارة التصورية والخطاب الأدبي

حاولنا فيما سبق أن نسلّط الضوء على المستجدات التي طرأت على دراسة الاستعارة من وجهة نظر معرفية، وتحديدا من منظور أحد فروعها، أي نظرية الاستعارة التصورية كما دعا إليها لايكوف وزملاؤه. ونودّ أن نشير هنا إلى كون الأعمال التي أنجزها هؤلاء في دراسة الاستعارة والبرهنة على تصوريتها قد استند في منطلقه على معطيات من اللغة اليومية، ومن ثمّ اكتشاف هذا النسق التصوري الضخم من الاستعارات الوضعية الشائعة في حياتنا اليومية، وكان الداعي لاختيار اللغة اليومية العادية نابعا من كونها مشاعة ومستخدمة على نطاق واسع، وعليه تكون النتائج المتوصّل إليها موسومة بالطابع نفسه، أي طابع الشمولية والكلية والاعتيادية ما دام الأمر يتعلّق بالكيفية التي يدرك بها البشر أنفسهم وعالمهم، والطريقة التي يتفاعلون بها مع محيطهم ويفهمونه بها ويعبّرون عن الكيفية التي يمثّلونه بها في أذهانهم.

ومع الاطمئنان إلى جدّيّة النتائج والبراهين المتراكمة على مدى سنوات عديدة تواصل البحث في الاستعارة التصورية وتحقّقاتها واتّجه صوب ميادين أخرى، منها ميدان التحليل الأدبي، الذي أولي اهتماما خاصّا منذ نشر لايكوف وتورنر عملهما المشترك سنة 1989 حول الاستعارات الشعرية[1]، بوصفه دعامة إضافية تعزّز الطبيعة التّصورية للاستعارة، أو ما سمّاه لايكوف التعميمات القائمة على الاستخدامات الشعرية.

سنحاول في هذا الجزء من العمل أن نركّز على مقاربة نظرية الاستعارة التصورية للاستعارة في مجال الأدب، ونتساءل عن

(1) Cf. George Lakoff and Mark Turner: **More than Cool Reason**: A Field Guide to Poetic Metaphor. University of Chicago Press.1989.

الكيفية التي نظرت بها إليها، وكيف حاولت الاستفادة منها في دعم أطروحاتها، وكيف عالجت حضورها، وما هو الجديد الذي اقترحته بخصوص إبداعيتها؟.

قبل الإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها نقترح هذا التمهيد حول علاقة الاستعارة بالأدب عموما من وجهة نظر معرفية معاصرة.

1. علاقة الاستعارة بالأدب:

تبيّنا مما سبق كيف برهنت نظرية الاستعارة التصورية على شيوع الاستعارات في الفكر كما في اللغة، كما في السلوك البشري اليومي والعادي. والأدب كمنتج ذهني ومتحقق لغويا لا يخرج عن هذا النطاق الاستعاري، يصرّح الباحث فيليز دور[1] في هذا الصدد بأن الأدب يعد وسيلة من الوسائل التي ينقل من خلالها الكتاب آراءهم وأفكارهم ومشاعرهم باستخدام الاستعارات، كما أنّهم يؤثّرون ويحرّكون عقول القرّاء ومشاعرهم. والشعراء بشكل خاص لهم الأفضليّة في الاستفادة من هذه الوسيلة، لإنشاء عدد لا يحصى من القطع الأدبية. يتأتى لهم ذلك فقط لإظهار أنّ الاستعارات هي اللبنات الأساسية في بناء اللغة وتسهم كثيرا في عالم الأدب، ذلك أنه لا يمكن للمرء التفكير في القصائد مثلا

(1) Cf. Filiz Dur: **understanding metaphor**: a cognitive approach focusing on identification and interpretation of metaphors in poetry; thesis of the degree of Master of Arts. The Institute of Social Science; Çukurova University, Adana, 2006. p 4

دون التفكير في بعض العناصر التي تتجسد فيها أكثر، مثل الاستعارات.

إنّ الاستعارات في الأدب وبخاصة في الشعر، بحسب فيليز دور[1]، لها تأثير لا يمكن إنكاره على إبداع وتأويل المعنى، ذلك أنّها تجعل الأدب مثيرا وجالبا للاهتمام لأن يقرأ. إنّها تعطي تمثيلا لأفكار الكاتب وتبني خلفية مشتركة لجميع الناس في مواقفهم المختلفة، باختلاف الزمان والمكان. يمكن للاستعارات أن تستخدم لتوضيح الأفكار بطريقة فريدة من نوعها على عكس مجرّد التلفّظ بها بصفة صريحة. وتماما كما نستخدم الاستعارات في حديثنا اليومي، يستخدم الكتّاب أيضا الاستعارات في الأدب.

أهمية ومكانة الاستعارة في الأدب في علاقتها مـــع فعل القراءة ينقلها الباحث في هذه اللائحة عن سايرة آزاد[2] على النحو التالي:

- توفّر [الاستعارة] للقرّاء أيضا الصور الذهنية (mental pictures) والصور التي يعتزم الكاتب تصويرها، وإنّها تأخذ الأفكار البسيطة وتحوّلها إلى قطع فريدة من الكتابات. هذا هو أحد مظاهر الجمال في اللّغة.

---

(1) Cf. Filiz Dur. ibid .pp 49- 50

(2) Cf. Saira Azad: **Metaphor paper**. Retrieved Nov, 27, 2003. in : Filiz Dur, Ibid. p 50

- اكتشاف معنى الاستعارات في الشعر يمكن أن يفتح أذهاننا على تمثيلات لكلّ كلمة في القصيدة، وبالتالي تؤدّي إلى انفتاح عقولنا على التفكير.

- إنّنا ننشئ أحيانا من مجموعة صغيرة من الكلمات أفكارا جديدة، وآراء، ومشاعر قوية ومثيرة تقيم في أذهاننا. يعد هذا مفيدا أيضا بسبب أنّه يمكن في كثير من الأحيان العثور من خلال الاستعارات على الغاية التي كان يحاول الشاعر أن يوصلها أو يعبّر عنها. وإذا كان القارئ قادرا بطريقة من الطرق على التواصل عاطفيا مع الكلمات التي يقرؤها، ستكون بعدها غاية الشعراء واضحة أمام عين القارئ.

- يمكن للاستعارات في الأدب أن تكون أكثر تعقيدا مهما أُوّلت. إنها تتطلّب تفكيرا عميقا، فقد تتكرر قراءة الاستعارة عدة مرات قبل انتزاع معناها الحقيقي. هذا ما يجعل من الأدب متعة للقراءة وهو يستخدم الاستعارة، فهي ما يضفي ألوانا عليه وبالتالي تجعله جذابا أمام عين العقل.

- الاستعارات جسر للأحاسيس، يمكنها أن ترشد القارئ إلى الفهم. هناك العديد من القصائد تبدو مرهقة جدّا للقارئ، ولكن من خلال توضيح بسيط للاستعارة يمكن الوصول إليه.

إضافة إلى هذا، يعبّر ماكغراث عن وظيفة الاستعارات في الأدب بقوله: "إذا كنت دائما أطرح السؤال: «ما الذي يجعل القصيدة قصيدة؟» فالجواب الأول الذي يتبادر إلى ذهني سيكون استخدام الاستعارات. فمعظم القصائد تعتمد على استعاراتها لأنّها ستكون مفتوحة بغيابها، بلا طعم وفقيرة. إنّ فن الشعر يوضع لتضليل القارئ ودفعه إلى مزيد من البحث بعمق عن المعنى الغامض(...). دون استعارات يصبح الشعر كتابا مفتوحا، رغم أنّه يبقى جميلا، إلا أن الغموض سيرحل ومعه يرحل العامل الرئيسي الذي يجعل من الشعر ذلك الفن الفريد من نوعه"[1].

من جهة أخرى يرى الباحث فيليز دور[2] أن الاقتباسات المذكورة أعلاه تعزّز "شيوع" الاستعارات، ولكنه يظهر أيضا أنه ما يزال للاستعارات مكانة ووظيفة خاصة في الأدب. إن الأدب هو، أولا وقبل كل شيء، تبليغ الفكرة أو الرسالة التي يبعث بها الكاتب إلى القارئ. إنه ليس فعلا إبداعيا فحسب، وإنّما هو فعل تشاركي. ولذلك فمن المهمّ للقارئ أن يفهم كيف استخدم الشاعر الكلمات.

لأجل بيان الحضور المتميّز (كميّا) للاستعارة في الأدب مقارنة بأنواع مختلفة من خطابات غير أدبية يعرض فيليز دور[3] دراسة

---

(1) McGrath, M: **Metaphor in Poetry**. Retrieved Jan (2003), p 207. From: www.carxton.stockton.edu/ magic/profiles.

(2) Cf. Filiz Dur : **understanding metaphor**, ibid. p 47

(3) Cf. Filiz Dur, Ibid. pp 48-49

أجراها بوير Boer (سنة 2003) تدعّم الافتراض القائل بأنّ الاستعارات الأدبية تختلف بطريقة ما عن الاستعارات غير الأدبية.

للتحقّق من هذا الاختلاف المفترض، اتّخذ بوير نصوصا عشوائية من أعداد أخيرة (سنة 1994، وأوائل 1995) من منشورات دورية باللّغة الانكليزية (الأميركية والبريطانية وعدد قليل من الأنواع الأخرى)، كلّها من عنوان مختلف باستثناء ثلاثة أجزاء تخييلية. يبيّن الجدول التالي متوسّط درجات التواتر النسبي للاستعارات لهذه الأنواع، بشكل منفصل بين الأنماط (types) والأنماط المتحققة (tokens) (إذ يمكن لنمط واحد أن يتكرر عدّة مرات). وفقا للجدول وجد تواتر الاستعارات "الأصيلة جدا" أكبر في الشعر مما هي عليه في غيره من الأنواع:

	النوع	متوسطة الوضعية	متوسطة الأصالة	استعارات أصيلة جدا
1. أنماط الاستعارة في 1000 كلمة	شعر	248	192	48
	قصص	200	72	29
	صحافة	256	84	0
2. الأنماط المتحققة للاستعارة في 10000 كلمة	شعر	312	233	71
	قصص	225	80	52
	صحافة	358	84	0
	علوم	468	35	0

تؤكد النتائج الموضّحة في الجدول بالنسبة لفيليز دور، نقلا عن بوير، إحدى أقلّ تأكيدات لايكوف وجونسون المثيرة للجدل، وهي أن الأدب، والشعر بوجه خاص، يتميّز بمقدار كبير ليس من الاستعارات في حدّ ذاتها فحسب، وإنّما من الاستعارات غير الوضعية أيضا.

في الاتجاه نفسه يصرّح الباحثان إلينا سيمينو وجيرارد ستين في مقال مشترك[1] بأنّ معظم الدارسين يتّفقون على أنّ العبارات الاستعارية الموجودة في الأدب هي نمطيا الأكثر إبداعا، وجدّة، وأصالة، ولفتا للنظر، وثراء، وإمتاعا، وتعقيدا، وصعوبة، وحاجة للتأويل، من تلك التي من المرجّح أن تأتي عبر نصوص غير أدبية. وهناك ادّعاء أيضا بأنه كثيرا ما يستخدم الأدباء الاستعارة للذهاب أبعد وتوسيع مواردنا اللغوية و/أو التصورية العادية، وتوفير تبصّرات جديدة ومنظورات داخل التجربة الإنسانية.

2. الاستعارة اليومية والاستعارة الأدبية:

تأتي وجهة النظر المعرفية بخصوص الاستعارة الأدبية منسجمة مع انقلابها الجذري عن النظريات الكلاسيكية بخصوص هذه المسألة أيضا، التزاما منها بتجاوز نظرة النزعة الكلاسيكية إلى

(1) Cf. Elena Semino and Gerard Steen: **Metaphor in Literature**. In The Cambridge Handbook of Metaphor and Thought, Edited by Raymond W. Gibbs. jr. Cambridge University Press 2008. p 235.

اللغة الأدبية، ورؤيتها لوظيفة الاستعارة الرئيسية بكونها تضفي جمالية عليها فحسب، وبذلك تصبح اللغة الأدبية (الشعرية خاصة) لغة غير عادية، وراقية، وليست في متناول الجميع. هذا الاعتقاد فنّدته الأبحاث التي قام بها المعرفيون في السنوات العشرين الماضية، وكان الشعار الذي رفعه لايكوف وتورنر[1] بخاصة أنه من الشائع الاعتقاد أنّ اللغة الشعرية تفوق اللغة العادية – أي أنها بالأساس شيء مختلف، وخاص، وراقٍ، بأدواتها وتقنياتها الاستثنائية مثل الاستعارة والكناية، ووسائل ليست في متناول فرد يريد إجراء محادثات [يومية] فقط. لكنّ الشعراء الكبار، والفنانين الخبيرين، يستخدمون بالأساس نفس الأدوات التي نستخدمها نحن؛ والذي يجعلها مختلفة هو الاستخدام الموهوب لهذه الأدوات، ومهاراتهم في استخدامها، والتي اكتسبوها من اهتمام متواصل، ودراسة، وممارسة.

ليست الاستعارة – حسبهما – إلا وسيلة أو أداة عادية جدا نستخدمها بطريقة لاواعية وبتلقائية، وبقليل من الجهد لا نكاد نشعر به. إنّها كلّية الوجود: فالاستعارة تنتشر في الفكر، وليست شأنا يخص ما نفكر حوله. وهي في متناول كل واحد منا: إذ أننا منذ الطفولة[2] نكتسب الاستعارة اليومية ببراعة وتلقائية. وهي

---

(1) Cf. George Lakoff and Mark Turner: **More than Cool Reason**: A Field Guide to Poetic Metaphor. (1989) , preface .

(2) أشارت بعض الدراسات إلى الاستخدام المبكر للاستعارات عند الأطفال كدليل على امتلاك الذهن البشري لنسق تصوري مبنين استعاريا =

وضعية: فالاستعارة جزء مكمّل لفكرنا ولغتنا العاديين واليوميين. كما أنّه لا يستعاض عنها بغيرها: فهي تتيح لنا فهم أنفسنا وعالمنا بطرق لا تكون ممكنة عبر أساليب أخرى من التفكير.

ويضيف الباحثان بأنّ الشعراء الكبار بإمكانهم مخاطبتنا لأنهم يستخدمون أساليب التفكير التي نملك. ويستخدمون المقدرات التي نشترك فيها جميعا، ما يتاح للشعراء دون الآخرين هو تنوير تجاربنا، وسبر نتائج معتقداتنا، وتحدي طرقنا في التفكير، وانتقاد أيديولوجياتنا.

وفق هذه النظرة المغايرة تبدو الاستعارات الأدبية ظاهرة عادية من منطلق كون الاستعارة التصورية عامة ومشاعة بين الجميع، وبالتالي لا تعد إبداعا فريدا من نوعه لشعراء أفذاذ، إنّهم بالأحرى جزء من المجتمع الذي ينتمون إليه، يفكّرون ويستخدمون نفس النسق التصوري الذي تبنينه التجربة المشتركة، بما فيها التجارب الثقافية، إلا أنّ أفضليتهم تكمن في امتلاكهم المقدرة على التوسل بالاستعارات العادية التي نحيا بها جميعنا من أجل أخذنا أبعد منها، لجعلنا أكثر تبصّرا مما سنكون عليه إذا ما بقينا نفكر بطرق معيارية ووضعية فقط.

نفهم مما سبق أن الاستعارة اليومية أو النسق الاستعاري اليومي والعادي يمثّل الأساس أو المنطلق الذي تقوم عليه

=بالأساس. ينظر مثلا: عبد الإله سليم: **بنيات المشابهة في اللغة العربية**. ط1، دار توبقال للنشر-المغرب، 2001. ص 74 وما بعدها.

الاستعارات التي يبدعها الشعراء، لذا يرى لايكوف وتورنر أنّ السبيل الوحيد لفهم طبيعة وقيمة الإبداع الشعري للاستعارة يتطلب منّا أن نفهم الطرق العادية التي نفكر بها أولا، لاتخاذه ربما المعيار أو المقياس الذي نقيس به إبداعية هؤلاء.

في هذا الاتجاه يتساءل كوفيتش[1] عن العلاقة بين الاستعارات المستخدمة في اللغة اليومية وتلك المستخدمة في الأدب، بما في ذلك الشعر؟ وهل أن الاستعارات الأدبية تشكّل صنفا متميزا ومستقلا عن الاستعارات اليومية؟، ويجيب مصرّحا بأن هناك فكرة شائعة وسط الناس العاديين والدارسين على حد سواء بأنّ المصدر "الحقيقي" للاستعارات هو الأدب والفنون. إنّه الاعتقاد بأنّها نبوغ إبداعي للشاعر والفنان اللّذين يبدعان أمثلة استعارية أكثر أصالة. وحسبه فإنّه متى ما أتيحت لنا فرصة فحص هذه الفكرة من وجهة نظر لسانية معرفية، سنجدها فكرة صحيحة ولكن جزئيا فقط، وأنّ اللغة اليومية والنسق التصوري اليومي يسهمان بقسط وافر في عمل النبوغ الفني. ومع ذلك فإن هذا لا يدفع للادعاء بأن الشعراء والكتاب لا يبدعون استعارات جديدة وأصيلة؛ إنهم يفعلون ذلك بشكل جلّي، ومتى حصل وأنتجوا استعارات جديدة، فغالبا ما نحس بها "تقفز خارجا" من بين ثنايا النص؛ إنّ لديهم ميولا لجعلها لافتة للنظر بواسطة تأثير تواترها غير العادي أو أسلوبها الغريب.

(1) Cf. Zoltán kövecses: **Metaphor, a Practical Introduction**, p 49.

في المنوال نفسه يصرح رايموند غيبس[1] أنّ لغة الشعراء الكبار هي بشكل واضح أكثر إبداعية، أو شعرية، عن تلك التي يستخدمها أغلب المتكلّمين العاديين. ولكن كلا من الشعراء والناس العاديين يستفيدون من نفس الخطاطات المجازية للتفكير في قول ما يودّون قوله.

ويضيف كوفيتش بأنّ الاستعارات الأصيلة والإبداعية من النوع البنيوي تبدو أقل تواترا في الأدب عن تلك الاستعارات المتأسسة على نسقنا التصوري العادي واليومي. إنّ احدى الاكتشافات المذهلة من قبل اللسانيين المعرفيين حول عمل اللغة الشعرية هي اكتشاف تأسس معظم اللغة الشعرية على استعارات تصورية عادية ووضعية.

ويصرّح لايكوف[2] في المنوال نفسه في نظريته المعاصرة بخصوص الاستعارة الجديدة على أنّه إلى أواخر السبعينيات، كانت الاستعارة تؤخذ على أنها تعني الاستعارة الجديدة، بما أنّ النسق الضخم من الاستعارة الوضعية بالكاد كان قد لوحظ. لهذا السبب، فإنّ الكتاب لم يتناولوا أبدا مسألة كيف يمكن لنسق الاستعارة الوضعية أن يوظّف في تأويل الاستعارة الجديدة التي يكون بروزها نادرا مقارنة بالاستعارة الوضعية التي تبرز في معظم الجمل التي

(1) Cf. Raymond w. Gibbs, Jr: The **poetics of mind**. Cambridge University Press. 1994. p 1.

(2) Cf. George Lakoff: **The Contemporary Theory of Metaphor** (1993).p 237.

نتلفظ بها. إنّ نسقنا الاستعاري اليومي، والذي نستخدمه لفهم التصورات المألوفة مثل الزمن، الحالات، والتغيرات، والسببية، والأغراض، وما إلى ذلك، هو نشط باستمرار، ويتم استخدامه إلى الحد الأقصى في تأويل الاستعمالات الاستعارية الجديدة للغة. وتكمن المشكلة مع جميع البحوث المبكرة حول الاستعارة الجديدة هو في التغييب التام للإسهام الرئيسي للنسق الوضعي.

يشير لايكوف هنا إلى ثلاث آليات أساسية لتأويل العبارات اللغوية بوصفها استعارات جديدة وهي:

- توسعات في الاستعارات الوضعية؛
- استعارات المستوى الشامل؛
- استعارات الصورة.

والأكثر إثارة للاهتمام – حسب لايكوف- أنّ الاستعارة الشعرية تستخدم كل هذه الآليات مركبا بعضها فوق بعض. للتوضيح يمثّل لايكوف للتوسّعات في الاستعارات الوضعية بأمثلة شعرية منها بيتي دانتي الذي يستهل بهما الكوميديا الإلهية:

"في منتصف طريق حياتنا

وجدت نفسي في غابة مظلمة"[1]

(1) ينظر: دانتي أليجيري: **الكوميديا الإلهية**، تر حسن عثمان، ط3، دار المعارف مصر، ص 82.

يحلّل لايكوف البيتين بقوله إنّ "طريق الحياة" يستحضر مجالي الحياة والسفر، وبالتالي ما يربط بينهما هي الاستعارة الوضعية: **الحياة سفر**. وقوله "وجدت نفسي في غابة مظلمة" يستحضر معرفة أنه إذا كان هناك ظلام فلا يمكنك رؤية الطريق الذي يجب أن تسلكه، يستحضر هذا مجال الرؤية، وبالتالي تحضر الاستعارة الوضعية: **المعرفة رؤية**، كما في عبارات: "أنظر ما الذي ستحصل عليه لو..."، "فرضياته ليست واضحة"... الخ. يقتضي هذا أنّ المتكلم لا يعرف الطريق الذي يجب أن يسلكه، وبما أن استعارة **الحياة سفر** تحدّد الغايات على أنها أهداف الحياة، فإنّها تقتضي أن المتكلم لا يعرف ما هي أهداف حياته حتى يواصل مسيره، وهذا يعني أنه يحيا بلا غاية يسعى إليها. لا يتطلب كل هذا استخدام شيء عدا نسق الاستعارة الوضعي، والبنية المعرفية العادية يستدعيها المعنى الوضعي للجملة، والاستنتاجات الاستعارية تتأسس على بنية المعرفة هذه.

حالة أخرى بنفس القدر البسيط من استخدام النسق الوضعي نعثر عليها في بيتي روبرت فروست[1] (Robert Frost):

" طريقان يفترقان في غابة، وأنا-

---

(1) شاعر أمريكي عاش بين (1874-1963). ينظر النص بلغته الأصلية كاملا في:

-Robert Frost; poems , publisher: poemHunter.Com -The World's Poetry Archive, 2004 , p107

أخذت أقصرهما سفرا، ذاك الذي صنع الفرق كلّه"[1].

يعلّق لايكوف على المقطع بأنه ما دامت لغة فروست لا تؤشر غالبا وبشكل صريح على أنّه ينبغي التعامل مع القصيدة استعاريا إلا أنّ المدرسين غير الأكفاء يدرّسون فروست أحيانا كما لو كان شاعر الطبيعة، همّه الوحيد وصف المشاهد ببساطة. وهكذا يمكن قراءة هذا المقطع لا استعاريا كحال شخص بصدد القيام برحلة تجوّلية سرعان ما يحلّ بمفترق طرق. وبرغم أنه لا يوجد شيء في الجمل بذاتها يجبر أحدا على تأويلها استعاريا، إلا أنه نظرا لكونه بصدد سفر وأنه يلاقي مفترق طرق، فإنها تستحضر المعرفة حول الأسفار. هذا ما يحفّز نسق الاستعارة الوضعية لدينا حيث تفهم الأنشطة الهادفة طويلة الأمد كأسفار، وكذلك الحياة والوظائف يمكن أيضا أن تفهم على أنها أسفار الشخص الواحد (علاقات الحب، التي تتضمن مسافرين اثنين مستبعدة هنا). نمطيا تؤخذ القصيدة على أنها تتعلق بالحياة واختيار أهداف الحياة، على الرغم من إمكانية تأويلها أيضا على أنها حول الوظائف والمسارات المهنية، أو عن بعض النشاطات الهادفة البعيدة الأمد. كلّ ما هو مطلوب للحصول على مجموعة من التأويلات المطلوبة، بحسب لايكوف، هو بنية الاستعارات الوضعية، وبنية المعرفة التي تستحضرها

(1) هي ترجمة حرفية في الغالب ودون مراعاة لوزن الأبيات أو قافيتها لأجل التوضيح فقط، وتستثنى من ذلك الترجمات الأخرى المنشورة المشار إلى مراجعها في الهوامش.

القصيدة، وسوف يطبق الربط الوضعي على بنية المعرفة التي تطاوع الاستنتاجات المناسبة. ليس هناك حاجة إلى آليات خاصة.

أمثلة أخرى اقترحها كوفيتش[1] عندما أورد ثلاث قصائد كاملة توضيحية، نكتفي بإيراد هذه الأبيات من القصيدة الأولى وتعليقه عليها: وهي أبيات من قصيدة من شعر القرن التاسع عشر للشاعرة كريستينا جيورجينا روسيتي[2] (Christina Georgina Rossetti) التي تقول:

"هل سيأخذ سفر اليوم طوال هذا اليوم كلّه؟

من الصباح إلى الليل، يا صديق.

ولكن هل هناك للّيل من موضع للهجوع؟

مأوّى حيث تبدأ الساعات السوداء البطيئة.

ألا يمكن للظلمة أن تحجبها عن وجهي؟

إنّكِ لا تستطيعين آنسة هذا الخان

هل سألقى عابر سبيل آخر بهذا الليل؟

---

(1) Cf. Zoltán kövecses: **Metaphor, A Practical Introduction**. pp 50-51

(2) شاعرة أمريكية عاشت بين (1830-1894). ينظر النص بلغته الأصلية في:

- Christina Georgina Rossetti ; poems , publisher: poemHunter.Com -The World's Poetry Archive, 2004 , p79

هؤلاء الذين مضوا قبلي

إذن أيجب علي أن أطوف أو أن أتساءل متى سأبصر فقط؟"

يعلّق كوفيتش قائلا بأنه يمكننا أن نتّفق بشكل واضح على ارتباط الأبيات بمسألتي الحياة والموت. لكن السؤال الذي يطرح نفسه: ما الذي يجعلنا نطمئن بثقة أكبر إلى أن للقصيدة هذا التأويل الضمني "العميق"؟.

يجيب كوفيش بأنّه من وجهة نظر معرفية للاستعارة، يمكن اقتراح استناد هذا الحكم على الاستعارة التصورية التي تربط الحياة والموت بالسفر. الاستعارة المعروفة بالنسبة إلينا الآن هي: **الحياة سفر، والموت نهاية سفر**. وبرغم عدم وجود إشارة للحياة والموت في القصيدة كلّها إلا أن استعارة السفر للحياة والموت تقودنا إلى إعطائها هذا المعنى. هذا التأويل تعزّزه استعارات إضافية موظفة في القصيدة وهي استعارات وضعية في نسقنا التصوري اليومي بتمامها. فالبيت الشعري: "من الصباح إلى الليل، يا صديق" يستحضر استعارة **العمر يوم**؛ والكلمات "حيث تبدأ الساعات السوداء البطيئة" تستحضر الاستعارة الوضعية **الحياة نور، والموت ظلمة**؛ والبيت: "ولكن هل هناك لليل من موضع للهجوع؟" تستحضر الاستعارتين الوضعيتين: **الموت ليل، والموت سكون**،...الخ. هذه الاستعارات الوضعية التي هي جزء من نسقنا التصوري اليومي ترشدنا وتوجّهنا إلى فكرة أن القصيدة ليست ببساطة حول سفر يوم ينتهي ليلا ولكنها حول الحياة والموت.

ويظهر الاعتقاد بكون هذا التأويل أمرا طبيعيا لأن الاستعارات التي تربط تصور السفر بتصور الحياة والموت هي طبيعية أيضا.

بعد تحليل أمثلة أخرى يصل كوفيتش إلى نتيجة تؤشر على نفس الخلاصة العامة: بأن الاستعارات التي يستخدمها الشعراء تتأسس على الاستعارات الوضعية اليومية.

فالاستعارات اليومية إذن، ليست أمورا يخلفها الشعراء والكتاب وراءهم متى ما أنجزوا عملا "إبداعيا". على عكس ذلك، تقترح البراهين المتراكمة أنّ أهل "الإبداع" يعتّرون من استخدام الاستعارات الوضعية واليومية، وأن إبداعهم وأصالتهم إنّما تستمد في الواقع منها.

ولكننا نتساءل كيف يجري كل هذا بالتحديد؟ كيف يمكن ضبط العلاقة التي تربط بين الاستعارات العادية والاستعارات المستخدمة في الأدب؟.

فيما يلي تفصيل لآليات وتقنيات إبداع الاستعارة في الأدب انطلاقا مما توفره الاستعارات الوضعية، وفقا لمقترحات نظرية الاستعارة التصورية من وجهة نظر لايكوف وتورنر بوجه خاص.

3. آليات استخدام الاستعارة الأدبية:

تقترح نظرية الاستعارة التصورية عدّة مداخل للإمساك بالآليات التي يستعين بها الأدباء في استخدامهم للاستعارة، يمكن إجمالها في ما يلي:

3 . 1 . التصرف في استخدام الاستعارة الوضعية :

وفقا لكوفيتش[1] (فيما ينقله عن لايكوف وتورنر) يمكن تمييز أساليب عديدة ومتنوعة يوظّفها الأدباء، ومنهم الشعراء، على نحو منتظم لإبداع "صور" ولغة جديدة غير وضعية، انطلاقا من الموارد الوضعية للغة والفكر اليوميين. هذه الأساليب أو الآليات هي: التوسيع (Extending)، التدقيق(Elaboration)، الارتياب (Questioning)، والتوليف (Combining).

3 . 1 . 1 . التوسيع:

يتمّ من خلاله عكس الاستعارة التصورية الوضعية المرتبطة ببعض التعابير اللغوية المتواضع عليها بوسائل لغوية جديدة تستند إلى عرض عناصر تصورية جديدة في المجال المصدر (أي إضافة عناصر جديدة للمصدر واستخدامها). أبيات فروست السابقة هي مثال جيد:

"طريقان يفترقان في غابة، وأنا-

أخذت أقلهما سفرا، ذاكَ الذي صنع الفرق كلّه".

يوظف فروست الاستعارة الوضعية **الحياة سفر** ويعبّر عنها بطريقة جديدة باستحداث العنصر الذي يشير إلى حالة وجود

---

(1) Cf. Zoltán kövecses: **Metaphor, a Practical Introduction**. pp 53-56.

طريقين يؤديان إلى الغاية نفسها (وليس طريقا واحدا)، أحدهما يمكن أن يكون أطول أو أقل سفرا من الآخر.[1]

الاستعارة الوضعية نفسها نجدها موسعة في بيتَي دانتي سالفي الذكر أيضا:

" في منتصف طريق حياتنا،

وجدت نفسي في غابة مظلمة".

تنشأ الجدّة هنا من العنصر غير الوضعي في إمكانية مرور طريق الحياة خلال غابة مظلمة. هنا وسّع دانتي الاستعارة بإضافة هذا المظهر غير الوضعي لها، إضافة إلى ما سبق ذكره عن استعارة **المعرفة رؤية**.

ما نجده شائعا في كلتا الحالتين أنّ كلا الشاعرين أخذ الاستعارة التصورية الوضعية **الحياة سفر** وصوّرها بلغة متواضع عليها تستند تصوريا على عنصر "غير مستخدم" من عناصر المصدر.

---

(1) يفهم من هذا التحليل الذي يعرضه كوفيتش أن إضافة طريق ثان يعد بمثابة عنصر جديد رغم أنه يظل العنصر نفسه (الطريق المنتمي إلى مجال السفر)، وبالتالي نفهم أن التوسيع هنا لا يعني اشتراط استحداث عنصر مغاير تماما.

3 . 1 . 2 . التدقيق:

يختلف عن التوسيع بأن يتم فيه التدقيق في عنصر موجود في المصدر بطريقة غير مستخدمة. فبدل أن يضاف عنصر جديد إلى هذا المجال، يتصرف في عنصر موجود من قبل بطريقة جديدة غير وضعية. مثال ذلك نعثر عليه في قصيدة أدريان ريتش (Adrienne Rich): "مظهر الغضب"، نختار منها هذه الأبيات الموضّحة لهذه الآلية:

" تخيّلات الجريمة: لا تكفي:

القتل هو انقطاع عن الألم.

ولكن القاتل يمضي على إيذاء

غير كاف. متى ما أحلم بلقاء

العدو، هذا هو حلمي:

الأستيلين الأبيض

يموج من جسدي

عفويا ينطلق

على العدو الحقيقي"

يرى كوفيتش أنه عندما نفهم هذه القصيدة، فإننا نحفز في أذهاننا واحدة من الاستعارات الأكثر وضعية لتصور الغضب: **الغضب هو سائل حار في وعاء.** هذه الاستعارة العادية تبدو جلية

في مثل هذه الأمثلة اللغوية اليومية: "اضطرم غضبا"، "جعل دمه يغلي"،... والكثير منها. في قصيدة ريتش، يكتسب السائل الحار تدقيقا بوصفه أسيتيلين [مادة كيميائية]، والحدث الإيجابي للانفجار، بدل السلبي، يأخذ مكانه بتصويب المادة الخطرة للأسيتيلين إلى هدف الغضب [العدو]. عندما عدّلت ريتش السائل الحار وجعلته مادة خطرة فإنّها أنجزت فعلا (لاواعيا) بإدخال تدقيق على الاستعارة اليومية. هنا ينشأ الجزء الأكبر لحدسنا بالقصيدة من تعرفنا (اللاواعي) على هذه النظرة الاستعارية للغضب العادية تماما والمألوفة.

3 . 1 . 3 . الارتياب:

يمكن بهذه الأداة الشعرية أن يدعو الشعراء بطريقة استفهامية إلى النظر في مدى ملاءمة استعاراتنا اليومية المشتركة بصفة فضلى. للنظر في مثال من هذا القبيل، ننظر في الأبيات التالية لكاتولوس[1] (Catullus):

" يمكن للشمس أن تغرب وتعود لتشرق من جديد،

ولكن عندما يغادرنا نورنا الضئيل،

هنالك ليلة أبدية واحدة لننام خلالها"

---

(1) غايوس جاليريوس كاتولوس، شاعر روماني شهير عاش بين (87- 57 ق م)، ينظر عنه: أحمد عثمان: **الأدب اللاتيني ودوره الحضاري**، ط عالم المعرفة-الكويت، 1989، ص 103 وما بعدها.

يعلّق كوفيتش على هذه الأبيات بأنّ الشاعر يبرز أنه عند الموت تصبح بعض استعاراتنا الأكثر شيوعا عن الحياة والموت، مثل **العمر نهار والموت ليل**، غير مناسبة بسبب أن الموت هو "ليلة أبدية واحدة للنوم خلالها"، ما يعني أن الموت بوصفه ليلا استعاريا لا يعود إلى نهار من جديد: أي ما إن يصيبنا الموت، فإننا لا نعود نحيا من جديد. بعبارة أخرى، في الوقت الذي يحتفظ فيه باستعاراتي **العمر نهار والموت ليل**، تكون فعاليتهما أو ملاءمتهما مدعاة للارتياب والشك، نتيجة كون المجالان المصدر الاستعاريان (النهار يصبح ليلا والليل يصبح نهارا) لا ينطبقان على المجالين الهدف (الحياة تصبح موتا، ولكن الموت لا يصبح حياة مرة أخرى). بمعنى أن كاتولوس لاحظ ملاءمة جزئية فقط لهاتين الاستعارتين.

يطرح كوفيتش هنا مسألة ارتباط هذه الآلية المعرفية (الارتياب في فعالية الاستعارات المقبولة) "بالعقيدة الدينية" للفنان، كإشارة في هذا المثال إلى الحياة الأخروية بعد الموت، وبالتالي انتفاء التشكيك في فعالية الاستعارة ذات الصلة.

3 . 1 . 4 . التوليف:

قد يكون التوليف الآلية الأكثر فعالية للذهاب بعيدا بنسقنا التصوري اليومي، برغم بقائه مرتبطا باستعمال موارد التفكير الوضعي اليومي. ويعد أداة معتنى بها كثيرا، يتم من خلالها تفعيل العديد من الاستعارات اليومية في الآن نفسه. مثال عن ذلك هذه

الأبيات من قصيدة "استعارات" (Metaphors) لسيليفيا بلاث[1] (حول لغز المرأة الحامل):

" لغز أنا في تسعة مقاطع،

فيل، ومنزل ثقيل

بطيخ، يتجول على ساقين.

أي فاكهة حمراء، بأخشاب رفيعة عاجية!

وهذا الرغيف الكبير بخميرته المرتفعة.

والنقود المسكوكة حديثا في المحفظة الثخينة هذه

أنا وسيلة، خشبة مسرح، بقرة بعجل.

قطار مركوب، وليس ثمّة نزول."

ما قامت به "بلاث" هنا أنها ألّفت في قصيدتها بين العديد من الاستعارات التصورية الوضعية[2] مثل:

الناس نباتات: البطيخ يمشي على ساقين؛

الناس حيوانات: فيل، بقرة بعجل؛

الناس فواكه: فاكهة حمراء؛

---

(1) Cf. The collected poems. Sylvia Plath. Edited by Ted Hughes, Harper & Row, Publishers, New York. 1981, p 116

(2) Cf. Filiz Dur : **understanding metaphor**. pp 53-54.

الحياة سفر: قطار مركوب، وليس ثمة نزول.

مثال آخر لشكسبير يعرضه كوفيتش[1]، عبارة عن أبيات من السوناتة رقم 73:

" في كياني ترى الشفق الذي كان في ذلك اليوم

يذوي في الغرب مثل الشمس بعد الغروب،

تأخذها الليلة الظلماء رويدا رويدا إلى مكان بعيد،

حيث الوجه الآخر للموت الذي يطوي الجميع في هدوء." [2]

يقول كوفيتش إنّ هذه الأبيات تؤلف على الأقل بين خمس استعارات تصورية يومية: النور مادة، الأحداث أعمال، الحياة امتلاك شيء نفيس، العمر يوم، والحياة نور. وتقوم عملية التوليف التي يمكنها أن تفعّل استعارات يومية عديدة في الوقت نفسه على هذه الاستعارات، كما تتجلى في هذه العبارة "تأخذها الليلة الظلماء رويدا رويدا إلى مكان بعيد" أين نجد توليفا للاستعارات التالية:

- الظلماء: العمر يوم، الحياة نور، الموت ليل.
- الليلة: الموت ليل، الحياة نور.

---

(1) Cf. Zoltán kövecses: **Metaphor, a Practical Introduction**. p55.

(2) بدر توفيق: **سونيتات شكسبير الكاملة**، ترجمة، ط1 مؤسسة أخبار اليوم، مصر، 1988، ص 92.

- تأخذها..إلى مكان بعيد: الحياة امتلاك شيء نفيس، الأحداث أعمال.

ما توضحه هذه الأمثلة الشعرية وغيرها أن الشعراء والأدباء يستعينون بهذه الآليات الأربع في تصرفهم في الاستعارة الوضعية اليومية، غير أننا وجدنا النظرية المعرفية للاستعارة تقترح آليات أخرى لا يبدو أن أهميتها تقل عن هذه، وهي: التشخيص، واستعارات الصورة، والاستعارة الكبرى:

3 . 2 . التشخيص:

التشخيص(Personification) أداة استعارية تستخدم أيضا بصفة شائعة في الأدب. يعرض علينا كوفيتش[1] أمثلة شعرية عن إحدى التصورات المجردة المشخصة بصفة متكررة في الأدب، إنه: "الزمن"، الذي يشخّص بطرق عديدة منها:

- **الزمن لصّ**: "كيف يمضي سريعا هذا الزمن، سارق الشباب الحاذق" (ميلتون، السوناتة 7)

- **الزمن حاصد**: "ليس الحب ألعوبة الزمن، حتى لو كانت شفاهه وخدوده الوردية

واقعة في قبضة منجله المطبقة" (شكسبير، السوناتة 116)[2]

(1) Cf. Zoltán kövecses : **Metaphor, a Practical Introduction**. p 56

(2) بدر توفيق: **سونيتات شكسبير الكاملة**، ص 140.

- **الزمن مفترس**: "الزمن، مفترس كل شيء" (أوفيد)

وغير ذلك من التشخيصات، مثل: الزمن مدمّر، مقيّم، مشرّع، مُلاحِق...الخ.

يسمح لنا التشخيص باستخدام معارفنا عن أنفسنا لاستيعاب المظاهر أو الجوانب الأخرى من العالم، مثل الزمن، الموت، القوى الطبيعية، الأشياء غير الحية... الخ. لكن ما يدعو للتساؤل، حسب كوفيتش، سبب استخدام أنواع محدّدة من الأشخاص دون آخرين لتشخيص هدف ما. أو بأكثر تخصيص، لماذا نستخدم المجالات المصدر المذكورة أعلاه (الممثلة لأنواع مختلفة من الأشخاص) لفهم الزمن؟.

ننقل في هذا الصدد إجابة لايكوف[1] الذي طرح السؤال نفسه، ومناقشته لمسألة التشخيص كما وضّحها في نظريته المعاصرة، يتعلق الأمر بتشخيص الموت الذي وجده مشخّصا في قصائد عديدة بعدد قليل نسبيا من الطرق وهي: السائقون، الحاصدون، المفترسون والمهلكون، أو المصارعون في صراع أو لعبة. يطرح لايكوف هنا السؤال نفسه بشكل طريف قائلا: لماذا هذه؟ لماذا لا يشخّص الموت كمدرّس أو نجّار أو بائع مثلجات؟. إذا كانت تبدو تلك التي تحدث مرارا وتكرارا مناسبة أكثر، فلماذا هي دون غيرها؟.

(1) Cf. George Lakoff: **The Contemporary Theory of Metaphor**, pp 231-232.

في دراسة التشخيص بشكل عام، وجد لايكوف أنّ عددا كبيرا منه يبدو مناسبا لقالب واحد هو أن: **الأحداث** (كحدث الموت) تفهم من خلال **الأعمال** التي يقوم بها فاعل ما (الحاصد مثلا)، ويكون الفاعل هو المستخدم في التشخيص. بناء عليه يفترض لايكوف استعارة جد عامة هي استعارة **الأحداث أعمال**[1]، التي تؤلّف على نحو مستقل استعارات الحياة والموت مع غيرها، مثال ذلك استعارة **الموت رحيل**، فالرحيل هو حدث، وإذا فهمنا هذا الحدث باعتباره عملا يسببه بعض الأشخاص-الفاعلين الذي يحدثون، أو يساعدون على إحداث الرحيل، يمكننا اعتبارهم إذن أشخاصا مثل السائقين، والمصارعين،...الخ. أو لنأخذ استعارة **الناس نباتات**، فما يلاحظ في المسار الطبيعي أن النباتات تذبل ثم تموت. ولكن إذا كان لنا أن نرى ذلك الحدث كعمل يسببه بعض الفاعلين، فالفاعل في هذه الحالة هو الحاصد.

باختصار، يرجع سبب تخصيص بعض التشخيصات دون بعض إلى استعارة المستوى العام **الأحداث أعمال**. يقتضي هذا، بحسب كوفيتش، نتيجة هامة، وهي أننا نرى الأحداث بوصفها

---

(1) هي استعارة المستوى الشامل التي تستعمل لتصور الأحداث بوصفها أعمالا. أحد الأمثلة عنها عندما نشير إلى حدث موت الجسد بوصفه رحيلا (فنقول مثلا: لقد غادرنا إلى الأبد؛ لقد رحل عنا بغير عودة...) أين ينظر إلى الموت كحدث والرحيل كعمل مقصود. ينظر:
- Cf. Zoltán kövecses : **Metaphor, A Practical Introduction**. p 270

منتوجا لعامل وفاعل يقصد ذلك. أي بما أنّ الأعمال لها مثل هذا الفاعل، سنرى الأحداث بنفس الطريقة. والنتيجة ستكون تشخيص الأحداث، مثل الزمن والموت.

أما بخصوص "الزمن" فهو حدث خارجي يظهر مستقلا عن الكائنات البشرية؛ ومن ثم يمكنه أن يتبدى كفاعل، مثل لص، أو حاصد، أو ملاحق، وهلم جرّا. أما لماذا هؤلاء الفاعلين المخصوصين؟ فالأمر يعود جزئيا إلى أننا نملك بعض الاستعارات لتصورات تجعل الزمن مؤثرا في الحياة، والناس، وغير ذلك. مثلا، مع استعارة **الحياة امتلاك شيء نفيس**، يمكن تصوّر الزمن كلصّ يسرق هذا الشيء النفيس والثمين؛ ومع استعارة **الناس نباتات**، يمكن أن يتصور الزمن كحاصد يمكنه قتل الناس. بصفة عامة، إننا نفهم الزمن استعاريا بوصفه مبدّلا، كيان يمكنه التأثير في الناس والأشياء، بطرق متعارضة بصفة خاصة. وهذه المعارف حول الزمن تشرح الكثير من التشخيصات التي نستخدمها عنه. والكثير من التصورات المجردة الأخرى، كالموت مثلا، يمكن تحليلها بطرق مماثلة.

3 . 3 . استعارات الصورة[1] :

يزخر الشعر على الخصوص بالاستعارات التصورية المتأسسة على الصورة، تسمى استعارات الصورة (image metaphors)

---

(1) Cf. George Lakoff: **The Contemporary Theory of Metaphor**. pp 229-231.

التي هي غنية بالتفصيل التصويري ولكنها لا تستخدم خطاطات الصورة. مثال ذلك هذا البيت الشعري المأخوذ عن قصيدة لأندريه بريتون[1] (Andre Breton):

" زوجتي... خصرها ساعة رملية"

حسب لايكوف تمّ في هذا البيت ربط المظهر العام للساعة الرملية بالمظهر العام لمظهر المرأة. بإمكاننا أن نستنتج هنا أنه إذا كان خصرها ساعة رملية، فإنها تملك خصرا دقيقا بنسبة معينة لبقية جسدها، بنفس النسبة التي تخص الجزء المركزي للساعة الرملية وبقية أجزائها. لكن الكلمات الفعلية لهذه الاستعارة لا تخبرنا عن أي جزء من الساعة الرملية يتم ربطه بجسد المرأة. وبرغم ذلك، يعرف القارئ بالضبط ما هي هذه الأجزاء. هذا التفصيل يصنع استعارات الصورة التصورية، بدل أن يكون الأمر مجرد استعارات لغوية.

يشير لايكوف إلى أن وظيفة هذا الصنف من الاستعارات هي ربط إحدى الصور الذهنية الوضعية بصورة أخرى، ما يتناقض مع الاستعارات الأخرى، أين تربط كل واحدة منها أحد المجالات التصورية بمجال آخر، وغالبا ما يتم ربط العديد من التصورات في المجال المصدر بالعديد من التصورات الموافقة لها في المجال الهدف. استعارات الصورة، على النقيض من ذلك، هي استعارات

(1) Cf. Andre Breton: poems, publisher: poemHunter.Com -The World's Poetry Archive, 2004, p3.

"اللقطة-الواحدة" (one-shot): إنها تربط صورة واحدة فقط بصورة أخرى. مثال آخر عن ذلك هذه القصيدة من التراث الهندي:

"الآن فتاة الأنهار

مطوّقة بالسمك الفضي

تتحرك ببطء كفتاة عاشقة

عند الفجر بعد ليلة أمضتها وأحباءها"

تمّ هنا ربط صورة المشية البطيئة والمتعرّجة لفتاة هندية بصورة تدفق بطيء، ومتعرج، ومتلألئ لأحد الأنهار. ولمعان صف من الأسماك متخيل كلمعان الحزام. إن عمل ترابطات الصورة الاستعارية يضاهي طريقة عمل الترابطات الأخرى جميعا: من خلال ربط بنية مجال ببنية مجال آخر. ولكن هنا، المجالان هما صورتان ذهنيتان وضعيتان. ففي بيت أندريه بريتون "زوجتي... خصرها ساعة رملية"، هناك إطباق لصورة الساعة الرملية على صورة خصر المرأة بحكم شكلهما المشترك. وفي هذا دليل على أن الاستعارة هي تصورية، وليست في الكلمات بحد ذاتها، وإنّما في الصور الذهنية. هنا يكون لدينا الصورة الذهنية للساعة الرملية وللمرأة، ونحن نربط وسط الساعة الرملية بخصر المرأة. ما يلاحظ أنّ الكلمات لا تخبرنا عن أي جزء من الساعة الرملية تم ربطه بالخصر. فدور الكلمات ينحصر في الحث على ربط إحدى الصور

الوضعية بصورة أخرى، بمعنى أن الكلمات تدفعنا لإجراء ربط تصوري بين الصور الذهنية الوضعية. وبأكثر تخصيص، نحن نربط مظاهر البنية جزء-كل (the part-whole structure) لإحدى الصور بمظاهر البنية جزء-كل لصورة أخرى. إلا أن ترابط الصورة يمكن أن يشتمل على أكثر من ترابط العلاقات جزء-كل المادية أو المجسمة، مثال ذلك صورة الجريان البطيء لماء النهر أين يمكن ربط هذا البطء الذي هو جزء من صورة دينامية (dynamic image)، بنزع بطيء للملابس، كما في هذه الأبيات:

"بطيئا بطيئا يكشف النهر في الخريف

عن شطوط رملية

خجولا في أول حبه لامرأة

بكشف عن فخذيها".

ما يلاحظ في الأبيات خاصيات أخرى يتم ربطها أيضا هي: ربط لون رمال الشاطئ بلون البشرة، وكمية الضوء الساقطة على رمل الشاطئ المبلل تربط على انعكاسية البشرة، والضوء الكاشف لتماس الماء المنحسر أسفل الشاطئ على الضوء الكاشف لانحسار اللباس عن البشرة. إن الكلمات في القصيدة لا تخبرنا شيئا عن أي ألبسة تتضمنها القصيدة، إنما نحصل على ذلك من الصورة الذهنية الوضعية. فقد تم ربط البنية جزء-كل أيضا في هذا المثال: إذ يغطي الماء الجزء المخفي من الشاطئ مثلما تغطي الملابس الجزء المستور من الجسد. وتوالد التفصيل في الصور يحصر الترابطات-الصورة

(image-mappings) إلى حالات عالية الخصوصية ما يجعل منها ترابطات اللقطة الواحدة. هذه الترابطات لصورة واحدة على أخرى يمكن أن تقودنا إلى ربط المعارف بالصورة الأولى بالمعارف بالصورة الثانية. كما يتجلى في هذا المثال الثالث:

"حصاني بلبدة من أقواس قزح صغيرة".

هذا البيت الذي يأتي في قصيدة تحوي سلسلة من مثل الترابطات الصورة كهذه يحلّله لايكوف بالقول إن بنية قوس قزح، وحزمته من خطوط منحنية مثلا، يتم ربطها بشكل قوس الشعر المنحني، والكثير من أقواس قزح تربط بالكثير من هذه المنحنيات على لبدة الحصان. ترابط الصورة هذا، يتيح لنا ربط تقديرنا للمجال المصدر بالمجال الهدف. فنحن نعرف أن أقواس قزح جميلة، فريدة، ومثيرة، ترمز للحياة، ويكتنفها الغموض تقريبا، وأن رؤيتها تمنحنا غبطة وذهولا. هذه المعارف يتم ربطها بما نعلمه عن الحصان: فهو أيضا مذهل بإمكاناته، جميل، ونابض بالحياة، وغامض تقريبا.

3 . 4 . الاستعارات الكبرى:

هذا النوع من الاستعارات الكبرى (megametaphors)، أو هذا الاصطلاح، لم يشر إليه لايكوف أو تورنر في أعمالهما ولكن أخذه كوفيتش[1] عن بول ويرث (Paul Werth)، ملاحظا أن بعض الاستعارات، وضعية كانت أم جديدة، يمكن أن تسري

(1) Cf. Zoltán kövecses: **Metaphor, a Practical Introduction**. pp 57-58.

خلال النصوص الأدبية بأكملها من دون "تسطيح" بالضرورة. ما نجده في المستوى السطحي للنص الأدبي هي استعارات صغرى (micrometaphors) مخصوصة، ولكن الاستعارات "المندرجة خلفها" هي استعارات كبرى هي ما يصنع انسجام استعارات السطح الصغرى هذه. لتوضيح فكرة عمل هذا النوع من الاستعارات يورد كوفيتش النص القصصي التالي الذي نختار منه هذه الفقرات:

"إنّه الربيع، وليلة مقمرة في القرية الصغيرة، نجوم مرصعة وسواد قدسي، الطرق المرصوفة بالحصى خرساء، وغابة الملك والأرانب المحدودبة، تترنح بخفاء أسفل البرقوق الأسود، بطء، سواد، وغراب أسود، وقارب صيد يترنح في البحر. البيوت ضريرة كالخلد (رغم أن الخلد يرى أفضل هذه الليلة بخرطومه في جُحوره الناعمة)...، الحوانيت في حداد، وقاعة الإنعاش في ثوب حداد أرملة. وأهل القرية الهادئة والذاهلة كلهم نيام الآن".

يعلّق كوفيتش على هذا المقطع الذي ينقله عن ويرث بالقول إنه تمّ فيه تخصيص الأشياء غير الحيّة من خلال سمات بشرية: الغابة محدودبة، والبيوت ضريرة، ووسط القرية أخرس، والحوانيت في ثوب الحداد. إنه اشتغال لسيرورة تشخيصية، أين تفهم بعض خصائص القرية من خلال سمات الكائن البشري. يمكن هنا أن نستحضر عددا من استعارات السطح المخصوصة لتمثيل الأمثلة اللغوية الخاصة، كمثال على ذلك يمكننا التصريح بأن الظلمة ينظر

إليها كشخص ضرير، والصمت كشخص أخرس، والانحناء كشخص محدودب، والتحرك الصعب كشخص أعرج...، ولكن هذا لا يشرح لماذا كل السمات البشرية التي ربطت بمظاهر القرية هي إعاقات مخصوصة، مثل العمى، والخرس، والإحدوداب، والعرج، وما إليه.

يرى كوفيتش نقلا عن ويرث، أن هناك استعارة كبرى، أو استعارة ممتدة هي: **النوم عجز**. هذه الاستعارة توفر بعضا من "التيار التحتي" (undercurrent) للاستعارات الصغرى التي تظهر على سطح النص. الارتباط بين النوم الذي هو عجز فيزيائي وتصور القرية تتيحه كناية 'القرية تحيل على سكانها' (أو بأكثر عمومية، **الموضع يحيل على الناس شاغلي هذا الموضع**). تظهر أهمية الاستعارة الكبرى بشكل خاص عندما نلاحظ أن تصوّر النوم غالبا ما يوظف كمجال مصدر لتصور الموت، وبما أن الموت ينظر إليه بوصفه نوما والنوم يفهم بوصفه عجزا، سيبدو الموت أيضا كعجز: العجز البشري الأقصى الذي نعمى فيه، ونصمّ، ونبكم، ونجمد، وما إليه. إنّ تعيين النوم مع الموت يتنبأ به بالفعل في المقطع المقتبس أعلاه، حيث يشير الكاتب بصفة متكررة إلى السواد، والظلمة، وحتى ثوب الحداد...، ومن ثم تبدو القرية متصوّرة بوصفها ميّتا من خلال تفاعل معقد لاستعارات مخصوصة، وكناية، واستعارة ممتدة تسري في ثنايا النص.

نكتفي هنا بإيراد هذا المثال لتوضيح فكرة الاستعارة الكبرى التي نعتقد أنّ الدور الأهم الذي تلعبه هو في منحها انسجاما للنص كما يظهر من التحليل السابق.

على العموم، وتلخيصا لما سبق ذكره، نقول إن الاستعارات الأدبية رغم أنها تشكّل أحيانا مجموعة خاصة بين الاستعارات الأخرى، إلا أنّ الشعراء والكتاب يستخدمون في الغالب الاستعارات التصورية نفسها التي يستخدمها الناس العاديون، ولكنّهم يتصرّفون فيها بطرق عديدة ليست في متناول الجميع، مثل التوسيع، والتدقيق، والارتياب، والتوليف، وكذلك التشخيص الذي هو أداة شائعة أخرى تستخدم في النصوص الأدبية التي تزخر أيضا باستعارات متأسسة على الصورة، أو صور اللقطة الواحدة التي تبرز ترابطا بين عناصر متعددة لصورة واحدة على صورة أخرى، مع أن المطلع عليها لا تمنح له فرصة توجيهه إلى العنصر المراد ربطه بصفة صريحة، إلا أنه بمقدوره إنجاز ترابطات بنجاح في تأويله للنص الأدبي اعتمادا على ثراء موسوعته المعرفية. كما أشرنا أيضا إلى بعض الاستعارات الممتدة خلال نصوص أدبية بكاملها أو على جزء واسع منها. هذه الاستعارات التي سمّاها بول ويرث "الاستعارات الكبرى" أو "الاستعارات الممتدة"[1] هي استعارات لا تظهر على سطح النص بصفة جليّة ولكنّها تظهر على هيئة

(1) الامتداد أو التوسع هنا يختلف عن آلية التوسع المشار إليها من قبل عند لايكوف وتورنر.

"استعارات صغرى" يربط بينها خيط خفي، يعتقد أنه المسؤول عن منح النص الأدبي انسجامه الكلي.

بعد عرض هذه الأطروحات وهذه الاستشهادات النصية المبرهنة على كون إبداعية الاستعارة يستند في جانبه الأكبر على النسق التصوري الوضعي الذي نملكه جميعا نتساءل الآن عن المدى الذي يتوقف فيه هذا الاعتماد، وهل من الصواب التام أن نحصر الإبداع الأدبي فقط في جملة آليات وتقنيات معدودة ومحدودة تقيّد المبدع وتحصره بالتالي في حدود ضيقة، أم إنّ الأمر يتجاوز هذه القيود، إذا ما اعتبرناها كذلك؟.

4. إبداعية الاستعارة: ملاحظات وانتقادات

لم تلق وجهة نظر الاستعارة التصورية حول الاستعارة الأدبية الجديدة الممثلة في أعمال لايكوف وتورنر بخاصة، كل الترحاب والقبول، ليس بسبب نفيهما للإبداع الاستعاري الأدبي، والشعري بخاصة، ولكن للاهتمام الضئيل الذي أولياه للاستعارات الجديدة أو الاستعارات الإبداعية المستحدثة، والسبب فيما نرى أن هذه الاستعارات تفتقد لسمة النسقية والطابع اليومي المتواضع عليه، وهذا ما فتئ منظرو الاستعارة التصورية يلحّون عليه في تنظيراتهم، لذلك انصّب اهتمامهم على الاستعارات التصورية المبنية لنسقنا التصوري العادي واليومي والتي تشكل في زعمهم جزءه الأكبر، وهي شبكة منسجمة ومنسقة ومترسخة من التصورات الاستعارية

وغير الاستعارية التي تعمل جنبا إلى جنب من أجل فهم العالم بشكل منسجم، وإعطاء معنى لما ندركه منه.

في مناقشتهما لمقاربات الاستعارة في الأدب يصل سيمينو وستين[1] إلى بعض النتائج المتعلقة بمنظورين مختلفين: من يرى بوجود تمايز بين الاستعارة في الأدب والاستعارات خارجه، ومن يرى بوجود ارتباط بينهما. بالنسبة للنتيجة المتعلقة بالنظرة الأولى يرى الباحثان أنّ تلك المقاربات لا تنتمي جميعها إلى التقليد نفسه، ولكنها تملك عددا من أوجه الشبه الهامة. فحتى ولو أقرّت جميعها بأن الاستعارة ليست حصرا ظاهرة أدبية، إلا أنّ أصحابها يؤكّدون على وجود تمايز بين الاستعارة في الأدب والاستعارة في مواضع أخرى من خلال التركيز على أمثلة أدبية عالية الإبداعية، وأصيلة، وغالبا معقدة. وتمثل هدفهم في البحث في استخدامات الاستعارة في المفرد من النصوص، والأنواع، أو الكتّاب، وشرح كيف أن الاختيارات اللغوية المفردة في سياقات مفردة تقود إلى تأثيرات خاصة. لذلك هم يؤكدون على فردانية كل استخدام خاص للاستعارة في الأدب، ويعرضون تحليلات وتأويلات يمكنها غالبا أن تكون مقدّرة لعمقها وثرائها.

ما يهمّنا في دراسة الباحثين في هذا الإطار ملاحظتهما أن الدراسات التي ترى التمايز بين الاستعارات الأدبية وغير الأدبية

---

(1) Cf. Elena Semino and Gerard Steen: **Metaphor in Literature**. p 237.

تميل في رؤيتها لهذه العلاقة، إلى عزو مقام أولي للاستعارة في الأدب، ومن ثم رؤية الاستعارات خارج الأدب كاشتقاق موسّع، وبالتالي لا تحظى دراستها باستحقاق كبير. وعلى النقيض، ترى النظرة الأخرى وجود تواصلية بين الاستعارة داخل الأدب وخارجه، يتعلق الأمر هنا بأصحاب النظرية المعرفية الخاصة بلايكوف وزملائه، الذين ارتقوا بالتنظير المعرفي للاستعارة ما أدى إلى إعادة تقييم دورها في الحياة اليومية، واللغة غير الأدبية، وإلى منظور جديد بشأنها في الأدب. هذه المقاربة على عكس المقاربات الأولى ترى الاستعارة في اللغة اليومية في مقام ابتدائي، وترى الاستعارة في الأدب كاستثمار (أو تتميم) إبداعي للاستعارات غير الأدبية، والمألوفة، كل هذا يمكن أن يساعد على تفسير سبب قبول معظم القراء، على الأرجح، إعطاء تعليل تأويلي للنص الأدبي برغم غرابة وجدّة العبارات الاستعارية المخصوصة.

وبحسب الباحثين أيضا فإن لايكوف وتورنر (من ممثلي هذه المقاربة) لا يهتمّان في المقام الأول بالأمثلة والنصوص الفردية. أو بالكتاب أنفسهم، ولكن اهتمامهم ينصبّ على التساؤل عن الشواهد الفردية للاستعارة في الأدب التي تتقاسمها مع الكثير من العبارات الاستعارية الأخرى (سواء الأدبية أو اليومية) تلك التي يمكن إرجاعها إلى الاستعارات التصورية نفسها. هذا الأمر يتناقض بشدة مع الحرص على الطابع الفريد لبنية وتأثير كل استخدام فردي للاستعارة الذي هو مركز عمل مقاربات أخرى.

وبرأي الباحثين فإنه مادام هذا النوع من المقاربة المعرفية يوفّر تبصرات عميقة للعلاقة بين الاستعارة في الأدب والاستعارة في اللغة اليومية، إلا أنّه يميل إلى التقليل من أهمية الاستعارات الجديدة كليا، رغم وجود بعض الأعمال الأدبية التي لا يمكن أن تمثّل بسهولة من خلال قوالب واستعارات تصورية وضعية، مثال ذلك المقطع الثالث من قصيدة سيلفيا بلاث "أغنية الصباح" (Morning Song)[1] حيث تستخدم الاستعارة بصفة موسعة لعرض الأمومة من خلال العلاقة بين السحاب، والمطر، و الريح؛ في قولها: [ترجمتنا]

"إنّني لست بوالدتك أكثر من

السحابة التي تبلّل المرآة

لتعكس ما طمسته

ببطء يد الريح"

وعليه يرى الباحثان أنّه من المهمّ أن يأخذ منظور الاستعارة المعرفية في الاعتبار المناسب حالات مثل هذه، حيث تتجاوز الإبداعية الاستعارية الموارد الاستعارية للغة (والفكر) اليوميين. إنهما يدعوان حسبما يبدو إلى مقاربة أكثر دقّة لتحليل ما يعتبر إبداعا استعاريا من خلال تصريحهما أنه لا يمكن ببساطة أن تقوم على أسس عامة من مفهوم الانزياح (الذي تقول به النظرة التي ترى

(1) Cf. The collected poems. Sylvia Plath. ibid. pp 156-157.

تمايز الاستعارة الأدبية عن اللغة غير الأدبية)، ولا أنواع الإبداع الأربعة المقترحة من لايكوف وتورنر التي لا تنصف-حسبهما- تنوّع وتعقد الظواهر الاستعارية التي يمكن مصادفتها في الخطاب، سواء الأدبي منه أو غير الأدبي.

في الاتجاه نفسه ينبري ماثيو س. ماكغلون[1] (الذي يتبنى وجهة نظر نظرية تضمين المقولة أو الصنف[2]) في مقاله الذي

---

(1) cf. Matthew S. McGlone: **What is the explanatory value of a conceptual metaphor?**, Language & Communication 27 (2007) 109–126. [from: www.elsevier.com/locate/langcom]

(2) هي نظرية معرفية منافسة لنظرية الاستعارة التصورية، اقترح منظروها أنه من الأفضل التعامل مع الاستعارات بوصفها مقولات قابلة للتوسع بدل اعتبارها تشابهات، بما أن الاستعارات تؤسس علاقات "تضمين-الصنف" (class-inclusion) بين التصورات المتباعدة أنطولوجيا. وحجتهم الرئيسية هي أن فهم الاستعارة ليس أمرا أين تشبه إحدى المقولات مقولة أخرى، ولكن الاستعارات تخلق مقولات 'مخصوصة'. هذه النظرة تلقت ترحيبا كبيرا لأنها سلّطت الضوء على علاقة الاستعارة- التشبيه، وعزّزت الفكرة القائلة بأن الاستعارات ليست مجرد تشبيهات ضمنية (implicit similes). وهكذا، فالنظرة العامة 'أ مثل ب' تصبح 'أ ينتمي إلى المقولة ب' (مثلا في قولنا "زيد أسد" يفهم زيد كتضمين في مقولة مخصوصة للأسود). هذه النظرية رأت الاستعارة 'أبعد من المشابهة' ولكنها لم ترفض الفهم القياسي. ينظر أكثر عن هذه النظرية:

- Sam Glucksberg and Boaz Kaysar: **How metaphor work**, in: metaphor and though, edited by Andrew Ortony. 2nd Ed. Cambridge university press, 2003, pp 401-424
- Filiz Dur: **Understanding Metaphor**. p 38

يتساءل فيه عن القيمة التفسيرية للاستعارة التصورية، إلى التشكيك في افتراضات الاستعارة التصورية كما يدعو إليها لايكوف وتابعوه، ومن جملة الانتقادات الموجهة للنظرية ما يتصل بالاستعارة الجديدة غير الوضعية، هنا يعزّز الباحث دعواه بجملة من الأبحاث التجريبية التي أثبتت - حسبه- قصور النظرية في هذا الجانب، نكتفي في هذا الإطار بنقل نقد الباحث الذي خصّصه للاستعارات الجديدة لعلاقتها بالاستعارات الإبداعية التي يهمنا أمرها هنا، في إطار انتقادات أخرى موجهة للنظرية ككل باعتبار التنافس القائم بين النظريتين.

نبدأ من إشارة الباحث إلى أن هناك بعض البراهين على أنه بإمكان الناس أن يبنوا ترابطات تصورية بصفة عفوية لفهم العبارات الاستعارية الجديدة، يشير هنا إلى بعض الدراسات التي استدل أصحابها على أن الجدّة والوضوح لتعبير ما قد "تغري" القراء ببناء ترابطات من هذا القبيل. مثلا، من المرجح ألا يحتاج الناس إلى استخدام الربط [الاستعاري] الحزن تحت لفهم عبارة وضعية مثل: "أنا منحط"، على الرغم من تأكيد لايكوف على العكس. ومع ذلك، قد يتمّ بشكل أفضل بناء ترابط من أجل قول جديد مثل: "أشعر أنني أحط من علكة عالقة أسفل حذائك". إن جدّة وطرافة هذا التعبير- حسب الباحث- تدعو (وربما تتطلب) من القارئ أن ينظر في الترابط الاستعاري بين الحالة العاطفية والعلو.

بغرض فحص هذا الاحتمال، يعرض الباحث إحدى تجارب كايزر وآخرون[1] الذين وزعوا قصاصات على المشاركين (المختبرين)، تضمّنت كلا من عبارات متحجرة وتوسعات جديدة للترابط التصوري الذي كان مرتبطا بمعنى الجملة الاستعارية الهدف [المسطر تحتها في القصاصة]. القصاصة الموالية تستخدم عبارات متحجرة لتشجيع بناء الترابط الجدال حرب:

"يتبّع الجدال إدارة الحرب. يتجادل ستان و جاك كلما وجدا معا. يضرب ستان دائما أولا، يقذف بتوازن خصمه. ولكن جاك يحافظ على دفاعاته قائمة ويطرح حجج ستان أرضا. صفارات الإنذار تنطلق في كل مرة يجتمعان فيها."

في المقابل، تستخدم الصيغة أدناه عبارات جديدة **للجدال** حرب:

"يتبع الجدال إدارة الحرب. يتجادل ستان وجاك كلما وجدا معا. يبدأ ستان الحصار دائما بإطلاق قنابله اليدوية الكلامية. ولكن جاك يحافظ على ثكنته محصّنة ويسدد ضربة دفاعية. صفارات الإنذار تدوي في كل مرة يجتمعان فيها."

---

(1) Cf. Boaz Keysar; Yeshayahu Shen; Sam Glucksberg; William S. Horton: **Conventional Language: How Metaphorical Is It?.** In: Journal of Memory and Language 43, 576–593 (2000). [from: http://psychology.uchicago.edu/people/faculty/keysar/17_jml2000.pdf]

في اختبار زمن القراءة، وجد كايزر وآخرون أنّ المشاركين قرأوا الجملة الهدف (صفارات الانذار تدوي في كل مرة يجتمعان فيها) أسرع تبعا لما قبلها مقارنة بالصيغة الواردة في القصاصة الأولى.

ويرى الباحث أنّه ما دام اختيار كلمات العبارات المتحجرة لم تكن أقل ارتباطا بالجملة الهدف دلاليا مقارنة بالعبارات الجديدة، فهذا التأثير لا يمكن أن يعزى إلى المداخل المعجمية البسيطة.

علاوة على ذلك، تبدأ كلتا الصيغتان بجملة تسوي الجدالات بالحرب بصفة صريحة، وحتى قابلية التطبيق الظاهري للاستعارة للمقطع الهدف جُعلت شفافة في كلتا الصيغتين. ومع ذلك الصيغة التي تتضمن العبارات الجديدة بدت وحدها أنها تسهل تأويل الجملة الهدف.

هذه النتائج حسب الباحث تدعم الادعاء الصريح المتعلق بدور الاستعارات التصورية في فهم اللغة المجازية. مفاد ذلك أنه يمكن للناس فهم العبارات المتحجرة مثل: "كان الجدال إطلاق نار مستمر"، دون اللجوء إلى الترابطات التصورية مثل الجدال حرب. ما تمت ملاحظته أن العبارات المتحجرة تفهم بنفس طريقة فهم "الاستعارات المتجمدة" (frozen metaphors) بشكل مباشر وحرفي. في المقابل، فهم العبارات الجديدة مثل: "النفس المتكبرة لروش ليمبوي تلتهم أمانته ثم يستخدم موجات الهواء كحمام" يمكنها أن تنطوي بشكل جيد على استنتاج ربط تصوري بين التكبر

والهضم. فإذا ما سبق وواجه أحد ما الهضم كاستعارة [وضعية] للتكبر(والذي يبدو أمرا مستبعدا)، يمكنه من الناحية النظرية إذن استعادة هذا الترابط لفهم هذه العبارة. ومن ناحية أخرى إذا لم يحصل البتة أن واجه هذه الاستعارة من قبل، فسيسعى إلى خلق ترابط في الهواء (on the fly). في هذا الإطار ينقل الباحث اقتراح باودل وجينتنر[1]، بأن العمليات التي يستعان بها في فهم أي تعبير استعاري خاص سوف تتغير بحسب وظيفة تواضعيتها (conventionality). وعندما يكون تعبير ما جديدا تماما، فإنّه يتطلّب أنواعا مختلفة من العمل الاستنتاجي عما إذا كان مألوفا. وعليه، وجهة نظر الاستعارة التصورية تخفق بوصفها تعليلا لاستيعاب اللغة المجازية في جزء منها لأنها لم تدرك أهمية معالجة الاختلافات بين العبارات الوضعية والجديدة.

رغم هذه الانتقادات وغيرها التي يوجهها ماكغلون، فإنه يعترف في الأخير بأنه لا ينوي برسمه لهذه الاستنتاجات المتشائمة حول فكرة "الاستعارة التصورية" أن ينكر أهمية الاستعارة في التواصل الإنساني. على العكس من ذلك، فهو يتفق مع اللغويين

(1) Cf. Brian F. Bowdle and Dedre Gentner: **Metaphor Comprehension** :From Comparison to Categorization; Proceedings of the Twenty-First Annual Conference of the Cognitive Science Society, pp 90-95.
[from:
http://groups.psych.northwestern.edu/gentner/papers/BowdleGentner99.pdf]

الذين يعالجون المجاز كأداة رئيسية لابتكار المفردات. ووفقا لهذه النظرة، ما تقوم به الاستعارات هو ملء "الفجوات" المعجميّة في الخطاب عن طريق توسيع نطاق الكلمات الموجودة لتسمية مقولات وتصورات جديدة. إنّ السيرورات المعرفية المندرجة وراء إنشاء وتأويل هذه "الاستعارات المبتكرة" تُحفَّز وتُتأمل [بوعي]، إنها ليست سلبية أو لاواعية. كما أن الباحث لا ينكر أن العبارات المجازية الوضعية التي نستخدمها للحديث عن التصورات المجردة ومجموع الأحاسيس حول مواضيع استعارية مشتركة مثل الحب سفر، التي هي أصل مثل هذه العبارات المسكوكة، يمكن أن تشتق أفضل بكثير من التأمل في الخطاطة المجازية التي وصفها منظرو الاستعارة التصورية.

وهكذا يشكك الباحث في رسم استنتاجات عن مواقف الناس ومعتقداتهم تستند فقط على العبارات المسكوكة التي يستخدمونها في حديثهم عن التجارب الشخصية...، وعلى الرغم من أن الاستعارات في الخطاب تبدو أحيانا و كأنها تقفز منه، إلا أن الاستعارات في الذهن أصعب بكثير من أن يعثر عليها.

في الواقع، لم يكن هدفنا من إيراد هذه المناقشة المقتضبة لأحد ممثلي إحدى النظريات المعرفية المنافسة لنظرية الاستعارة التصورية فتح باب النقاش حول المسائل المطروحة هنا، أو غيرها من المسائل المطروحة في غير هذا الحيز، إنما بغرض الإشارة إلى أن تغيير وجهة النظر في مسألة من المسائل من شأنه أن يقلب افتراضات ومسلمات

نظرية ما رأسا على عقب، ويفتح المجال للتشكيك في كل الأسس التي بنيت عليها هذه الافتراضات. وأن اختلاف منطلقات كل نظرية من شأنه أن يوصل إلى نتائج متضاربة، لذلك ليس من الغريب أن نعثر عن مثل هذه المناقشات والانتقادات المباشرة، كما أن رد منظري الاستعارة التصورية على انتقادات كلّ من ماكغلون، غلوكسبارغ، وكايزر، أصحاب وجهة نظر تضمين المقوَلة نجده مبثوثا في بعض أعمال لايكوف[1] وزملائه على وجه التحديد.

ورغم ذلك فالنقطة المشتركة الملاحظة بين انتقاد سيمينو وستين، والانتقاد الثاني لماكغلون هو اتفاقهما على مسألة الاستعارات الجديدة أو الإبداعية، ففي حين يرى الأولان أن هذا النوع من المقاربة المعرفية برغم أنه يوفر تبصرات عميقة للعلاقة بين الاستعارة في الأدب والاستعارة في اللغة اليومية، إلا أنه يميل إلى التقليل من أهمية الاستعارات الجديدة كليا. يستنتج ماكغلون أنه عندما يكون هنالك تعبير جديد تماما، فإنّه يتطلب أنواعا مختلفة من العمل الاستنتاجي عما إذا كان التعبير مألوفا. بمعنى أن تعامل القارئ (أو السامع) مع تعبير جديد يختلف عن تعامله مع تعبير وضعي مألوف، فناهيك عن إمكانية فهم العبارات المتحجرة أو المسكوكة دون الاعتماد أو العودة إلى الترابطات التصورية التي تقترحها نظرية الاستعارة التصورية، فإنه في المقابل، فهم العبارات

(1) ينظر مثلا رد لايكوف على كلوغسبارغ وكايزر في "النظرية المعاصرة للاستعارة"، صص 235-237.

الجديدة يمكن أن ينطوي بشكل جيد على استنتاج ترابط تصوري مباشر وآني بين المحمول وموضوع الحديث، بمعنى خلق أو إبداع ترابط "في الهواء" بحسب عبارة ماكغلون. وعليه، وجهة نظر الاستعارة التصورية تخفق- حسبه- بوصفها تعليلا لاستيعاب اللغة المجازية في جزء منها لأنها لم تدرك أهمية معالجة الاختلافات بين العبارات الوضعية والجديدة.

من جهتها تناقش هيلينا مارتينز[1] في مقالها "الاستعارة الجديدة والثبات التصوري" ثلاث مقاربات جذرية مختلفة لمسألة الاستعارة الجديدة، وهي: الرؤية الكلاسيكية (ممثلة في بول ريكور) التي ترى أن الاستعارة تتحدد بنفسها بواسطة جدتها ارتباطا بأنساقنا التصورية المثبتة أو المترسخة، والرؤية المعرفية (لايكوف والآخرون) التي ترى أن الاستعارات التصورية الجديدة بالإمكان ملاحظتها ولكنها تعد ظاهرة نادرة نسبيا. والرؤية التفكيكية (دريدا) التي ترى أن الجدة في الاستعارة تبدو إما كمسألة مستحيلة أو لامسألة.

يهمّنا في إطار عملنا أن نركّز على مناقشة الباحثة للمقاربة المعرفية التي ترى فيها رؤية جذرية مختلفة عن الرؤية الكلاسيكية ولكنّها تساويها من حيث الأهمية في الطريقة التي رأت بها

(1) Cf. Helena Martins: **Novel Metaphor and Conceptual Stability**, D.E.L.T.A., 22: Especial, 2006 (123-145), from: www.scielo.br/pdf/delta/v22nspe/a10v22s.pdf .

الاستعارة الجديدة كما وضّحها لايكوف وتابعوه. تشير الباحثة هنا إلى تصريح لايكوف[1] بخصوص الاستعارة الجديدة حين قال: "تقيم الاستعارة في هذا النسق المترسخ الضخم وعالي البنينة، النسق الذي يعد أبعد ما يكون عن كونه "ميتا" [...]. والاستعارة الجديدة تستخدم هذا النسق، وتبنى عليه، ولكنها نادرا ما تظهر بمعزل عنه. ترى الباحثة أنه بحسب هذا الاعتبار، يتصور الاستقلال عن أنساقنا التصورية المؤسسة، بعيدا عن كونه محددا لخصائص الاستعارة، كشيء يتموضع بصفة نادرة فقط. إن إبداعية الاستعارة الجديدة هي خارج اللعبة نفسها، والتشديد يميل إلى اعتبار استقلالها يرتبط فقط بأنساقنا التصورية الوضعية[2].

تستهل الباحثة مناقشتها للنموذج المعرفي بالإشارة إلى أنه لا توجد نظرية معاصرة للاستعارة يمكنها تجاهل الحجج والتعميمات على الاستعارة التي أنتجت وما تزال تنتج ضمن هذا النموذج، فضلا عن كون هذه الدراسات التجريبية والأبحاث حول أنساقنا التصورية الاستعارية الوضعية النشطة قد تم توضيحها بشكل

---

(1) Cf. George Lakoff: **The Contemporary Theory of Metaphor** (1993). pp 227-228

(2) يرى لايكوف وجونسون في هذا الصدد أن الاستعارات الخيالية والإبداعية تقع خارج نسقنا التصوري المتواضع عليه الذي تعكسه لغتنا اليومية، وهذه الاستعارات كفيلة بإعطائنا فهما جديدا لتجربتنا، كما تعطي معنى جديدا لماضينا ولنشاطنا اليومي، ولما نعرفه ونعتقده. راجع: لايكوف وجونسون: **الاستعارات التي نحيا بها** (1996)، ص 145.

مفرط ضمن نموذج البحث هذا، بحيث أنّها أمدتنا بتبصرات ليس فقط حول طبيعة العمليات الاستعارية، ولكن أيضا حول إمكانيات أساليب تفكير الكائن البشري المختلفة وما تنطوي عليه، وأيضا حول تطبيقات ثقافية بشرية مختلفة...أما ما يتعلق بالاستعارة الجديدة، فتعتقد الباحثة أنّ هناك تبصّرات أيضا، تتعلق بفكرة أن الاستعارات الوضعية قد تتوسع بطرق جديدة، وإيجادها لوحدة أساسية في الاستعارة بين ما نراه كوضعي وما ندركه كجديد.

برجوع الباحثة إلى فكرة لايكوف القائلة بأن الاستعارات التصورية الجديدة تكون ممكنة تماما ولكنها ظاهرة نادرة نسبيا، ترى أن بعض الأسئلة الهامة يمكن أن تطرح نفسها، بداية بالتساؤل عن الطريقة المثلى لفهم أنساقنا التصورية المؤسّسة. بداية مع هذا النسق، تعطي الباحثة تمثيلا للنموذج المعرفي يضمّ مقتطفات من مصادر مختلفة تندرج في إطار نظرية الاستعارة التصورية، هذا التمثيل أو الوصف حسب الباحثة لا يوضّح تماما ما معنى أن يقال إنه بالإمكان أن ينظر إلى الاستعارة بالفعل بوصفها مستقلة عن أنساقنا التصورية المؤسّسة، يقول التمثيل:

"في تقليد اللسانيات المعرفية، نظر إلى الاستعارات بوصفها ترابطات ذهنية عبر مجالات تصورية، وهي تبرز... في "نسق ثابت ضخم وعالي البنية" (...).علاوة على ذلك تبدو الأنساق التصورية حيث تظهر الاستعارات محفزة بصفة منتظمة، ومرتكزة بصفة نهائية على بنيات معينة قبل تصورية، وغير قضوية (-non

(propositional)، وكليّة للتجربة- يجدر هنا ذكر "خطاطات الصورة" و"مقولات المستوى القاعدي" (...). ما يشار إليه بصفة متكررة بوصفه "تجربة مباشرة" تم افتراضها لتكون مصدرا نهائيا لكل الاستعارات بصفة فعلية في أنساقنا التصورية؛ بعض هذه الاستعارات يحتاج إلى ربط أكثر قربا بهذا المستوى الابتدائي من التجربة كما أنه ينظر إليها بوصفها كلية بحد ذاتها. التصورات التي تنبثق مما يسمى بالتجربة المباشرة هي، باختصار، كليات تجريبية تحدّد بصفة نهائية "طبقة من القوالب الممكنة للتعقل والفهم" (...). يمكن [لهذه القوالب]، حسب مارك تورنر، "أن ترتحل في حالة سليمة من خلال تماسات تاريخية وأنثروبولوجية (...)."

في التعليق على هذه المقتطفات، ترى الباحثة أنّ مثل هذه التصورات التي تحدّد طبقة من القوالب الممكنة من التعقل والفهم تثير جدلا، فهي بمثل هذا التحديد لها ولوظيفتها لن يكون واضحا تمام الوضوح كيف يمكن للتصور الاستعاري أن يظهر مستقلا عنها دائما. رغم أن إمكانية الاستقلالية تظلّ، مع ذلك، مقبولة لدى النظرية المعرفية للاستعارة التي ترى إمكانية ترقية التصور خارج الطريقة التي نفكر بها استعاريا ونبدع أساليب جديدة من التفكير الاستعاري.

تضيف الباحثة أنه برغم الاعتراف بوجود الاستعارات الجديدة، إلا أنها لم تلق اهتماما كبيرا في النموذج المعرفي، ربما بتأثير ندرتها المزعومة. ولكن الاعتراف بوجودها، رغم أنه وجود نادر،

له خطورة ما على أطروحات المعرفيين القائلة بأن أنساقنا التصورية تحفز بصفة منتظمة، وتتأسس بصفة نسقية على بنيات تجريبية كلية. إنّ ثمّة داع لكي نطرح احتمال أن يكون تحليل مثل هذه الاستعارات الفردية الأصيلة لا يوحي بأنها بنية تبتدئ في أنساقنا التصورية في حقيقة أمرها، أي عدم الإيحاء إلى إمكانية أن تصبح الاستعارات الجديدة وضعية في نهاية المطاف. فإذا ما تم إبداعها بصفة مستقلة عن هذه الأنساق، وإذا ما أمكنها تبنّي ترابطات جديدة بين المجالات بصفة تامة، فإنّه يمكن لهذا نظريا أن يدخل إمكانية تنشيط بنيات تكون غير محفّزة في أنساقنا التصورية وكفى. وهو أمر سيكون محتملا لدفعنا إلى إعادة التفكير في الأسس الجوهرية لأنساقنا التصورية كما اقترحتها المقاربات المعرفية.

ما نفهمه من حديث الباحثة أن استبعاد المقاربات المعرفية الاستعارة الجديدة المستقلة عن النسق التصوري أملته الخشية من إعادة النظر في الطبيعة الثابتة لبنية النسق التصوري التي هي إحدى أسس نظرية الاستعارة التصورية كما يدعو إليها لايكوف والآخرون، ورغم تقديم هؤلاء الباحثين شواهد عن الاستخدامات الشعرية الجديدة، والبرهنة على أنها تستند أو ترتكز على النسق الاستعاري اليومي المؤسِّس، إلا أن الأمر تعلق بالاستعارة الجديدة التي ترتبط بالاستعارة الوضعية بإحدى آليات التصرف المشار إليها آنفا، أما الاستعارة الجديدة المبدعة المستقلة تماما عن هذا النسق والتي أشار إليها لايكوف وجونسون بأنها "لا

تستخدم في بنينة نسقنا الصوري العادي، بل تكون طريقة جديدة للتفكير في شيء معين"[1]، فهي مستبعدة عن مجال الاهتمام فيما يبدو، بدعوى أنها نادرة الحدوث، رغم كونها تمثل بحسب رأينا إحدى مظاهر الإبداع الأدبي الاستعاري الذي لا يقل أهمية عن المظاهر الأخرى المرتبطة بالتصرف في الاستعارة الوضعية توسيعا، وتدقيقا، وارتيابا، وتوليفا،... الخ. بل قد تكون إحدى مظاهر أصالة الإبداع الشعري الأكثر فرادة وتميزا.

ترى هيلينا مارتينز في الأخير أنّ المقاربة المعرفية قدّمت تبصّرات بخصوص طريقتين، أولاهما أنها وضّحت بها التأثير الكبير للاستعارة في أشكال اشتغالنا وتفكيرنا، وثانيا، الطريقة التي بيّنت بها وجود اتّحاد أو وحدة قاعدية بين الاستعارات الأكثر والأقل وضعية. لكن ما يبدو غير واف بالمرة، من جهة أخرى، هو طرحها الفكرة التي تزعم بأنه ينبغي أن ينظر إلى الاستعارات "النادرة" التي لا يمكن تعليلها بوصفها مشتقة عن أنساقنا التصورية المتأسسة- تلك المدركة بوصفها تؤسس الحقائق الذهنية بصفة كليّة - على أنّها "مستقلة" عن هذه الأنساق.

(1) جورج لايكوف ومارك جونسون: **الاستعارات التي نحيا بها** (1996)، ص 74.

خاتمة

أثارت نظرية الاستعارة التصورية للايكوف وتابعيه تبصّرات ومراجعات عميقة وجذرية بخصوص طبيعة ظاهرة الاستعارة بوصفها ظاهرة ذهنية في المقام الأول قبل أن تكون سلوكية لغوية وغير لغوية، وأثبتت ببراهين مستمدّة من اللغة اليومية والعادية، أنّ التفكير البشري ينبني في جزئه الأكبر انبناء استعاريا بشكل طبيعي، وتم في هذا الصدد اكتشاف ذلك النسق الضخم من التصوّرات الاستعارية المشكّلة للذهن البشري. هذه البرهنة على استعارية النسق التصوري القائمة على الاستخدام اللغوي العادي (من اللغة إلى الذهن)، استتبعها برهنة يمكن وصفها بالمنعكسة (من الذهن إلى اللغة)؛ أي البرهنة على تصورية الاستعارات بمحاولة تتبع وتحليل اللغة المستخدمة في الانتاجات الأدبية في الشعر وغير الشعر، وفق آليات خاصة تبرز بشكل واضح لدى الشعراء والأدباء دون غيرهم

من عامة الناس، هذه الآليات الإبداعية لا تخرج وفق نظرية الاستعارة التصورية عن الإطار العام لإنتاج الاستعارة في مستواها الذهني؛ أي أنّها تظل مرتبطة بالنسق التصوري المبنين والمترسخ في الذهن، والقائم على ترابطات ثابتة بين المجالات التصورية (بين مجالين بخصوص الاستعارة وضمن المجال الواحد بخصوص الكناية). من هنا اعتبرت الاستعارات الجديدة والمبدعة مجرد توسعة وتصرف في استعارات تصورية كامنة في الذاكرة طويلة المدى على شكل ترابطات وخطاطات؛ ولذلك عدّ هذا النوع من الاستعارات نادر الحدوث إذا ما قورن بالاستعارات الوضعية المستخدمة بشكل عادي ومتواتر في الحياة اليومية.

تطبيقيا، قدمت نظرية الاستعارة التصورية تعليلا للإبداع الاستعاري المتجسد في لغة الخطابات الأدبية، التي لم تعد تنظر إليها على أنّها لغة راقية وفريدة من نوعها، ولكنها لغة كشأن اللغة اليومية

تتقاسم معها نفس الآليات المعرفية التي توجه السلوك البشري. أما الفرق بين الإبداعين اليومي والأدبي فيكمن فقط في تصرف الأدباء والشعراء في البنية التصورية المترسخة، وإدخال تعديلات عليها بحسب ما يتوفر لديهم من قدرات خاصة لا تتوفر لدي جميع الناس.

وعموما فالنظرية المعاصرة للاستعارة التصورية كما دعا إليها لايكوف وزملاؤه، قد تمّ عرضها وفق رؤية أكثر ثباتا لطبيعة المعرفة بدلا من أن تكون رؤية دينامية لها، برغم ملاحظة ظهور ونمو اهتمامها بتداولية الاستعارة وسياقيتها حيث تتجلى الطبيعة الدينامية للتفكير الاستعاري أكثر وتحققه في خطابات آنية. غير أن النسق التصوري المبنين في مجمله استعاريا، ينأى عن أن تكون له طبيعة ثابتة أو مستقرة أو كلية، أو على الأقل طبيعة مزدوجة، يحتل فيها هذا الجانب الثابت والدائم القسم الأكبر والمهم، بينما يظل القسم الآخر (الإبداعي) هامشيا ومعزولا ونادر الحدوث. بدلا من ذلك يمكن افتراض أنّ طبيعة النسق السلسة والدينامية، لا تقلّ أهميّة عن طبيعته الثابتة أو المترسخة التي لا تسمح بتعليل المقدرة الإبداعية للذهن التي تلاحظ فعلا، سواء في الحديث اليومي أو في الإبداع المتصل بأنواع الخطابات الأدبية. بل لعلّه من الصواب أن يمنح اعتبار أولي لهذا الجانب الدينامي، وإيلائه بالتالي القسط الأوفر من الاهتمام والدرس. وعليه تبدو لنا مقاربة منظري الاستعارة التصورية للاستعارة الإبداعية بحاجة إلى تتميم، وأنّ جهدا إضافيا ينبغي بذله لأجل الخروج بمقاربة أكثر فعالية، تستوعب كل مظاهر الإبداع الاستعاري في الخطابات الأدبية خاصة، أو في أي خطاب آخر مهما كان نوعه أو طبيعته..

مراجع

باللغة العربية

1. أحمد عثمان: **الأدب اللاتيني ودوره الحضاري**، ط عالم المعرفة- الكويت، 1989
2. الأزهر الزناد: **نظريات لسانية عرفنية**، ط1 نشر مشترك: الدار العربية للعلوم ناشرون-بيروت، دار محمد علي للنشر- تونس، منشورات الاختلاف-الجزائر، 2010م
3. بدر توفيق: **سونيتات شكسبير الكاملة**، ترجمة، ط1 مؤسسة أخبار اليوم، مصر،1988
4. جورج لايكوف: **حرب الخليج، أو الاستعارات التي تقتل**، تر. عبد المجيد جحفة وعبد الإله سليم، ط1 دار توبقال، المغرب، 2005
5. جورج لايكوف ومارك جونسن: **الاستعارات التي نحيا بها**، تر. عبد المجيد جحفة، ط1 دار توبقال، المغرب، 1996

6. دانتي أليجييري: **الكوميديا الإلهية**، تر حسن عثمان، ط3، دار المعارف مصر

7. عبد الله الحراصي: **الاستعارة، التجربة، العقل المتجسد**، عرض لمسار الفلسفة التجريبية (1980-1999) مع ترجمة لقسم من كتاب 'الفلسفة في الجسد'، مجلة نزوى-تصدر عن مؤسسة عمان للصحافة والنشر والتوزيع، العدد 20، (صفحات ويب دون ترقيم)، راجع الرابط الالكتروني: http://www.nizwa.com/articles.php?id=1059

باللغة الأجنبية

8. Andre Breton: poems, publisher: poemHunter.Com -The World's Poetry Archive. 2004

9. Boaz Keysar; Yeshayahu Shen; Sam Glucksberg; William S. Horton: **Conventional Language: How Metaphorical Is It?.** In: Journal of Memory and Language 43, 576–593 (2000). from: http://psychology.uchicago.edu/people/faculty/keysar/17_jml2000.pdf

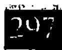
10. Brian F. Bowdle and Dedre Gentner: **Metaphor Comprehension** :From Comparison to Categorization; Proceedings of the Twenty-First Annual Conference of the Cognitive Science Society, pp 90-95. from: http://groups.psych.northwestern.edu/gentner/papers/BowdleGentner99.pdf

11. Christina Georgina Rossetti ; poems , publisher: poemHunter.Com -The World's Poetry Archive, 2004

12. Elena Semino and Gerard Steen: **Metaphor in Literature**. In The Cambridge Handbook of Metaphor and Thought, Edited by Raymond W. Gibbs, jr. Cambridge University Press 2008

13. Filiz Dur: **understanding metaphor**: a cognitive approach focusing on identification and interpretation of metaphors in poetry; thesis of the degree of Master of Arts. The Institute of Social Science; Çukurova University, Adana, 2006

14. George Lakoff and Mark Johnsen :**Metaphors we live by**. University of Chicago press, 2003



15. George Lakoff and Mark Johnson :**Philosophy in the Flesh**: The Embodied Mind and its Challenge for Western Thought. New York: Basic Books (1999).

16. George Lakoff and Mark Turner : **More than Cool Reason**: A Field Guide to Poetic Metaphor, University of Chicago Press,1989

17. George Lakoff and Mark Turner: **More than Cool Reason**: A Field Guide to Poetic Metaphor. (1989)

18. George Lakoff : Interviewed by Iain A . Boal : **Body, Brain, and Communication** .
from :
http://www.cas.buffalo.edu/classes/dms/bernad/ms434/readings/Lakoff.pdf

19. Helena Martins: **Novel Metaphor and Conceptual Stability**, D.E.L.T.A., 22: Especial, 2006 (123-145)
from:
www.scielo.br/pdf/delta/v22nspe/a10v22s.pdf

20. James R. Hurford; Brendan Heasley; Mmechel B. Smith: **Semantics :A Coursebook**, 2nd ed, Cambridge University Press,2007

21. Jerome A. Feldman: **From Molecule to Metaphor**, A Neural Theory of Language; Massachusetts Institute of Technology, A Bradford Book, The MIT Press Cambridge, Massachusetts ,London, England,2006

22. Matthew S. McGlone: **What is the explanatory value of a conceptual metaphor?**, Language & Communication 27 (2007) 109–126.

    from: www.elsevier.com/locate/langcom

23. McGrath, M: **Metaphor in Poetry**. Retrieved Jan (2003), p 207.

    From: www.carxton.stockton.edu/magic/profiles

24. Olaf Jäkel: **Hypotheses Revisited**: The Cognitive Theory of Metaphor Applied to Religious Texts.

    from: http://www.metaphorik.de/02/jaekel.pdf

25. Raymond W. Gibbs, Jr: **Embodiment in Metaphorical Imagination**. In Grounding Cognition, The Role of Perception and Action in memory, Language, and Thinking. Edited by: Diane Pecher and Rolf A. Zwaan, Cambridge University Press 2005

26. Raymond w. Gibbs, Jr: The **poetics of mind**. Cambridge University Press. 1994

27. Robert Frost; poems , publisher: poemHunter.Com -The World's Poetry Archive, 2004

28. Sam Glucksberg and Boaz Kaysar: **How metaphor work**, in: metaphor and though, edited by Andrew Ortony. 2nd Ed. Cambridge university press, 2003

29. The collected poems. Sylvia Plath. Edited by Ted Hughes, Harper & Row, Publishers, New York. 1981

المحتويات

الموضـــــوع	الصفحة

الموضــــوع	الصفحة

الموضـــــوع الصفحة

الفصل الثاني
نظرية الاستعارة التصورية
والخطاب الأدبي



د. عمر بن دحمان

نظرية الاستعارة التصورية والخطاب الأدبي

"الكتاب يتقصّى المسار الذي سارت عليه نظريّة الاستعارة التصوريّة (تنسب للسانيّ المعرفي لايكوف وآخرين) في مقاربة مجازيّة للغة الخطاب الأدبيّ ودراستها بالتركيز علي الاستعارة بشكل خاص بسبب العناية الخاصة التي أولتها إياها، وانتقالها بها إلى مكانة أرفع لم تحظَ بها في التنظيرات الكلاسيكيّة التي نظرت إليها بوصفها أداة لغويّة تزيد في المعنى، ولا تدخل في بنائه إلاّ من هذا الجانب؛ فوظيفتها ثانويّة مقارنة بما هو غير مجازيّ، في حين نظرت إليها التنظيرات المعرفيّة بوصفها آلية مركزيّة من آليات التفكير البشريّ ككل، وأوكلت إليها دوراً رئيساً في التجربة، وبناء المعنى وفهمه وتأويله بوصفه نشاطاً ذهنيّاً بين المتخاطبين.

في هذا الإطار اقترح منظرو الاستعارة التصوريّة نمذجة معرفيّة لمقاربة الاستعارة كما تتجلّى في الخطاب الأدبيّ من منظور مغاير تماما، يمكن اعتباره مدخلاً لمقاربة معرفيّة للاستعارة الأدبيّة بشكل خاص (واللّغة المجازيّة من ورائها) واقتراحها كبديل عن المقاربات الكلاسيكيّة التي لا تزال مهيمنة، برغم قصورها الملاحظ في كثير من الأحيان عن الإحاطة بالتعقيدات المتّصلة بمقاربة الإبداع الاستعاريّ في الأدب بخاصة."


9 789774 991486